تطور نمو الأبناء

ومتطلبات المراحل

مهرة سالم القاسمي

عائشة جاسم الشامسي



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : تطور نمو الأبناء ومتطلبات المراحل

المؤلف : مهرة سالم القاسمي

عائشة جاسم الشامسي

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٤٨٤٦

الطبعة الثانية ٢٠١٣



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

الفهرس

الإهداء

إلى قلبنا العربي النابض،

إلى سوريا الأبية

■ المقدمة

الحياة البشرية بحضاراتها المادية والمعنوية، بنجاحاتها وكبواتها، ما هي إلا انعكاسات لمسار الأجيال المتعاقبة، وحياة الفرد عبارة عن رحلة يتشكل من خلالها نموه ويستمد فيها ما يضمن استمرارها، وتشهد ما يحيط بها من معطيات يتفاعل معها يؤثر فيها ويتأثر بها، وعندما تستوفي مسيرة حياة الفرد متطلباتها من محيطها، تعطي هذا المحيط ما من شأنه أن يساهم في ضمان استقراره ورفاهيته، وتسعى لتخفيف ما قد تعترضه من كوارث يمكن أن تؤرق مضجعه. هكذا هو الإنسان باني الحضارات، وهو أيضا مبعث الشرر ومصدر الموبقات، وبقدر ما يأخذ من الصالحات يعطي مجتمعه، فما أحوج مجتمعنا العربي لعطاء أبنائه، وكم هو مهم أن يعيش أبناؤه في ربوع أمنه واستقراره.

يهب الله الحياة للإنسان، بدءا من طفولته الضعيفة العاجزة جسميا وعقليا واجتماعيا، فيتلقى العناية من ذويه في كل ما يحتاج إليه من مسببات استمرار النمو بطريقة متزايدة ليصل به إلى حالة النضوج.

وما النمو إلا عملية مستمرة متزايدة تسعى إلى تحقيق النضج الكامل ليعيش الفرد حياته أثناء عملية النمو متفاعلا مع بيئته الاجتماعية، فتقوم التربية بتطبيع الفرد تطبيعا اجتماعيا تكسبهم الصفات الإنسانية النفسية والاجتماعية التي تميزهم عن سائر الحيوانات الأخرى، فينتقلون من طور الفردية البيولوجية إلى المرحلة النفسية والاجتماعية.

وهذا الكتاب هو الإصدار الثاني لمكتبة اليقظة العربية، ويأتي مكملا للإصدار الأول (دور التنشئة الاجتماعية في تشكيل السلوك الإنساني) الصادر عن دار الفكر العربي في طبعته الأولى بالقاهرة عام ٢٠١٠، حيث لا يختلف كثيرا عن موضوعه، بل قصد به التأكيد على الأهداف العامة لتربية النشء، والذي يتمثل في الاهتمام بأفضل ما يمكن أن تقدمه الرعاية الأسرية للأبناء، اعتمادا على أسس سليمة مستوحاة من تجارب ودراسات أنتجها الفكر الإنساني في الأمور التربوية والتهذيبية، مع التأكيد على مراعاة قيمنا الروحية والمجتمعية، كل ذلك ابتغاء خلق جيل جديد واع وقادر على مواكبة الحياة العصرية، والتصدي للعقبات التي تعترض مسيرة نهضة الأمة وكرامتها.

ويتألف هذا الكتاب من سبعة فصول ومقدمة : يتناول الفصل الأول أهم المفاهيم والمصطلحات التي من شأنها أن تساعد على إعطاء صورة توضيحية تحتمها ضرورة تيسير الفهم في المعالجة التي سيتناولها الكتاب لمراحل النمو، كما يلقي الضوء على أهم عوامل النمو الفسيولوجية: الوراثة، الغدد والجهاز العصبي، وكذلك العوامل البيئية.

ويلقي الفصل الثاني الضوء على الحاجات الضرورية التي يتطلبها نمو الأبناء بصفة عامة، لكي يتحقق التكيف الاجتماعي والتوافق النفسي والذي من شأنه أن يكسب الأبناء شخصية سليمة خالية من الأمراض النفسية، بينما يتناول الفصل الثالث هذه الحاجات النمائية لمرحلة الطفولة بصفة خاصة بتفصيل أكثر.

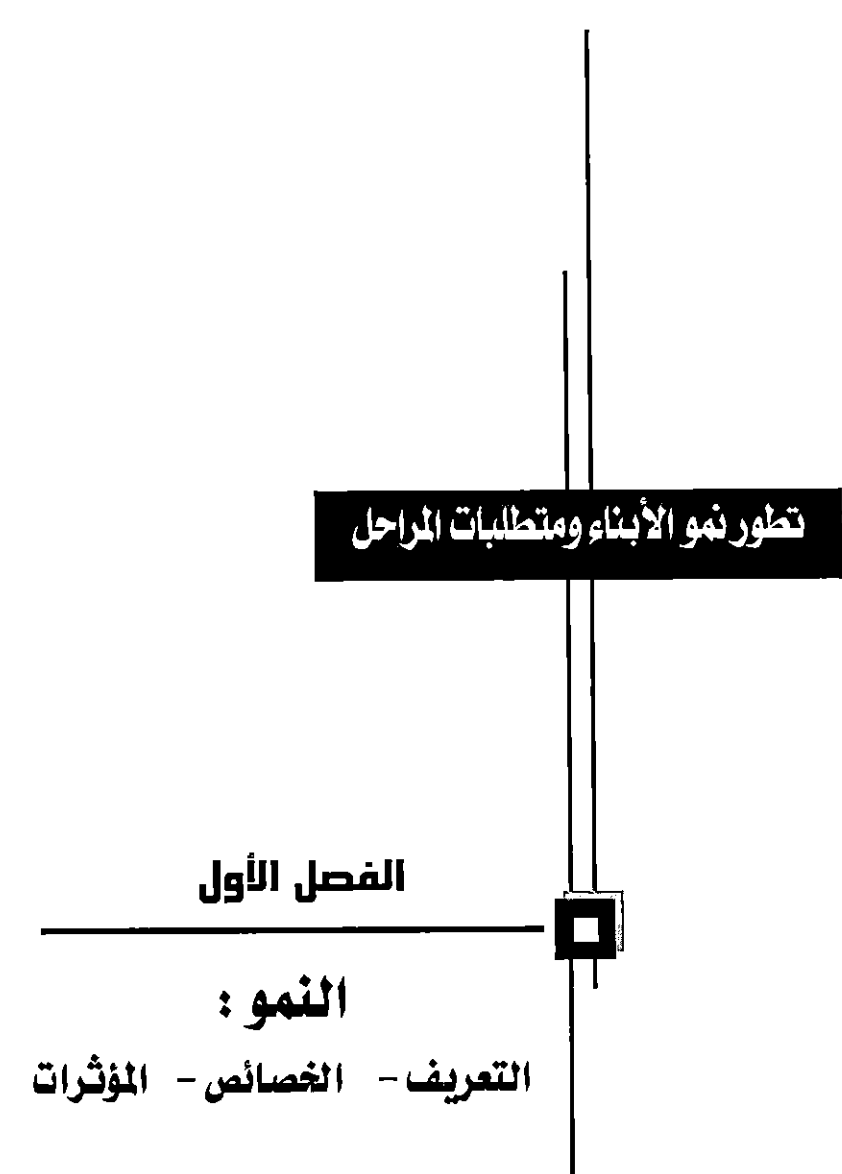
أما الفصل الرابع فيلقي الضوء بالتفصيل على أهم متطلبات النمو في فترة المراهقة وضرورة إشباعها بطرق مناسبة تتفق مع حساسية هذه المرحلة التي ينتقل المراهق منها إلى سن الرشد.

أما الفصل الخامس فيتناول الشخصية المتكاملة ونقيضها، مع إبراز أهمية مفهوم الذات وتأثيره على الشخصية إيجابا أو سلبا، ويتناول الفصل السادس تطور خصائص النمو المختلفة في مراحل الحمل والطفولة: المبكرة والمتوسطة والمتأخرة.

بينما يتناول الفصل السابع تطور خصائص النمو المختلفة في مراحل المراهقة: المبكرة والمتوسطة والمتأخرة، وينتهي الكتاب بخاتمة تلخص أهم ما تناوله الكتاب.

وأخيرا، نرجو من الله أن يصل بنا هذا العمل المتواضع إلى تحقيق ما نصبو إليه من فائدة، تتمثل في إرساء أسس تربوية علمية، ترشد الباحثين والمربين وأولياء الأمور إلى أفضل السبل لخلق جيل سليم يساهم في بناء مستقبل واعد.





تطور نمو الأبناء ومتطلبات المراحل

الفصل الأول

النمو :

التعريف - الخصائص - المؤثرات

ماذا يقصد بالنمو ؟

يعرف النمو على أنه تلك العملية التي من خلالها تحدث تغيرات في قدرات الفرد واستعداداته الموروثة كلما تقدم في العمر، متأثرا بالخبرات التي يكتسبها من المجتمع واحتكاكه ببيئته وتفاعله معها. وإذا ما استغل الفرد كل طاقاته أثناء فترة النمو، فإنه يكتسب منها قدرات ومهارات وخصائص شخصية تؤهله للوصول إلى حالة من التكيف والتأقلم مع محيطه الاجتماعي (المصري، سلمى إبراهيم ٢٠١٠:٢١).

ويمكن التحدث عن نوعين من النمو هما: النمو التكويني، والنمو الوظيفي، ويشير الأول إلى خصائص الطول والوزن والحجم، أي يتناول المظهر الخارجي الذي يؤثر بالتالي على الأعضاء الداخلية، ولا يقتصر هذا النوع على مجرد التغييرات التي تطرأ على الجسم، مثل زيادة الوزن والطول، وإنما يتناول تلك الخصائص كعملية متكاملة متعددة التكوينات والوظائف.

أما النمو الوظيفي فهو يعبر عن التغير الإيجابي أو التطور النوعي في السلوك والعمليات المعرفية والعمليات الانفعالية التي تحدث للفرد ويمر بها خلال دورة حياته (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:١٤٧).

ويمكن التعرف فيما يلي على عدة مظاهر للنمو وما يشتمل عليه من الجوانب المختلفة:

النمو الجسمي

ويقصد به الزيادة في الوزن والطول، والأجهزة الجسمية المختلفة، كالجهاز العظمي والعضلي والرأس والأطراف والأسنان وكل التغيرات التي تطرأ عليها عبر مراحل النمو المختلفة.

النمو الفسيولوجي

ويقصد بـه الجهـاز اللمفـاوي والغـدد ووظائفهـا، ووظـائف أجهـزة الجسـم المختلفة كالجهاز التنفسي والهضمي والدورة الدمويـة وبعـض العمليـات التـي يعيشها الفرد (مثل التغذية والنوم والاسترخاء) عبر مراحل النمو.

النمو الحركي

ويقصد به حركة الجسم والمهـارات الحركيـة المختلفـة كـالجلوس والحبـو والمشي والقفز والهرولة والـرقص وتطـور تلـك الحركـات عبـر مراحـل العمـر المتتابعة.

النمو العقلي

ويتعلق بنمو الذكاء العام وكل القدرات العقلية المختلفة مثل: الإدراك والتذكر والتخيل والتحصيل والتفكيـر والانتبـاه وغيرهـا، كمـا يشـمل الجهـاز العصـبي والدماغ الإنساني ووسـائل الإحسـاس المختلفـة، كمـا يشـمل مراحـل الإدراك، والعمليات المعرفية والقدرات العقلية الخاصة، والتغيرات التي تحدث لهـا عبـر تطور مراحل النمو.

النمو الانفعالي

ويقصد به مجموعة من الانفعالات تتمثل في الحب والغيرة والحزن والخـوف والكره والغضب والفرح والسرور والتوتر وغيرها من التغيـرات التـي تطـرأ عـلى الانفعالات عبر تطور مراحل النمو.

النمو الاجتماعي

ويقصد به عملية التنشئة الأسرية والاجتماعية وعلاقة الفرد بغيره مـن الأفـراد والجماعات في مجتمعه من مختلف الفئات العمريـة والنوعيـة، صـغارا أو كبـارا

ذكورا أو إناثا، وطبيعة علاقة الفرد بالجنس الآخر، وتطور هذه العلاقات عبر المراحل المختلفة، كما يشتمل النمو الاجتماعي على تفاعل الفرد مع القيم والمعايير والأدوار الاجتماعية وتطور هذه الأدوار مع تطور النمو.

النمو اللغوي

يركز على مدى اكتساب الفرد لعدد من المفردات اللغوية عبر تطور النمو، وكذلك مدى قدرته على تطور الجمل والمهارات اللغوية والتبدلات التي تحدث لأجهزة الصوت والكلام والقدرة على التعبير اللفظي والكتابي.

النمو الحسي

ويقصد به نمو الحواس الخمس المختلفة، مثل البصر والسمع والشم والذوق والإحساس الجلدي، وكذلك الإحساسات الحشوية المختلفة مثل الألم والجوع والعطش والنعاس والحاجة للجنس، وما يطرأ على كل ذلك من تغيرات عبر مراحل النمو العمرية (الهنداوي، علي فالح ٢٢ -٢٠٠٤:٢٠).

وتتم عملية النمو بشكل منظم وفقا لعدد من المراحل، وتعتبر كل مرحلة نتاجا للمرحلة السابقة لها وتمهيدا للمرحلة التي تليها، ويتفق علماء النفس على تقسيم مراحل النمو على أساس عمر زمني (انظر مثلا: الدسوقي، مجدي ٢٠٠٣؛ زهران، حامد ٢٠٠٥؛ عثمان، إبراهيم ٢٠٠٦؛ العوالمة، حابس؛ ومزاهرة، أيمن ٢٠٠٣).

ورغم أن مظاهر النمو يترابط بعضها ببعض إلى حد كبير، كما هو الحال بالنسبة لمراحل تطور النمو، فقد درج الباحثون على هذه التقسيمات لتسهيل البحث والدراسة، وسنتعرض لهذه المراحل في فصل لاحق من هذا الكتاب، أما فيما يلي فنشير إلى أهم خصائص عملية النمو:

خصائص النمو

- النمو ظاهرة طبيعية تلقائية لا يتطلب وجود استثارة خارجية كما هو الحال في التغيير الحاصل نتيجة التعلم والتدريب.

- النمو عملية متتابعة من التغييرات التشريحية والفزيولوجية والسلوكية تحصل وفق نظام متكامل محدد، حيث يعتمد كل تغيير على ما سبقه ويهيئ لما يلحقه، وتتميز هذه التغيرات بأنها مستمرة منذ لحظة التلقيح إلى مرحلة الرشد، إلا أن تواترها الذي يبدأ سريعا لا يلبث طويلا حتى تخفت سرعته تدريجيا مع تقدم في العمر.

- النمو لا يسير على وتيرة واحدة من حيث السرعة والتعقيد في مظاهره المختلفة وخلال مراحله المتعاقبة، فنجد على سبيل المثال النمو الجسدي يسرع في عمر معين ليتباطأ في عمر لاحق، كما يقابل نمو القدرة الذهنية والمعرفية في عمر زمني محدد تباطؤ في النمو الجسدي.

- النمو يظهر على شكل تغيرات متدرجة غير فجائية، أما قفزات النمو التي تظهر بين الحين والآخر فلا تأتي من فراغ، وإنما تمهد لها أشكال من النمو التي تظهر للعيان، وما ظهور الطمث عند الفتاة إلا نتيجة سلسلة من التغيرات الداخلية التي حصلت على مدى محدد من الزمن، كذلك الأمر في التغير المفاجئ لصوت المراهق.

- يسير النمو وفق نظام تطوري تقدمي، فالطفل يبدأ بالحبو ومن ثم بالوقوف فالمشي وأخيرا الجري، كذلك النمو العقلي وفق «بياجيه» يأخذ منحى تطوريا، فهو يبدأ حسيا، فإجرائيا محسوسا، لينتهي إجرائيا صوريا.

- انطلاقا من كون تغيرات النمو تحصل بشكل مستمر ووفق نظام محدد

ومتدرج، توصل العلماء إلى وضع جداول للنمو تبين مختلف مظاهره في جميع مراحله، مما يسمح بإمكانية التنبؤ في هذا المجال، إذ يكفي تحديد العمر الزمني للتنبؤ بسلوكه من خلال جداول النمو الآنف ذكرها، كذلك بالعودة إلى هذه الجداول يمكن الحكم على صحة نمو الطفل من عدمه، وذلك من خلال معرفة متوسط مستوى النمو بمختلف مظاهره لهذه الفئة العمرية، كما أنه من خلال معرفة طول الطفل وعمره الهيكلي في سن محدده يمكن التنبؤ بطوله عندما يبلغ سن الرشد.

ولكن القدرة على التنبؤ انطلاقا من جدول النمو تبقى محدودة وغير قابلة للتعميم المطلق، ولا تنطبق معطياتها بالضرورة على كل طفل نريد دراسته نظرا للفروق الفردية الموجودة بين الأطفال والتي تعود إلى تأثير كل من عاملي الوراثة والبيئة معا كما سنبين لاحقا، فتحديد بياجيه للعمر الذي تبدأ فيه كل مرحلة جديدة من النمو العقلي أتى مقرونا بتنبيهه إلى نسبيته وإمكانية تفاوته بين فرد وآخر وبين طبقة اجتماعية وأخرى.

- إن مظاهر النمو لا تكون متطابقة دائما وبشكل مطلق مع الفئة العمرية التي ينتمي إليها الطفل، فقد نجد مثلا طفلا في التاسعة من عمره لم تتعد قامته طول ابن السابعة في حين أنه يوازي بتفكيره ابن العاشرة من العمر، ويتصرف اجتماعيا وكأن له من العمر إحدى عشرة سنة.

- يحدث النمو على المستويين التكويني والوظيفي، فهو لا يترجم زيادة في الوزن والحجم والطول فحسب، أو يقتصر على الاختلاف في الشكل، وإنما تحصل تغيرات نوعية تطرأ على طبيعة الشيء النامي، تطاله من حيث التعقيد والتنظيم والوظيفة، فالنمو الذي يطال الأطراف السفلى على سبيل المثال لا يقتصر على زيادة طولها وكبر عضلاتها، وإنما على نضج قدراتها الوظيفية مما يسمح لها

بالوقوف أو المشي، كما أن العظام بالإضافة إلى زيادة وزنها وطولها فإن طبيعتها تتغير وتصبح أقوى وأكثر صلابة. كذلك الجمجمة لا يقتصر نموها على زيادة وزنها وحجمها، إنما تطرأ عليها تغيرات نوعية، فيصبح اليافوخ صلبا والخلايا أكثر عددا، بالإضافة إلى التغيرات الكيميائية التي تطرأ عليها. كما أن نمو ونضج الغدد يترافق مع زيادة فعالية بعضها كالغدد الجنسية وتناقص فعالية البعض الآخر كالغدة الصنوبرية (المصري، سلمى إبراهيم ٢٢:٢٠١٠؛ انظر أيضا: صادق، آمال؛ وأبو حطب، فؤاد ١١-١٨ :٢٠٠٨).

وترتبط عملية النمو عند الفرد ارتباطا وثيقا بعمليتي النضج والتعلم، ويمكن وضعهما في معادلة بأن «النمو =النضج + التعلم»، كما سيتم شرحه في الفقرات القليلة التالية:

النضج Maturation

إن بعض التغيرات التي تحدث مع تقدم العمر الزمني قد تعزى إلى الوراثة البيولوجية، بالإضافة إلى حقيقة أننا كآدميين، نجد هذه التغيرات تجعلنا مختلفين عن سائر الكائنات الحية الأخرى، فالطفل في نموه يصبح إنسانا، كما أن المواد الوراثية المكونة في كل خلية يمكن أن تتحكم في بعض جوانب النمو التي تحدث للوليد البشري، وهذا النمو يحدث مستقلا عن التفاعل مع البيئة، بمعنى أنه يغفل التأثيرات الخارجية وفي تلك الحالة يسمى بالنضج (الأشول، عادل ٢٠٠٨:٥٣).

التعلم Learning

يعرف علم النفس التعلم بأنه التغيير في السلوك أو تعديله أو التأثر بالخبرة والتأثير على الأداء، نتيجة لقيام الفرد بنشاط معين كالمران أو التكرار.

ومن مظاهر التعلم: ركوب الدراجة- السباحة – حفظ الشعر – التغلب على

المشكلات الاجتماعية - اكتساب العادات والقيم، وهنا يمكن التمييز بين التعلم الذي يحدث نتيجة للخبرة وبين النضج الذي يحدث نتيجة للعوامل التكوينية الجسمية، فالتعلم إذاً عبارة عن مفهوم افتراضي يستدل عليه بطريقة غير مباشرة ويصعب مشاهدته، غير أنه يمكن الاستدلال عليه عن طريق الآثار والنتائج الملموسة من خلال ملاحظة سلوك الفرد وأدائه (العيسوي، عبد الرحمن 8-١٠٦:١٩٨٤).

تكامل النضج والتعلم

لأن كلا من النضج والتعلم يشكلان عنصرين يكمل بعضهما البعض لذلك يختلط على المرء أحيانا التمييز بين تأثيرات أي منهما على سلوك الفرد، فمن المعلوم أنه بواسطة عمليتي النضج والتعلم المصاحبتين للنمو يتحول الفرد من مجرد وحدة بيولوجية إلى كائن اجتماعي متحضر (الطواب، منسي ٢٠٠٢)، كما يساهم كل منهما (التعلم والنضج)، في عملية ارتقاء نمو السلوك.

وبينما نرى أن للنضج علاقة وثيقة بالتغيرات البيولوجية، فإن التعلم يساند هذه التغيرات، وجدير بالذكر أن التغيرات التي تحدث في التكوين الفسيولوجي والمتضمنة في النضج تعد من الأسس المهمة لكل ما يقوم به الطفل، فعلى سبيل المثال يمكن ملاحظة أن الطفل يستطيع رفع الرأس والاحتفاظ به مرفوعا حين الجلوس دون مساعدة بعد أن يبلغ عدة شهور من العمر، ولكنه لا يستطيع القيام بذلك في الشهور الأولى بعد مولده، وذلك لأن عملية النضج لديه لا تزال ضعيفة، بمعنى أن عضلات الرقبة والظهر لم تكتمل، وهذا الجزء من الحركة لا يتم بالتعلم في البداية، ولكن بتقدم نمو الطفل وظهور قدراته العضلية، ويتم تدعيم هذه القدرات بالتعلم أو التدريب.

ويتميز النضج عن التعلم في أن الأول يحدث تلقائيا في أي وقت حتى أثناء النوم ودون إرادة الفرد، أما التعلم فإنه يحدث بتأثير الرغبة والإرادة، وكنتيجة

لقيام الفرد بنشاط معين (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ١٤٨: ٢٠٠٤).

وبينما يختلف التعلم عن النضج من حيث أن الأول يؤدي إلى أنماط خاصة من السلوك تميز الفرد عن غيره، فإن النضج يؤدي إلى أنماط عامة من السلوك تظهر متشابهة لدى جميع الأفراد في العمر الواحد رغم اختلاف العوامل المؤثرة (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ١٤٩: ٢٠٠٤).

ويمكن أن نعطي أمثلة لتوضيح كل من النضج والتعلم، فإذا أخذنا كمثال مجموعة من الأطفال ينقسمون إلى فئات عمرية مختلفة، وتأملنا طريقة السلوك بصفة عامة، فإننا سنجد أن هناك تشابها في أنماط السلوك إلى حد كبير بين الأطفال المتقاربين في السن، فالأطفال في سن الثالثة مثلا نادرا ما يمكنهم اختيار ملابسهم بمفردهم أو حتى ارتداؤها بدون مساعدة من ذويهم، بينما الأطفال في سن العاشرة كثيرا ما يعتمدون على أنفسهم في اختيار وارتداء ملابسهم مما يدل على فارق في مستوى النضج بينهم، ولكن هذا النضج يعززه «التعلم» ويضعف بضعف مدى التعلم الذي يتلقاه الطفل.

وبالرغم من وجود اختلافات بين النضج والتعلم إلا أن هناك علاقة وثيقة بينهما، فالتعلم يعتمد بدرجة كبيرة على النضج، كما أن النضج يحدد إمكانية سلوك الشخص ومدى قدراته للقيام بنشاط معين ومقدار ما يكتسبه من معارف ومهارات وخبرات (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ١٤٩: ٢٠٠٤). كذلك تلعب عوامل كثيرة في عملية النمو بعنصريها النضج والتعلم، وفيما يلي نعرض لأهم هذه العوامل:

العوامل المؤثرة على النمو:

تتأثر عملية النمو بعاملين أساسيين هما العوامل البيولوجية والعوامل البيئية؛ وفيما يلي نشير إلى أهم محددات هذه العوامل:

أولا: العوامل البيولوجية

لقد اهتم علم الأعصاب البيولوجي Neurology بالعوامل البيولوجية المؤثرة في عملية نمو ونضج الفرد، والتي يمكن تناولها من خلال عدة أبعاد (١) الوراثة (٢) الغدد (٣) الجهاز العصبي.

(١) العوامل الوراثية Heredity

يقصد بالوراثة الصفات التي يرثها الأبناء عن آبائهم بواسطة الجينات Genes[1]، وهي لا تتحدد بموروث واحد وإنما بالتفاعل الذي يحدث بينه وبين غيره من الموروثات، وتكون مسؤولة عن مظاهر النمو الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، فهي تحدد لون البشرة والطول والأعضاء الداخلية ولون الشعر وفصيلة الدم وملامح الوجه وشكل الجسم، وكذلك الذكاء والقدرات الخاصة التي يمتلكها الفرد، إلا أن الاستعدادات الوراثية تتفاعل باستمرار مع المؤثرات البيئية، فإصابة الأم بالحصبة الألمانية مثلا أو الحمى القرمزية في الأسابيع الأولى من الحمل قد يضر الجنين كأن يعرضه لتشوهات خلقية في القلب والعينين، وقد تؤدي به للتخلف العقلي، إلا أن تأثير الوراثة في الميول المزاجية والسمات النفسية يكون غير مباشر (الزعبي، محمد ٢٤:٢٠٠٧). فالاستعدادات الوراثية والأمراض النفسية وغيرها تتأثر بمؤثرات أخرى أيضا تعززها أو تلغيها.

وهنا يجيب الدكتور علي فالح الهنداوي (٢٠٠٤) على التساؤل حول إمكانية انتقال سمة الذكاء بالوراثة، ويقول: « الفرد يولد وهو مزود بمجموعة من الاستعدادات الوراثية، ومنها الاستعداد أن يكون ذكيا أو غير ذكي، وبعد الولادة يبدأ تأثير البيئة الخارجية، فإن توفر لمثل تلك الاستعدادات أجواء تعزيزية جيدة فعندها ينشأ الفرد ذكيا، وإذا كانت البيئة غير ذلك، فربما تؤثر على الاستعدادات،

(١) الوحدات الوراثية الموجودة في الكروموسوم التي تحدد خصائص معينة للكائن الحي.

فإما أن تبقيها في حالة كمون أو أن تتراجع، وعندها نجد أن الفرد يميل إلى أن يكون غير ذكي، ومثل ذلك ينطبق على جميع الاستعدادات النفسية الأخرى وبعض الأمراض النفسية أيضا» (ص ٤١).

ويمكن القول هنا بأن الوراثة تتأثر بكل العوامل الداخلية التي كانت موجودة عند بدء الحياة، أي عند الإخصاب، وتوضح دراسات الوراثة أن الإمكانيات الكامنة - وليس السمات أو الخصائص - هي التي تورث، وتعتبر الوراثة عاملا مهما يؤثر في النمو من حيث صفاته ومظاهره، ونوعه ومداه نضجه أو نقصانه، وهكذا يتوقف معدل النمو على وراثة خصائص النوع، وتنتقل الوراثة إلى الفرد من والديه وأجداده وسلالته عن طريق الموروثات (الجينات) التي تحملها الصبغيات التي تحتويها البويضة الأنثوية المخصبة، ونفس الموروثات تساهم في تشكيلها عدة عوامل منها تفاعلات وتأثيرات هذه الجينات بعضها في بعض من ناحية، ومنها تفاعلها مع المواد الداخلية للخلية وتفاعلها مع النتائج الكيميائية للموروثات الأخرى، وقد تؤدي كل هذه العمليات إلى تغير في أحد الموروثات فتنشأ صفات وراثية جديدة (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ١٥٤ :٢٠٠٤).

وعن طريق الوراثة يمكن التنبؤ بالخصائص الجسمية للأطفال وذلك بمعرفة الخصائص التي يتسم بها الوالدان، ومع ذلك هناك من الأبناء من يختلفون عن والديهم اختلافا كبيرا، ويمكن إرجاع السبب إلى وجود سمة وراثية متنحية من أجيال سابقة، وتختلف الصفات الوراثية باختلاف الجنس ذكرا كان أو أنثى، أي أن بعض الصفات الوراثية ترتبط بجنس دون آخر، فمن الملاحظ أن الصلع مثلا في الصفات الوراثية يرتبط بالجنس، حيث عادة ما يصاب به الذكور بعد البلوغ دون الإناث، والأمر نفسه يمكن حدوثه بالنسبة لعمى الألوان ، وكذلك تنتقل عن طريق الوراثة بعض الأمراض، منها مثلا النزاف والبول السكري (سليم، مريم؛ وزيعور علي ١٥٥ :٢٠٠٤؛ الهنداوي، علي فالح ٤٠ :٢٠٠٤).

وللوراثة دور في استمرار الصفات العامة للنوع والسلالة، كما تؤدي إلى الحياة الوسطى المتزنة، بمعنى جعل النسل وغالبيته يحمل الصفات القريبة من المتوسط، فمثلا نجد أن الوالدين اللذين يتصفان بالطول يمكن أن ينجبا طفلا ذكرا أو أنثى أقصر منهما وأطول من المتوسط العام لطول الرجال أو النساء، والوالدين اللذين يتصفان بالقصر يمكن أن يجيء طفلهما أقصر من الطفل العادي ولكنه أطول من والديه (سليم، مريم؛ وزيعور علي ١٥٥:٢٠٠٤؛ الهنداوي، علي ٤٠:٢٠٠٤).

(٢) الغدد Glands

يحتوي جسم الإنسان على نوعين من الغدد، النوع الأول الغدد القنوية، وهي التي تصب إفرازاتها في قنوات لتوصلها بالتالي إلى الدم، ومثل تلك الغدد: الغدة العرقية والغدة الدمعية والغدة المعدية والغدة المعوية والغدة اللعابية وغيرها، أما النوع الثاني فهو مجموعة الغدد الصماء، وهي تصب إفرازاتها مباشرة في الدم، منها: الغدة النخامية، والغدة الصنوبرية، والغدة التيموسية ... وغيرها. وتفرز هذه الغدد الهرمونات في الدم مباشرة، وهي بذلك تؤثر بشكل كبير على مظاهر النمو المختلف وعلى السلوك الإنساني أيضا، كما ترتبط وظائف الغدد بوظائف الجهاز العصبي، ويؤدي توازن إفرازات الغدد واعتدال معدل إفرازاتها إلى توازن الفرد مما يجعل عمليات النمو لديه تسير بشكل طبيعي وسليم، وعندما يحدث خلل في إفرازاتها فإن ذلك يؤدي إلى إعاقة نمو الإنسان وتطوره، كما يمكن أن يؤدي إلى إصابته بالأمراض النفسية (زهران، حامد ٤١:٢٠٠٥).

وفيما يلي نذكر الغدد الصماء الأساسية ومواقعها واضطراباتها:

الغدة النخامية Pituitary Gland

تقع هذه الغدة في جيب صغير في إحدى عظام الجمجمة في المنطقة السفلى من المخ، وتعرف هذه الغدة بملكة الغدد أو سيدتها، وذلك لاعتبارات مهمة، فهي

تشكل همزة الوصل بين جهاز الغدد والجهاز العصبي، كما أن لها علاقة بنشاط جميع الغدد الأخرى كالكظرية والدرقية والتناسلية، ولها فصان أمامي وخلفي، ويفرز الفص الأمامي هرمونات منها هرمون النمو، كما تؤثر على ضغط الدم وتنظم الماء (الفص الخلقي). ويؤدي نقص إفراز هذه الغدة إلى تأخر النمو بصفة عامة، أما زيادة الإفراز فهو يسبب العملقة أو الضخامة (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:١٥٨).

الغدة الصنوبرية Pinnacle Gland

تقع الغدة الصنوبرية تحت سطح المخ عند قاعدته، وتسبب زيادة إفرازاتها اضطرابات النمو والنشاط الجنسي، وتبدأ في التكون في حوالي الشهر الخامس من عمر الجنين، وتضمر عند بلوغ الفرد، وإذا حدث الضمور لهذه الغدة في وقت مبكر فإن ذلك يؤدي إلى نشاط الغدة التناسلية. وتعرف هذه الغدة أيضا بغدة الطفولة مثلها مثل الغدة التيموسية.

الغدة الدرقية Thyroid Gland

تقع الغدة الدرقية في العنق أمام القصبة الهوائية، وهي بنية اللون تميل للاحمرار وشبيهة الشكل بالفراشة، وتتكون من فصين جانبيين، وتحتوي بطانتها على خلايا خاصة تعرف بالخلايا الكيسية، وهذه الخلايا مسؤولة عن إفراز هرمون الثايرويد، وتقوم هذه الغدة بوظيفة تنظيم عملية الأيض، أي التمثيل الغذائي (motablism). وتفرز هرمون الثيروكسين، المسؤول عن توفير اليود في حليب الأم، ويؤدي نقص إفراز الهرمون في الطفولة إلى توقف نمو العظام في الطول، وإلى الضعف العقلي وتأخر في الكلام والمشي وتأخر ظهور الأسنان عند الطفل، أما نقص إفراز هذا الهرمون عند البلوغ فيؤدي إلى جفاف الجلد وسقوط الشعر والإصابة بالإعياء والتأخر العام في النمو العقلي والجسمي، وزيادة إفراز هرمون الثيروكسين قبل

البلوغ تؤدي إلى سرعة نمو الطفل، أما زيادة إفرازه بعد البلوغ فيؤدي إلى ارتفاع حرارة الجسم وسرعة التنفس وإلى جحوظ العينين وضعف الجسم وحدة الانفعال والحساسية الزائدة عند الفرد.

جارات الدرقية Parathyroid Glands

يبلغ عدد «جارات الغدة الدرقية» أربع غدد، تقع على سطح الغدة الدرقية، على كل جانب منها اثنتان، وتفرز هذه الغدد هرمونات باراثرمون التي تنظم وتضبط حاجة الجسم إلى الكالسيوم والفسفور في الدم، ويؤدي نقص إفرازاتها إلى الشعور بالضيق والبلادة والخمول وآلام المفاصل والعضلات، وتؤدي الزيادة في إفرازاتها إلى تضخم الغدة الدرقية وتشويه وهشاشة العظام.

الغدة التيموسية Thymus Gland

تقع الغدة التيموسية في التجويف الصدري، وتعرف أيضا بغدة الطفولة، وتتكون من فصين، وتضمر هذه الغدة عند البلوغ، وبضمورها تنشط الغدد التناسلية، ولم يتوصل العلم حتى الآن إلى معرفة أسباب ضمورها، ولا معرفة الوظائف الأساسية لهذه الغدة، والضعف الذي يصيبها مرتبط بالضعف العقلي وتأخر المشي، ويؤدي تضخمها إلى صعوبة التنفس.

الغدة الكظرية Adrinal Gland

الغدة الكظرية أو فوق الكلوية تتكون من غدتين، ويطلق عليهما الغدد الأدرينالية، وتقع فوق الكليتين، وتتكون كل غدة من نخاع (Medulla) وقشرة خارجية (Cortex) تحيط بنخاع الغدة، وتكون خالية من الأطراف العصبية، وتفرز القشرة هرمونات لها علاقة بالهرمونات التناسلية، وبإفرازات الكبد، وتساعد الجسم في مقاومة العدوى وبذل الجهد البدني، ويؤدي نقص إفراز القشرة إلى

الضعف العام وفقدان الشهية وانخفاض ضغط الدم والشعور بالتعب والميل للانعزال. وإفراز هرمون الإدريالين الذي هو وظيفة النخاع للغدة يؤذي الجهاز العصبي السيمبثاوي.

غدة جزر لانكر هانز Islets of langerhans Gland

هذه الغدة صغيرة تقع في البنكرياس خلف المعدة، وهي من الغدد التي تفرز إفرازا خارجيا يصب عن طريق قناة في الأمعاء الدقيقة من إنزيمات مساعدة لعملية الهضم، وإفرازا داخليا هو هرمون الأنسولين (Insulin)، والأجزاء الداخلية من البنكرياس تعرف بجزر لانجر هانز متخصصة في إفراز هرمون الأنسولين، ونقص إفرازها يؤدي إلى الإصابة بمرض السكر.

الغدد التناسلية Sexual Glands

تساهم الغدد التناسلية عند الفرد في عملية النمو عن طريق إفراز الهرمونات الجنسية، وتؤدي إلى وظيفة التكاثر البشري، وعندما يحدث النقصان أو الزيادة في إفراز الهرمونات يتعرض الفرد إلى عدة أضرار في الخصائص الجنسية الثانوية، كما يكون عرضة لإصابته باضطرابات نفسية متنوعة (سليم، علي ٢٠٠٤؛ زهران، حامد ٢٠٠٥؛ الهنداوي، فالح ٢٠٠٤).

(٣) الجهاز العصبي Nervous System

الجهاز العصبي هو ذلك الجزء من جسم الإنسان الذي يتحكم في كل الأنشطة البدنية والعقلية والنفسية، وهو الذي يقوم بالتنسيق بين أعضاء الحس المختلفة والغدد وعضلات الجسم، بحيث إذا ما حصل أمر فجائي أثر ذلك على جميع الأجزاء الأخرى (الخاقاني، محمد طاهر١٩٨٧:١٧٩). ويشتمل ذلك على عمليات، منها ما يحدث بمحض إرادة الفرد، ومنها تلك العمليات غير الإرادية

والتي لا قدرة للفرد على السيطرة عليها أو تسييرها، ويدل ذلك على أن الجهاز العصبي يقوم بوظائفه بطريقة كاملة متضامنة، يستطيع فيها الجسم أن يتفاعل مع بيئتيه الداخلية والخارجية، فهو جهاز الاتصال الذي يربط أعضاء البيئة الخارجية، كالجلد والأذنين واللسان، بالقيادة المركزية (السنترال) أي المخ مركز اتخاذ كل القرارات لتمكين الجسم من التصرف المناسب في الأحوال والأوضاع المختلفة (عكاشة، أحمد؛ وعكاشة، طارق ٢٩ : د. ت ؛ باظة، آمال عبد السميع ٢٠٠٨:١٤)، حيث تقوم الأجزاء المتنوعة من جهاز التواصل بنقل القرارات إلى الأعضاء المختصة للتنفيذ وبالطريقة المناسبة، فيما البيئة الداخلية والتي تتمثل في الأحشاء وما تختص به من وظائف كالتنفس والدورة الدموية وعمليتي الهضم والإخراج تختص بها أجزاء أخرى من الجهاز العصبي، ولكن بمستوى يختلف إلى حد ما في أدائها عن المستويات السابقة، وهو المستوى الانعكاسي الذي يتم بواسطة تفرعات تمثل شبكة معقدة للجهاز العصبي (عكاشة، أحمد؛ وعكاشة، طارق ص ٢٩ :د.ت).

ويتألف الجهاز العصبي من خلايا عصبية عددها قد يصل إلى مائة بليون خلية، وأهمها خلية النيورون Neuron، والخلية هي ذلك الكائن الحي التي تتكون من غشاء خارجي يسمى جدار الخلية، كما توجد مادة رخوة داخل ذلك الجدار ويطلق عليها بروتوبلازما(الخاقاني، محمد طاهر ١٩٨٧:١٧٩).

وبالرغم من أن الجهاز العصبي يقوم بأداء وظائفه كوحدة متكاملة، إلا أن العلماء قد قسموا اصطلاحيا مكونات هذا الجهاز لعدة أقسام كالتالي:

أولا: الجهاز العصبي المركزي (C.N.S) Central Nervous System، ويحتوي على المخ Brain ويقع داخل التجويف الجمجمي Cranial Carvity، ويتكون المخ من النصفين الكرويين اللذين يحتويان على جذع المخ، والمخيخ

Cerebellum، والثلاموس Thlamus ، والهيبوثلاموس Hypothalamus ، وسنقوم بشرح بعض هذه المكونات وارتباطاتها بتفصيل أكثر ضمن الفقرات التالية.

كما يحتوي الجهاز العصبي المركزي على النخاع الشوكي Cerebral Cortex، وهما محاطان بمجموعة من الأغشية أو السحايا، منها غشاءان رقيقان، يعرفان بـ«الأم الحنون والعنكبوتية»، وآخر غشاء ليفي متين، يعرف ب « الأم الجافية». ويقع المخ في التجويف العظمي، بينما يقبع النخاع الشوكي في قناة عظمية مكونة من فقرات تمتد من قاعدة الجمجمة إلى نهاية الظهر السفلي تقريبا (عكاشة، أحمد؛ وعكاشة، طارق ٣٦:د.ت). ومن وظائف الحبل الشوكي القيام بمركز الأفعال المنعكسة فإذا لمست بيدك جسما ساخنا مثلا أو إذا طرق الطبيب ساق المريض، قام السيال الإحساسي المتصل بالحبل الشوكي بتنشيط مجموعة من الخلايا العصبية المحركة في العقلة نفسها من الحبل الشوكي، وبذلك يحدث رد الفعل مباشرة، فتنسحب يد المريض بعيدا، وهكذا تحدث الأفعال المنعكسة بدون تفكير أو تعقل، غير أن المخ هو الذي يقوم بالتحوير والتعديل عن طريق مسارات الحركة، فيمتنع الإنسانِ بإرادته العاقلة أن يبقي يده على الموقد الساخن مثلا، أما الفعل الأول الذي لا دخل للتفكير فيه فهو الاستجابة المنعكسة اللاإرادية (نفس المرجع ص ٣٨).

وفوق النخاع الشوكي يأتي النخاع المستطيل، وهو جزء من المخ يستقر فيه أهم مركزين من مراكز الجهاز العصبي الذاتي: «مركز التنفس والقلبي الدوري المتصل بضربات القلب ووظائف الجهاز العصبي الذاتي». وبعد النخاع المستطيل تأتي القنطرة وهي الجسر الذي يحوي عددا كبيرا من المسارات، وتتصل بالنخاع والحبل الشوكي وجزء من أجزاء المخ وهو المخيخ، ويرتبط المخيخ مع باقي الجهاز العصبي المركزي بملايين المحاور العصبية المتصلة بالنخاع الشوكي، وهو يشارك الجملة العصبية في وظائفها كتنسيق حركات

انقباض العضلات المختلفة حسب ما تتطلبه الحركات الإرادية، فهو بذلك «مركز توازن وانسجام لحركات الجسم الإرادية والذاتية في الحركة والسكون وعنصر توازن للجسم مهم؛ فهو ينظم التوتر، ويحدد أولوية المهام طبقا لتدرجها في الأهمية، وقد أثبتت البحوث مؤخرا أن للمخيخ شأنا في تناسق وتنظيم التفكير، وبالتالي تأثيرها في نشأة الأمراض العقلية (نفس المرجع، ص ٣٩).

وتوقف وصول الدم إلى المخ لمدة تزيد على خمس ثوان يؤدي إلى فقدان الوعي، فإذا زادت المدة عن عشرين ثانية يؤدي إلى الوفاة (الحفني، عبد المنعم ٤٤٩: ٢٠٠٣-١-).

ثانيا: الجهاز العصبي الطرفي (Peripheral Nervous System (P.N.S.، ويتشكل من الأعصاب الطرفية التي تشتمل على مجموعة من التلافيف المخية وتقع في السطح الداخلي للفص الصدغي، ويشمل هذا الجهاز الأجزاء التالية:

أ. الأعصاب القحفية أو الدماغية Cranial Nerves ويبلغ عددها ١٢ زوجا يغذي نصفها الجانب الأيمن من الجسم (الدماغ والأحشاء) والنصف الآخر يغذي الجانب الأيسر، وتأتي هذه الأعصاب من جذع المخ.

ب. الأعصاب الشوكية Spinal Nerves ويبلغ عددها ٣١ زوجا تخرج من الحبل الشوكي، ويغذي نصف هذا العدد الجانب الأيمن من الجسم، ويغذي النصف الآخر الجانب الأيسر.

ج. الأعصاب الذاتية وهي تلك الأعصاب الخاصة بالجهاز العصبي المستقل أو اللاإرادي Automatic Nervous System والذي يتكون من مجموعة ودية أو سيمبثاوية Sympathetic Nervous System وأخرى نظيرة الودية أو الباراسيمبثاوية Parasympathetic Nervous System (عبد القوي، سامي ٢٠٠١:٦٠).

وبينما يعمل الجهاز العصبي السمبثاوي على زيادة ضربات القلب واتساع بؤبؤ العين واتساع الشعب الرئوية، وكف نشاط عضلات القناة الهضمية، يؤدي الجهاز الباراسمبثاوي وظائف معاكسة لوظائف الجهاز السمبثاوي، ومن هذه الوظائف انقباض الأوعية الدموية (سليم، مريم ؛ زيعور، علي ١٦٤:٢٠٠٤).

ومن الأجزاء المهمة التي توجد في الجهاز العصبي الطرفي ما يسمى بحصان البحر (Hippocampus)، ويلعب هذا الجزء دورا أساسيا في الذاكرة الدائمة، وخاصة عملية الاحتفاظ أو التخزين، بالإضافة إلى دوره في ذاكرة الأحداث القريبة، كذلك له دور كبير في انفعال القلق، كما أنه يعطي إشارات استرخائية للهيبوثلاموس الذي يوجه الأوامر إلى الجهاز العصبي الذاتي عند تعرض الفرد للخطر أو أي موقف يهدد كيانه، فتكون الاستجابة الذاتية التي تتناسب وحاجة الجسم عند حدوث هذه المواقف (عبد القوي، سامي ١٣١:٢٠٠١).

تلك هي أهم محتويات الجهاز العصبي للإنسان، وبالرغم من أن مائة عام مضت على بدء الدراسات المتخصصة بالجهاز العصبي، إلا أن المعرفة المتعلقة عن آليات الدماغ ما زالت غير كافية مقارنة بعلم الوراثة والجهاز الغددي، والحقيقة أن الدماغ البشري يعتبر أكثر الأشياء فرادة في الكيانات الحية، سواء كان في بنيته أو منظومة وظائف. فروابط الدماغ ودينامياته ونمط أدائه لوظائفه وعلاقته بالجسم والعالم لا مثيل له في كل ما توصل إليه العلم حتى وقتنا الحاضر (سليم، مريم؛ زيعور، علي ١٦١:٢٠٠٤ ؛ عكاشة، أحمد؛ وعكاشة، طارق. د.ت).

ثانيا : العوامل البيئية

يقصد بالعوامل البيئية ذلك الوسط الذي يعيش فيه الفرد ويؤثر على مظاهر النمو المختلفة عنده، ولهذه البيئة أوجه متعددة ومتنوعة؛ وأولى هذه البيئات، هي البيئة الداخلية أي الوسط الذي كان يعيش فيه الفرد قبل ميلاده، ثم تأتي البيئة

الخارجية وتمثل البيئات المختلفة: الأسرية والاجتماعية بخصائصها الثقافية والاقتصادية ثم البيئة الطبيعية (الهنداوي، علي فالح ٤٨-٤٧: ٢٠٠٤).

وللعوامل البيئية دور مهم في تحديد مدى ما تحمله الخصائص الوراثية للكائن الحي أثناء نموه، ويمكن أن تؤثر العوامل البيئية في إمكانية انتقال الخصائص الوراثية للأفراد، فيتفاوت الأفراد من حيث درجة تحقق تلك الإمكانيات نتيجة للعوامل البيئية (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ١٥٦: ٢٠٠٤).

وقد أثبتت الدراسات أن الخبرات الحسية المبكرة والمتنوعة لها أهمية قصوى في النمو بصورة عامة والنمو الحسي خاصة، فتشير إلى أن الجنين كثيرا ما يتأثر بسلوكيات أمه أثناء الحمل، على سبيل المثال فإن الأم المدخنة، أو التي تعاني من سوء التغذية، أو تتعاطى المسكرات أو المخدرات، أو التي تتعرض لأشعة (×)، أو التي تتناول العقاقير، أو تتعرض لبعض الصدمات الجسمية والنفسية، أو الإصابة ببعض الأمراض أثناء فترة الحمل، يتأثر نمو جنينها سلبا، كذلك الحال بالنسبة لعمر الأم الحامل وطريقة إنجابها والزمرة الدموية السالبة عندها تؤثر أيضا في نمو الجنين وتترك بصماتها عليه مدى الحياة (الهنداوي، علي فالح ٤٧: ٢٠٠٤؛ زهران، حامد ٦٠: ٢٠٠٥).

وبعد ولادته تحيط بالطفل مؤثرات كثيرة قد تترك آثارها على نموه، كالترتيب الميلادي بين إخوته والمستويين الاقتصادي والثقافي للأسرة، ومجموع الخبرات التي يمر بها الطفل خلال مراحل النمو، وأساليب التربية الوالدية التي يتعرض لها والتنشئة المدرسية والاجتماعية، وأي مؤثرات خارجية أخرى مثل وسائل الإعلام المختلفة، كلها عوامل يمكن أن تؤثر على مظاهر نمو الطفل في المراحل المختلفة (نفس المرجع ٤٨: ٢٠٠٤).

فالبيئة الأسرية السوية مثلا يكون لها دور إيجابي على نمو الأبناء، بينما اضطراب العلاقات الأسرية وإهمال الوالدين أو أحدهما القيام بالرعاية التربوية

السليمة، أو تعرض الأسرة لحوادث مأساوية كالوفاة أو الطلاق أو الضائقة المالية ستؤثر سلبا على نمو الأبناء (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:١٥٦).

كذلك للبيئة المدرسية دور مؤثر على نمو الطفل وذلك من خلال ما توفره للتلاميذ من معارف وطرق في التفكير وكيفية حل المشكلات، وما تتيحه لهم من فرص التفاعل الاجتماعي وبناء صداقات وغرس الانتماء للمجتمع والوطن والأمة. كذلك تكسب المدرسة المهارات الحركية، وتمكنه من إتقان وتطوير مهارات القراءة والكتابة والحساب، واكتساب المعايير والقيم والحس الأخلاقي، وبذلك تساهم البيئة المدرسية في عملية الضبط الاجتماعي، ويمكن أن يكون لها تأثير على اتجاهات التلاميذ نحو الجماعات الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية، وأن تحقق الاستقلالية الشخصية عندهم (سليم، مريم؛ وزيعور، علي٢٠٠٤:١٥٦).

لا شك أن المدرسة التي تتيح للتلاميذ فرصة أن يعيشوا في بيئة صحية تتوفر فيها المثيرات المطلوبة والجو الاجتماعي الذي يسوده التفاعل والعلاقات الاجتماعية السليمة يحيطها الود والفهم والقبول، واتباع طرق للتدريس تتصف بالتشويق والاستثارة والحوار والجو الإداري مع مراعاة التعامل بالشدة في غير عنف واللين في غير ضعف، مثل هذه البيئة المدرسية تكون قادرة على أن تحقق أدوارها في عملية النمو السليم للتلاميذ. والعكس هو الصحيح، فالبيئة المدرسية التي تسودها سلطة غاشمة وطرق تدريس قائمة على التلقين وعلاقات اجتماعية متوترة ومناهج منفصلة عن الحياة وأنشطة محدودة، فإن ذلك سيؤدي إلى إعاقة النمو لدى التلاميذ، وضعف هممهم وعقولهم وتدني معنوياتهم (سليم، مريم؛ وزيعور، علي٢٠٠٤:١٥٧).

وكما هو الحال بالنسبة للأسرة والمدرسة، يمكن للبيئة الاجتماعية ككل: من رفاق ومعارف ومؤسسات مجتمعية أن تساهم بدورها في تعزيز الضمير الجمعي

للأبناء وخلق اتجاهات إيجابية لديهم نحو الجماعة والملكية العامة، وتقوية انتمائهم واعتزازهم نحو المجتمع ومؤسساته، فمن خلال البيئة الاجتماعية يتم إشباع حاجات الابن النفسية مثل حاجاته إلى أن يحب ويحب وحاجته إلى الصحبة وحاجته إلى الانتماء وحاجته إلى الإنجاز وإثبات الذات، وعندما يعتري البيئة الاجتماعية الخلل تؤثر سلبا على النمو في جميع المراحل بما تقدمه من فرص للانحراف وبما تحجبه من فرص لاكتساب المهارات والتدريب على الأدوار الاجتماعية المتوقعة، هنا يسود الخصام بدل الوفاق والانشقاق بدل الوحدة، وعدم التعاون، مثل هذه البيئة تعيق النمو والسعادة وتشجع على انتشار الفساد والانحراف (سليم، مريم؛ وزيعور، علي١٥٧:٢٠٠٤).

أما البيئة الجغرافية بما تفرضه من ظروف طبيعية واقتصادية وبشرية، فإن لها تأثيرات مهمة في عملية النمو، وإذا ما نظرنا إلى السلالات والأجناس البشرية على كامل الكرة الأرضية، سيتضح لنا تأثير اختلافات هذه البيئة على الفروق بين الأجناس البشرية المختلفة في الأماكن الجغرافية المختلفة (زهران، حامد ٦١:٢٠٠٥). وقد أشار كل من مسكويه وابن خلدون إلى أثر الإقليم على مستويات ذكاء الناس وطباعهم وأمزجتهم (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ١٥٦:٢٠٠٤).

تلك هي المفاهيم والعوامل والمؤثرات المتعلقة بعملية النمو الإنساني على وجه العموم، والتي لابد من معرفتها كأساس ضروري لفهم عملية النمو ومتطلباتها لمرحلتين من أهم مراحل العمر في الحياة البشرية، من حيث إمكانية تشكيل شخصية إنسان إيجابي متوازن، قادر على التكيف مع المجتمع والمحافظة على مقوماته.







الفصل الثاني

التكيف الاجتماعي - التوافق النفسي - الحاجات:
ما هي، وكيف يؤثر بعضها في بعض؟

إن إحداث التكيف الاجتماعي والتوافق النفسي من الأمور المهمة لاجتياز مراحل نمو الأبناء بسلام. ولا تتم عمليتا التكيف والتوافق إلا بتلبية احتياجات تتطلبها مراحل النمو المختلفة، بما تشمله من جميع المظاهر الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، ويؤدي تحقيق التكيف الاجتماعي والتوافق النفسي إلى سعادة الفرد ونجاحه في الانتقال إلى مرحلة أخرى من النمو، وبالعكس يؤدي صعوبة التكيف والتوافق إلى شقاء الفرد وفشله ليس فقط في نفس المرحلة بل وفي المراحل التالية.

وفيما يلي نلقي الضوء على مفهومي التكيف الاجتماعي والتوافق النفسي، ثم أهم الحاجات وأنواعها والتي لا غنى لأي شخص من إشباعها.

التكيف الاجتماعي Adaptation

يعرف التكيف الاجتماعي على أنه عملية تتميز بالحركة والاستمرار، يستهدف من ورائها الفرد تغيير سلوكه لتحقيق أكبر قدر من الملائمة مع الظروف المحيطة به، ويدل ذلك على قدرة الفرد إقامة العلاقات الناجحة بينه وبين البيئة المحيطة به، ويقصد بالبيئة هنا كل المؤثرات أو الإمكانيات والقوى المحيطة بالفرد، والتي يمكن أن تساعده في جهوده لتحقيق الاستقرار النفسي والبدني في معيشته (ناصر، إبراهيم :٢٧١ د.ت).

وكذلك يشير الدكتور أحمد زكي بدوي إلى التكيف حيث يرى أنه « تغيير سلوك الفرد كي يتفق مع غيره من الأفراد وخاصة باتباع التقاليد والخضوع للالتزامات الاجتماعية» (١٩٧٨:٨).

ويعرف حسين رشوان التكيف الاجتماعي بأنه عملية اجتماعية ديناميكية تفرض وجودها التغيرات المستمرة في المجتمع وما يتطلبه من ضرورة إعادة التوازن إليه، وهذه العملية تتضمن نشاط وسلوك الأفراد والجماعات الساعية إلى

تحقيق التوافق والمواءمة والانسجام والتساهل بين بعضهم البعض أو بينهم وبين بيئتهم، فالإنسان دائما في حاجة إلى أن يكيف سلوكه ليتلاءم مع المجتمع (١٩٩٧:١٨٦).

ويذهب الدكتور معتز الصابوني إلى أن التكيف الاجتماعي هو العملية التي يقصد بها تمكن الفرد من تغيير سلوكه لكي يحدث علاقة توافقية تتلاءم مع الظروف الاجتماعية التي يعيش فيها، وهي عملية دائمة التغير والاستمرار، بمعنى آخر هي المقدرة على خلق علاقات طبيعية خالية من التوتر بين الفرد وبيئته الاجتماعية، بما تتضمنه هذه البيئة من مؤثرات وعوامل والتي من شأنها أن تعيق تحقيق الاستقرار النفسي والبدني في الحياة المعاشة للفرد (١٤٦ :٢٠٠٦).

ومنذ بدء الطفولة يتكيف الوليد مع العالم الخارجي، ولكي تستمر الحياة يستمر الفرد في ملاءمة وتعديل سلوكه واكتشاف الجديد منها للاستجابة لكل ما يحيط به ويطرأ في محيطه من أشياء حيوية وطبيعية، بدءا بالملبس والمأكل والمشرب والرضاعة، وانتهاء إلى كل ما تتطلبه احتياجات مراحل حياته المتطورة ماديا ومعنويا والتي يمكنها أن تضمن له حياة التكيف مع البيئة المحيطة به (ناصر، إبراهيم د.ت:٢٧١).

ورغم أن الإنسان يولد بيولوجيا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، يأكل ويشرب ويتنفس ويخرج ويصرخ، يستمر في تعلم التكيف مع بيئته الاجتماعية والثقافية، مع الأم أولا التي ترضعه وتمنحه الحب والحنان وتشعره بالأمن والأمان، ثم يتواصل تدريجيا مع بيئته الاجتماعية حتى يصبح عنصرا منسجما مع بقية عناصرها فيخفف تكيفه معها من وطأة نظمها سواء كانت سياسية، اجتماعية، اقتصادية أو خلقية، ويؤدي تكيفه مع هذه النظم إلى تقبل أوضاعها لتصبح جزءا مهما من مكونات شخصيته ومن أعز ما يحرص عليه، فيتطور التكيف الاجتماعي

إلى التكيف الانفعالي الوجداني، أو التوافق النفسي كما سيتم الحديث عنه لاحقا(نفس المرجع ص ٢٧٢).

وعن «السلوك التكيفي» تقول الدكتورة انتصار يونس: إنه ذلك السلوك الذي يحاول من خلاله الفرد التغلب على الصعوبات أو العوائق التي تحول دون تحقيق حاجاته، ويمكننا القول بأن كل سلوك للكائن الحي يهدف إلى تحقيق التكيف، إلا أن ذلك لا يعني أن كل سلوك يؤدي حتما إلى التكيف السليم، فطريقة إشباع الفرد لحاجاته التي بواسطتها يتم التكيف الاجتماعي ليست بالأمر السهل، فذلك يتوقف على البيئة التي يعيش فيها الفرد وكذلك على تكوينه النفسي، فالإنسان يمر في حياته بسلسلة من مواقف معقدة تمليها عليه دوافعه وحاجاته التي تتطلب الاستجابة لها تعديلا مستمرا للسلوك لكي يتكيف معها، ويتوقف مدى تكيف الفرد على مدى قدرته، وعلى الوسيلة التي يتبعها لإشباع حاجاته (١٩٨٣:٣٣٥).

ولكن لا يعني ذلك أن عدم تكيف الفرد في بيئة ما يعد مؤشرا بالضرورة على عدم السواء بالنسبة له، فتكيف الإنسان وانسجامه مع بيئة متخلفة مثلا يعتبر أمرا غير محمود، يقول جمال الدين: « عندما يكون الوسط الذي أرغمتك ظروفك على العيش فيه أحمق وغير راشد فمن علامات الفعالية ألا تنسجم معه إلا بمقدار ما تريد تغييره، أو تكون الشاهد الراشد الذي يرقب المرض ويبحث عن وسيلة لشفاء المريض» (٢٠٠٦:١٨٣).

لذا يمكن القول بأنه لا توجد لحظة من حياة الإنسان خالية من عملية تكيف، فالتكيف هو كل أنواع السلوك التي يقوم بها الفرد لمواجهة المواقف المتجددة في حياته.

التوافق النفسي Self- Adjustment

يرى علماء النفس أن التوافق يتضمن تفاعلا متصلا بين الشخصية والبيئة

ويتأثر كل منهما بالآخر، الأمر الذي يؤدي إلى خفض التوتر والتحرر من الإحباطات والصراعات، وهم كثيرا ما يربطون بين التوافق والتكيف Adaptation، إلا أنه يمكن الإشارة إلى أن التكيف يعني محاولة الفرد إحداث نوع من التواؤم والتوازن بينه وبين بيئته الاجتماعية والمادية، وذلك عن طريق الامتثال للبيئة أو التحكم فيها أو إيجاد حل وسط بينه وبينها (أسعد، الأمارة: د.ت). بينما التوافق النفسي كما تعرفه كل من الدكتورة وداد الموصلي والدكتور حسن عبد الغني محمود يعني « التحرر من توتر الحاجة، والشعور بالارتياح بعد تحقيق الهدف» (٢٠٠٧:١١٩).

ومثال ذلك ما يحدث للفرد عندما يتناول الطعام بعد شعوره بالجوع، وقتها يخف لدى الفرد الإحساس بالجوع ويشعر بالارتياح، ونفس الشيء يحدث له عندما يتعرض للتعب ويحصل على قسط من الراحة، وهناك كثير من الأمثلة يسعى الإنسان من خلالها لتحقيق طموحاته، وكلما استطاع الفرد تحقيق الأهداف التي وضعها بسهولة ويسر يصبح أكثر توافقا مع نفسه وبيئته، ولكن عندما يتعذر تحقيق الأهداف يتعرض الفرد للإحباط والصراع والقلق، ويلجأ إلى الحيل الدفاعية والنفسية (نفس المرجع، ص ١١٩) ويستخدم لفظ التوافق كمصطلح سيكولوجي أكثر من كونه سوسيولوجي ليعني إيجاد تناسق بين فرد أو جماعة من جهة وموقف اجتماعي معين من جهة أخرى (بدوي، أحمد ١٩٧٨:٨).

وإذا ما أخذنا بمبدأ أن التوافق يعني عملية إشباع للحاجات النفسية والاجتماعية فعلينا أن نعلم أن الشخص لا يتكفل بتنظيم إشباع حاجاته فقط، بل قد يتعرض لصراع بين هذه الحاجات يتوجب عليه إزاءها أن يتعلم كيف يواجه المواقف التي تتصارع فيها هذه الحاجات، وتنشأ مشكلة صراع الحاجات النفسية عند حدوث تعارض بين إشباع حاجة وإشباع حاجة أخرى، بحيث يؤدي إشباع

الحاجة الأولى إلى إحباط الثانية (المحيسني، محمد عثمان ٢٥٩: 2001).

وبحسب كل من الدكتورة وداد الموصلي والدكتور محمود حسن عبد الغني فإن «الفرد الأكثر توافقا هو الفرد الأنجح في إشباع حاجاته من خلال فعالياته الاجتماعية، وهو الفرد الذي يتمتع بمستوى أعلى للصحة النفسية (٦١:٢٠٠٧).

ويمكن توضيح عملية التوافق النفسي من خلال أمرين:

أولا: التوافق النفسي من حيث كونه عملية سلوكية، فإن ذلك سيؤدي إلى التكيف، بمعنى أنه عندما يسعى الفرد إلى تحقيق التوافق فعليه أن يتخذ سلوكا معينا من شأنه أن يؤدي إلى إشباع حاجاته الداخلية والخارجية، وحل الصراع إذا ما نشأ بين هذه الحاجات نتيجة التناقضات بينها، وهذه العملية السلوكية التي يقوم بها الفرد في مواجهة حاجاته وحل الصراع بينها هي التي تحقق له التوافق النفسي في النهاية.

ثانيا: التوافق من حيث كونه تحصيلا أو إنجازا، يعني أن الفرد منذ طفولته يتعلم طرقا معينة لمواجهة مواقف معينة، ويعتمد نوع التوافق على طريقة التعلم، فمن تعلم طرقا سليمة يكون توافقه حسنا، ومن كانت طريقة تعلمه غير سليمة فيكون سيئ التوافق (المحيسني، محمد عثمان ٢٥٩:٢٠٠١).

الحاجات Needs

رغم أن اهتمام هذا الكتاب ينصب على مرحلتي الطفولة والمراهقة من مراحل النمو البشري إلا أن الإشارة إلى الحاجات في هذا الفصل يقصد بها ما يخص الإنسان بشكل عام، وستتم مناقشة أهم حاجات النمو لمرحلتي الطفولة والمراهقة في فصول لاحقة.

كلمة الحاجة هي مفهوم افتراضي يشير إلى افتقاد الكائن الحي لشيء ما

(معنوي أو مادي) ينتج عنه نوع من التوتر يدفع الكائن الحي إلى النشاط والاستمرار فيه، ومحاولة إشباع الحاجة المفتقدة، فيعود إليه بالتالي توازنه الداخلي homestasis (الموصلي، وداد؛ ومحمود، حسن عبد الغني ٦٧:٢٠٠٧ ؛ الشوربجي، نبيلة ١٢٦: ٢٠٠٥).

ومن الحاجات مايعتبر أمرا ضروريا، لا بد من إشباعه لكي تستمر الحياة، ومثل ذلك إشباع الحاجة الفسيولوجية كالحاجة إلى الهواء والماء والطعام ودرجة الحرارة المناسبة والراحة والنوم، فهي لذلك تسمى الحاجات الأولية Primary needs، وتسمى أيضا الحاجات الأساسية Basic needs، وهناك أيضا الحاجات التي يؤدي إشباعها إلى أن يعيش الإنسان حياة أكثر سعادة، وتعرف بالحاجات النفسية Psychological Needs، وهي التي تحقق التوازن النفسي والانتظام في الحياة، وإذا ما أضيف لذلك المبادئ الأخلاقية كتحقيق قيم الحق والجمال والخير والتي تعتبر من الأولويات على سلم الأخلاق، فإن ذلك يعزز قوة الحياة السعيدة وإمكانية دوامها، لذلك يطلق عليها البعض Meta-needs (زهران، حامد ٣٢: ٢٠٠٥ ؛ الشوربجي، نبيلة ١٢٦: ٢٠٠٥).

ومن الناحية الشعورية تنقسم الحاجات إلى نوعين: فهناك حاجات شعورية ويمكن الاستدلال عليها من إقرار الفرد بوجودها، ومن خلال سلوكه وملاحظة تعابير وجهه وإشاراته ونغمة صوته، أما الحاجات اللاشعورية فيستدل عليها من فلتات اللسان وتحليل محتوى الأحلام والنسيان (الموصلي، وداد ومحمود، حسن عبد الغني ٦٨:٢٠٠٧).

كما تتراوح درجة أهمية الحاجات من نوع إلى آخر، فالحاجة إلى الأوكسجين تعد أمرا ضروريا للبقاء على قيد الحياة، أما الحاجة إلى الحب فكثيرا ما تتأثر شخصية الفرد بها سلبا أو إيجابا وفقا لمدى إشباع تلك الحاجات والطريقة

الصحيحة لإشباعها، فيصبح الفرد في حالة إشباعها متوافقا نفسيا والعكس صحيح، ولا بد للمعالج النفسي أو الاجتماعي من فهم حاجات الفرد وكيفية إشباعها، وذلك لكي يستطيع أن يصل به إلى مستوى أفضل في نموه النفسي والتوافق النفسي.

وفيما يلي نلقي الضوء على أهم الحاجات، وكيفية تأثيرها على شخصية الفرد وسلوكه:

الحاجة إلى الحب: يشترك جميع أفراد النوع البشري في الحاجة إلى الاستجابة العاطفية والحب والقبول أو التقبل الاجتماعي والأصدقاء والشعبية، وهي من أهم الحاجات النفسية اللازمة لصحة الفرد النفسية، ولا شك أن كل فرد يسعى إلى أن ينضم إلى جماعة وإلى بيئة اجتماعية صديقة تلائمه من حيث الميول والعواطف والأهواء، ويجمع بينهم رباط متين، وهؤلاء الأفراد الذين يشبهونه ويشاركونه في صفاته وعواطفه يستجيبون بسهولة لعواطفه، ويسعدهم ويسعد بهم.

الحاجة إلى الأمن: أي الحاجة إلى الشعور بأن البيئة الاجتماعية بيئة صديقة، وشعور الفرد بأن الآخرين يحترمونه ويقبلونه داخل الجماعة، وهي من أهم الحاجات الأساسية اللازمة للنمو النفسي السوي والتوافق النفسي والصحة النفسية للفرد، وتظهر هذه الحاجة واضحة في تجنب الخطر والمخاطرة وفي اتجاهات الحذر والمحافظة، وتتضح الحاجة إلى الأمن في الطفل الذي يحتاج إلى رعاية الكبار حتى يستطيع البقاء، والحاجة إلى الأمن تستوجب الاستقرار الاجتماعي والأمن الأسري، والفرد الذي يشعر بالأمن والإشباع في بيئته الاجتماعية المباشرة في الأسرة يميل إلى أن يعمم هذا الشعور ويرى البيئة الاجتماعية الواسعة مشبعة لحاجاته، ويرى في الناس الخير والحب ويتعاون معهم، إن الحاجة إلى الأمن تدفع الشخص إلى التجمع مع الآخرين وعمل كل ما

من شأنه تحقيق تقبل الجماعة له، ونحن نعرف أن المرض النفسي نوع من فقدان الأمن، والإيمان هو الدواء لفقدان الأمان.

الحاجة إلى تأكيد الذات: يميل الفرد إلى معرفة ذاته وتأكيدها وتحقيقها بدافع من الحاجة إلى التقدير والمكانة والاعتراف والاستقلال والاعتماد على النفس وإظهار السلطة على الغير، والرغبة في التزعم والقيادة، وتدفع هذه الحاجة الإنسان إلى تحسين الذات، وإلى السعي دائمًا للإنجاز والتحصيل لإحراز المكانة والقيمة الاجتماعية والاعتراف من الآخرين، وتؤدي إلى النمو السوي، والتغلب على العوائق، والعمل لتحقيق هدف معين (زهران، حامد ٣٣-٣٤: ٢٠٠٥).

ويعتبر إشباع دوافع السلوك وحاجات الفرد شرطا أساسيا لتحقيق التوافق النفسي وعاملا مباشرا لإحداثه لدى الأفراد (زهران، حامد ٣٠: ٢٠٠٥). كما أن هذا الإشباع يعتبر من العوامل المهمة لحدوث عملية التكيف، وإذا لم تشبع هذه الحاجات، عضوية كانت أو نفسية، فإنها تجنح إلى محاولة إشباعها بأي وسيلة، وقد تكون هذه الوسيلة غير سوية لا يقرها المجتمع وهنا ينحرف الفرد (الصابوني، معتز ١٤٨: ٢٠٠٦).

تعرضنا أعلاه إلى أهم الحاجات الأولية والثانوية، وعرفنا أنه لكي يتمتع الإنسان بالصحة النفسية لابد أن يتم إشباع تلك الحاجات بالطرق المشروعة والمتعارف عليها، وإن كان ذلك يشكل ضرورات الحياة السليمة للبالغ، فإن إشباع حاجات الأبناء في مراحل النمو المختلفة، تمثل الأهمية القصوى في تنشئته تنشئة سليمة، ويكتسب بذلك شخصية سوية قادرة على التكيف الاجتماعي والتوافق النفسي ليساهم في مجتمعه وأمته بفعالية وبطريقة بناءة.

وهذا يقتضي إلقاء الضوء على أهم مطالب النمو خلال مرحلتي الطفولة والمراهقة كل على حدة.

تطور نمو الأبناء ومتطلبات المراحل

الفصل الثالث

حاجات النمو في مرحلة الطفولة



تعتبر مرحلة الطفولة من المراحل المهمة في مسيرة حياة الفرد، فأطفال اليوم هم رجال الغد وبناة مستقبله، إلا أنه لا بد من الوضع في الاعتبار أن جيل اليوم خلقوا لزمان غير الزمان الذي عشناه، والطفل الذي نخطط اليوم لرعايته لكي ينمو نموا سليما، سيعمل ويتعامل مع الحياة بعد فترة من الزمن تختلف عما نحن فيه اليوم، وهذه الخاصية الزمنية هي ما يجب علينا مراعاته، كما يجب الحرص على أن يتضمن برنامج رعاية الطفل كافة المظاهر الجسمية والعقلية والاجتماعية. فالطفل كائن اجتماعي ينمو وفق سياق اجتماعي منذ اللحظة الأولى لميلاده، ويحتاج إلى رعاية مستمرة تلبي احتياجاته الأساسية التي تتماشى مع حياة اجتماعية تتسم بالتغير المستمر والمتسارع.

أهمية الرعاية الأساسية لنمو الطفل

لقد كانت أسس رعاية الطفل من صميم اهتمام الباحثين في الشئون التربوية والنفسية، حيث عقدت الندوات والمؤتمرات لتقديم أنجع الطرق التربوية والنفسية في تشكيل جيل خال من الأمراض الجسمية والاجتماعية والنفسية، وكانت «وثيقة عقد حماية الطفل المصري ١٩٨٩-١٩٩٩»، تصب في هذا الإطار حيث أجريت دراسة ميدانية في مصر بهدف استخدام وسائل العصر لرعاية الأطفال وحمايتهم وصيانة حقوقهم (زهران، حامد؛ وسري، إجلال ١٢١:١٩٩٢).

وأكدت الوثيقة على أن تلبية احتياجات الأطفال هي الوسيلة المثلى لتحقيق التنمية البشرية والقومية، وكان من بين محاورها عملية النمو الاجتماعي، وأهم ما تمخضت عنه في هذا الموضوع التوصيات التالية:

توصيات تتعلق بنمو الأبناء بشكل عام:

- تحقيق مطالب النمو الاجتماعي، ومن بينها: تعلم الفروق بين الجنسين، والتوحد مع أفراد نفس الجنس، وتعلم الدور الجنسي في الحياة، وتعليم

المهارات الأساسية اللازمة لشئون الحياة اليومية، وتعلم الطرق الواقعية في دراسة البيئة والتحكم فيها، وتعلم قواعد الأمن والسلامة، وتكوين المفاهيم والمدركات الخاصة بالحياة اليومية والمشاركة في تحمل المسؤولية، وتعلم ممارسة الاستقلال الشخصي، وتكوين مفاهيم بسيطة عن الواقع الاجتماعي ونمو مفهوم الذات واكتساب اتجاه سليم نحو الذات، والشعور بالثقة في الذات وفي الآخرين.

- التوعية المستمرة بأهمية استمرار تحقيق مطالب النمو الاجتماعي ضمن مطالب النمو في كافة مظاهره الأخرى.

توصيات تتعلق بإشباع الحاجات الأساسية لمرحلة الطفولة:

- إشباع حاجات الطفل مثل الحاجة إلى الرعاية والأمن والحب والتقبل والحنان والفهم واللعب والحرية والاستقلال والإنجاز والمدح من قبل الوالدين والمربين والأقران.
- التحذير من خطر الحرمان ونقص إشباع الحاجات الأساسية كسبب رئيسي للمشكلات والاضطرابات والأمراض النفسية (زهران، حامد؛ وسري، إجلال ١٩٩٢:١٢٧).

الحاجات المتعددة لنمو الطفل:

ويرى الدكتور حامد زهران (٢٠٠٥) أن معرفة حاجات نمو الفرد والمستويات الضرورية التي تحدد خطواتها تفيد في توجيه العملية التربوية، كما تبين مدى إشباع الفرد لحاجاته وفقا لمستوى نضجه وتطور خبراته أثناء المرحلة العمرية التي يمر بها. وتحدث مطالب النمو نتيجة تفاعل مظاهر النمو العضوي (كما في تعلم المشي)، وآثار الثقافة القائمة (كما في تعلم القراءة)، وغيرها وفقا لكل مرحلة عمرية للفرد.

كما يشير حامد زهران إلى أهم حاجات النمو في مرحلة الطفولة، كالتالي:

- المحافظة على الحياة.
- تعلم المشي.
- تعلم استخدام العضلات الصغيرة.
- تعلم الأكل.
- تعلم الكلام.
- تعلم ضبط الإخراج وعاداته.
- تعلم الفروق بين الجنسين.
- تعلم المهارات الجسمية الحركية اللازمة للألعاب وألوان النشاط العادية.
- تحقيق التوازن الفسيولوجي.
- تعلم المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب.
- تعلم المهارات العقلية المعرفية الأخرى اللازمة لشؤون الحياة اليومية.
- تعلم الطرق الواقعية في دراسة البيئة والتحكم فيها.
- تعلم قواعد الأمن والسلامة.
- تعلم ما ينبغي توقعه من الآخرين كالوالدين والرفاق وغيرهم.
- تعلم مهارات التفاعل الاجتماعي مع رفاق السن وتكوين الصداقات والاتصال بالآخرين.
- تعلم التمييز بين الصواب والخطأ والخير والشر ومعايير الأخلاق والقيم.
- تعلم الدور في الحياة، والتوحد مع أفراد نفس الجنس.
- تكوين اتجاهات سليمة نحو الجماعات والمؤسسات والمنظمات

الاجتماعية.

- تكوين المفاهيم والمدركات الخاصة بالحياة اليومية.
- تعلم المشاركة في المسؤولية.
- تعلم وممارسة الاستقلال الشخصي.
- تكوين مفاهيم بسيطة عن الواقع الاجتماعي.
- نمو مفهوم الذات واكتساب الثقة في الذات وفي الآخرين.
- تحقيق الأمن الانفعالي.
- تعلم الارتباط الانفعالي بالوالدين والإخوة والآخرين.
- تعلم ضبط الانفعالات وضبط النفس (زهران، حامد(١) ٩٧ : ٢٠٠٥).
- تتضمن القائمة أعلاه مجموعة من المتطلبات أو الاحتياجات اللازمة لنمو

الطفل، ويمكن تقسيم هذه الاحتياجات (انظر: القناوي، هدى ٢٠٠٨) إلى ثلاث مجموعات؛ هي:

- حاجات النمو الجسمية والفسيولوجية.
- حاجات النمو الانفعالية والاجتماعية.
- ❊ حاجات النمو العقلية.

وبمعرفة الآباء والمربين لاحتياجات الطفل المتنوعة يمكنهم أن يقوموا بتنشئة الطفل تنشئة سليمة، وسنتناول مناقشة كل مجموعة من مجموعات النمو على حدة وكيفية إشباعها:

(١) استخدم، في هذا المؤلف، عدة مراجع للدكتور حامد زهران إصدار ٢٠٠٥، وغالبا كلها تحمل نفس الموضوع، لذلك لم يميز بينها في متن المؤلف.

أولا: حاجات النمو الجسمية والفسيولوجية

تتمثل الاحتياجات الجسمية في الحاجة إلى الغذاء والشراب؛ الحاجة للإخراج والتخلص من الفضلات، الحاجة للنوم والراحة؛ الحاجة للحركة والنشاط. ويعتبر إشباع حاجات الطفل بالغذاء والشراب ضروريا لصحته وسلامة نموه، فمن خلالهما يستمد جسم الطفل الطاقة التي يحتاجها للقيام بنشاطه البدني والذهني، وللغذاء فائدة كبيرة في إصلاح الخلايا التالفة وإعادة بنائها، وكذلك تكوين خلايا جديدة، كما يساعد على زيادة مناعة الجسم ضد بعض الأمراض والوقاية منها(قناوي، هدى ٩٦:٢٠٠٨).

وعلى الأم أن تعي أن أهمية رعاية الطفل الغذائية تبدأ قبل مولده، فالأم أثناء الحمل تكون مصدر غذاء الجنين، لذا لا بد أن يكون غذاؤها كاملا ومتنوعا، فسوء التغذية أثناء فترة الحمل يعيق عملية النمو عند الجنين بشكل عام، فمثلا نقص مادة البروتين من غذاء الأم له تأثير سلبي على صحة الجنين من حيث الوزن والطول وتكون العظام، وكذلك يؤدي نقص الفيتامينات (A-B-D-E) في غذاء الأم إلى فقر الدم والهزال لدى الجنين، وربما تنتج عن ذلك مستقبلا آثار خطيرة على صحته، كالتخلف العقلي والكساح (المصري، سلمى ١٢٢ :٢٠١٠).

كذلك يتأثر الجنين سلبا بالأمراض التي تصاب بها الأم، خاصة في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل، فمرض الزهري إذا ما أصيبت به الأم قد يؤدي إلى التخلف العقلي أو الصمم أو العمى عند الجنين، ورغم أن الحصبة الألمانية لا تظهر أعراضها على الأم إلا أنها قد تصيب الجنين بالإعاقة في وظائف أجهزة الجسم، كذلك فإن اضطراب إفراز الغدد الصماء عند الأم يعيق عملية النمو العام عند الجنين(المصري، سلمى ١٢٣ :٢٠١٠). وهنا يكون إشباع حاجة الطفل لإمداده بالتغذية والمحافظة على سلامته، يقع على عاتق الأم الحامل، لذا عليها أن

تهتم بتغذيتها وبصحتها العامة إذا ما أرادت أن تحافظ على سلامة طفلها مستقبلا.

ومن الأمور الضارة أيضا على الجنين أثناء فترة الحمل تعاطي المرأة الحامل للعقاقير دون رقابة الطبيب، خاصة في الشهور الأولى من الحمل قد تكون له عواقب وخيمة على صحة الجنين. كما أن إدمان الأم على الخمر أو المخدرات أو الإفراط في التدخين يحدث تغييرا كيميائيا في دمها، ويؤثر على صحتها النفسية، ويلحق ذلك الضرر بالجنين(المصري، سلمى ١٢٣ :٢٠١٠).

أما غذاء الطفل بعد الولادة فيتمثل أفضله في الرضاعة الطبيعية، فهي الأداة التي تؤمن للطفل الحاجات النفسية والشعور بالطمأنينة والأمن، فلبن الأم يعتبر أفضل غذاء للطفل منذ لحظة الميلاد وقد يستمر لمدة سنتين. وبإرضاعه الطبيعي في اليومين الأولين يحصل المولود على مادة «الكولستروم»، وتمد هذه المادة المولود بقوة تساعده على مقاومة العدوى في الشهور الأولى من حياته، فلبن الأم ضروري على الأقل في عامه الأول، فهو يحتوي على مكونات غذائية تكون أكثر ملائمة لاحتياجات الطفل الصحية عن الألبان الصناعية (قناوي، هدى ٢٠٠٨:٩٧).

وعندما يصل الطفل سن ٣-٦ على القائمين على تربيته أن يعودوا الطفل على تناول الغذاء المفيد المتكامل العناصر الغذائية، واتباع النظام والنظافة والاعتماد على النفس، ومن المهم ألا يجبر الطفل على تناول طعام معين، أو يكره على تناول كمية أكبر من طاقته، فلن يضير صحته شيئا أن يبقى بدون طعام لوجبة أو وجبتين بقدر الضرر الذي سيصيبه إذا ما أجبر على أكل لا يرغب فيه (قناوي، هدى ٢٠٠٨:١٠٠).

وتعتبر عملية الإخراج :elimination كالتبول والتبرز من الحاجات العضوية الضرورية لحياة الطفل، والسن الطبيعي الذي يتمكن فيه الطفل من ضبط الأمعاء هو سن ١٢ شهرا، أما ضبط المثانة فيكون بعد أن يبلغ السنتين، وكثير من الأمهات يبدأن التدريب على ضبط وظائف الأمعاء فيما بين الشهر التاسع والرابع

عشر، ويكملن تمرين الطفل في الثامن عشر إلى العشرين شهرا. ومن المفيد أن نعلم أن الأمهات اللاتي يبدأن تدريب أطفالهن متأخرا يحتجن إلى فترة زمنية أقل حتى يتمكن الطفل من عملية الإخراج بمفرده (قناوي، هدى ١٠٥: ٢٠٠٨).

ومن الحاجات التي تتطلبها عملية النمو حصول الطفل على الراحة والنوم، فسرعة نمو الطفل في هذه المرحلة تستدعي مجهودا كبيرا لهدم الأنسجة وبنائها، وهي العملية التي تحدث بسرعة وبشدة أثناء قيام الطفل بالأنشطة المختلفة. وهنا يكون نوم الطفل عاملا مهما لتعويض ما يبذله من مجهود، فتحفظ بذلك الطاقة التي تتطلبها عملية النمو، ويتم إصلاح ما أصاب الأنسجة من تلف، فيحافظ الجسم على توازن التكوين الكيميائي والعمليات الفسيولوجية (قناوي، هدى ١١١: ٢٠٠٨).

ومن الحاجات العضوية أيضا لنمو الطفل، حاجته للعب والنشاط والحركة، فهي ضرورية لإحساس الطفل باللذة وتجلب له السرور، وتفوق فائدتها المستقبلية على صحة الطفل فائدتها في الوقت الحاضر، ولا تقتصر على الفوائد الجسمية بل تتعداها إلى الفوائد العقلية والانفعالية والاجتماعية(قناوي، هدى ١١٤: ٢٠٠٨).

ثانيا: حاجات النمو الانفعالية والاجتماعية

يجب أن لا تقتصر تربية الآباء لأبنائهم على إشباع حاجاتهم الفسيولوجية فقط، وإنما لا بد من إعطاء اهتمام كاف بمقومات شخصيتهم. وهنا تلعب التربية دورا كبيرا، يقول الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي(٢٠٠٠): التربية كما هو معلوم، «ليست نحتا في شخصية الطفل فقط، ولكنها إغناء لشخصيته، وذلك من خلال توفير كل ما يسمح بنمو شخصيته نموًا صحيحًا متكاملا»(ص ١١٨).

إن إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية للطفل أثناء مراحل العمر المختلفة وبطرق سليمة، تؤهله أن ينمو نموا طبيعيا، في ظل حياة سوية خالية من العقد والأمراض النفسية. وتتمثل هذه الحاجات في الأمن والعطف والتقدير والحرية وغيرها.

وترى هونري أن إشباع حاجة الأمان هي الحاجة الجوهرية الثانية للطفل، بعد إشباع حاجته الجوهرية الأولى المتمثلة في كل ما هو فسيولوجي، من طعام وماء ونور ...الخ. وتأتي أهمية إشباع حاجة الطفل للأمن باعتبار ذلك دافعا أساسيا لدى الطفل الذي لابد أن يشعر بأنه محبوب ومرغوب ومحمي من الخطر ومن عدوان الآخرين عليه.

وتؤكد هونري أن الطفل يعتمد اعتمادا كليا على والديه في إشباع حاجته إلى الأمان، وعندما يمنح الوالدان الطفل مشاعر الدفء والحنان والعاطفة، فإنهما بذلك يشبعان حاجته إلى الأمن، ويهيئانه إلى أن ينمو نما نموا سليما، والعكس هو الصحيح، فثمة عدد من أنماط السلوك الوالدية من شأنها أن تحبط حاجة الطفل إلى الأمن، منها مثلا التمييز بين الأبناء والعقاب الظالم والسخرية منه وعدم الوفاء بالوعد، وكذلك من الأمور التي تلحق بالطفل ضررا الحماية الزائدة، كل ذلك بالإضافة إلى التمييز بينه وبين إخوته أو أحدهم، وتنشأ العدوانية بأشكالها المتنوعة نتيجة لسوء المعاملة الوالدية. وتضيف هنري إن شعور الطفل بعدم الأمان يولد لديه مشاعر بالعجز والخوف والإحساس القوي بالذنب، غير أن هذه المشاعر العدائية تجاه الوالدين يتم كبتها، ولكنها ولسوء الحظ تفرض نفسها على علاقات الطفل المستقبلية مع الآخرين، وبالتالي يصاب الطفل بما يمكن تسميته « بالقلق الأساس» حيث يشعر بأنه وحيد وعاجز، وخائف تملؤه مشاعر عدائية تجاه الآخرين« (عيد، إبراهيم محمد١٢٨:٢٠٠٦).

إن إشباع متطلبات النمو النفسي للمولود والرضيع، يمثل أهم العوامل لإطلاق إمكانات شخصيته وتحريرها، وتوظيفها، ويتمثل ذلك في مدى ما يقدمه المحيطون به، وخاصة الوالدين، من حب وتقدير. ومن أهم ركائز الحياة الانفعالية لدى الطفل التفاعل العاطفي بينه وبين بيئته الأسرية والمدرسية، إن ما يهيئه له الكبار، من آباء ومدرسين وغيرهم، من ناحية وما يكنه هو لهم من الحب، له عظيم الأثر على صحته

النفسية. وكل ما يسبب له من انزعاج أو اعتداء على ما يحبه الطفل يؤدي إلى إحساسه بالغيرة الشديدة أو بعدم الاتزان الانفعالي، فالأطفال الذين يشعرون أنهم منبوذون من ذويهم أو أنهم غير مرغوب بهم قد يكونون عرضة لكثير من مشكلات التوافق النفسي (الأشول، عادل ٢٠٠٨:٤١٩).

وجدير بالذكر أن بوادر الحب عند الطفل تتضح في الشهور الأولى من حياته، ويلعب الحب دورا كبيرا في تطور شخصيته نحو النضج والاتزان. وما من شك أن الشخص يظل طيلة حياته تواقا إلى أن يكون مرغوبا فيه وبأنه ينتمي إلى جماعة معينة، يتبادل معها مشاعر الولاء والإخلاص، وإشباع هذه المشاعر في فترة الطفولة، لا تمنح الطفل الرضا والأمن فقط، بل أيضا تزوده بالقدرة في مواجهة ما يعترض حياته من عقبات في مستقبل حياته. وحرمان الطفل من هذه المشاعر، والتقليل من أهميته مقارنة بمن يعيش معهم تولد عنده الإحساس بالغبن وتسرب في ذاته مشاعر العدوان التي قد تتجه نحو الذات أو نحو الآخرين (الأشول، عادل ٢٠٠٨:٤٢٠).

ويقتضي إشباع الحاجات العاطفية والاجتماعية للطفل إدراك المحيطين به بمدى هذه الأهمية وكيفية إشباعها، ويقول الدكتور عدنان السبيعي:

« إننا من أجل أن ندرك خصائص النمو النفسي للطفل في مرحلة المهد مطالبون بأن نفهم طبيعة المواجهة التي تقوم بينه وبين الكبار (الذين يقومون على رعايته) وهي مواجهة تؤدي إلى وقوع تعارض بين ما يحتاج إليه من جهة والتوقعات الثقافية الاجتماعية التي يعيش فيها من جهة أخرى. وتتمثل هذه التوقعات فيما نسميه مقتضيات النمو: يجب أن تتحقق لدى طفل المهد وخلال مرحلة السنتين الأولى من حياته مطالب تعد ضرورية لتؤكد سلامة تكوينه وسوائه النفسي أهمها البدء بالفطام من الرضاعة وتعود تناول طعام جاف، تعلم الكلام، تعلم الزحف ثم المشي، اكتساب التعلق الاجتماعي بالوالدين والإخوة وكل

الآخرين بوجه عام، اكتساب مفهوم دوام الأشياء (فالأشياء تبقى موجودة ولـو غابـت عن أنظاره)، أما ما يشعر به الطفل فهو حاجته إلى إشباع المطالب الأساسية من الراحة والبعد عن الألم وحاجته إلى التنبـه والاسـتثارة وممارسـة النشـاط والتعلـق العـاطفي (فيحب ويحب) وحاجتـه للاسـتقرار والثبـات في المعاملـة هـذا إلى جانـب حاجتـه البيولوجية من تغذية وإخراج ونوم ... بشكل متوازن» (١٩٩٧:٩٢ -٢-).

وينصح الدكتور السبيعي بأهمية منح الثقة للرضيع والمولود، ويعتبر الثقة أساسـية في حياة البشر، بما يستوجب إعطاءها أولوية الاهتمام بأن تمنح لكل فرد في المجتمع ومـن كل مؤسساته، في الأسرة والمدرسة والنادي والعمل والدولة، وجدير بالـذكر أن الطفـل يمتلك منذ نشأته الأولى بعد الولادة مقدرة الإدراك وبطريقـة مباشـرة مـا يقـوم بـه ذووه تجاهه من رعاية أو إهمال، صواب أو خطأ، وهناك من الآباء من تتفـاوت درجـة عطائـه للأبناء من اهتمامه. وبمعرفة الآباء لحاجات الصغير واستجابتهم لهـا بطريقـة صـحيحة ومناسبة، يقابل هذه الاستجابة بثقته فيهم ويشعر أنـه معـزز ومكـرم وأن المحيطـين بـه سيلبون حاجاته عندما تتطلب إشباعها، وتتضح رغبات الطفل لإشـباع هـذه الحاجـات من خلال ملامحه وسلوكه، كإشراق الوجه والمرح اللذين تعبر عنهمـا هـذه الملامـح، ويمكن معرفة ذلك أيضا مـن تنـامي قدراتـه عـلى تحمـل تـأخر مطالبـه أو تأجيلهـا، إن إحساس الطفل بالثقة ما هو إلا قناعة انفعالية تساعده على الشعور بالتوحـد مـع محيطـه الاجتماعي (١٩٩٧:٩٩-٢-).

من الأمور المهمة أيضا، أن يجهد الآباء في تقوية ثقة الطفـل في نفسـه، وتعزيـز الطموح لديه، ويفيد كثيرا أن يقص الآباء على أبنائهم قصص عن الرجال مـن هـم أهل الصلاح والنجاح والذين يمكن أن يمثلوا للنشء القدوة الحسنة في الأخـلاق والسلوك (بكار، عبد الكريم ٢٠٠٩:٤٠).

وعندما يفشل القائمون على رعاية الطفل في التعرف على حاجاته وتلبيتها، جهـلا أو تعمدا، تنتابه بذور الشك من المحيطين به، ويجب أن يسعى المحيطون بالطفل لتلبيـة

احتياجاته بالطريقة الصحيحة، أي ألا يتم التعامل معه باستخدام الشدة والخشونة، ولا يتجاهلوا ما يظهر عليه من توتر بسبب ما يتعرض له من مواقف. وهناك كثير من الآباء من يتعامل مع توترات الأبناء بطريقة خاطئة في الأسابيع الأولى من حياة الطفل، كأن تسارع الأم إلى إرضاعه أو تأخذ في أرجحته بمجرد أن يشرع في البكاء، بينما بكاؤه في الواقع ربما يكون نتيجة انزعاجه من الأصوات المنفرة أو الرغبة في شد انتباه الكبار من حوله إليه (نفس المرجع ص ١٠٠).

وباستمرار التعامل مع الطفل بالطرق الخاطئة تتكون لديه بذور سيئة قائمة على العشوائية وانعدام الفهم فتتزعزع ثقته بمن حوله، وقد تبدأ لديه استعدادات لإصابته بالاكتئاب والتقوقع على نفسه، وقد يؤدي ذلك إلى فقدان الشهية أو الامتناع عن اللعب وعدم الابتهاج بوجود الآخرين، وربما يلجأ الطفل إلى أسلوب المواجهة مع الكبار وفرض الذات، أو تخريب محتويات المنزل التي قد تؤول إلى مواقف عدوانية واتجاهات التدمير، وكل ذلك يعبر عن أهمية تكوين الثقة عند الطفل وضرورة التعامل معه بأسلوب التفاهم وتحقيق التكيف والارتقاء به إلى قمة التفاعل البناء، وفي جو كهذا مشبع بالثقة بين الطفل وأفراد أسرته من شأنه أن ينشط ويحفز جهود الطفل، فتتم إنجازات النمو منذ البداية لتكون بمثابة الصخرة التي يستند الطفل إليها ليكمل مراحل النمو بسلام (نفس المرجع ص ١٠١).

ويعتبر الشعور بالانتماء من الحاجات الاجتماعية الضرورية لنمو الطفل، وهو ضرورة لأي فرد في المجتمع الذي هو في حاجة لأن يشعر بأنه جزء من جماعة، يشتركون معا في المصالح المتبادلة ويشعر معهم بالحماية والمساندة، ويكون على استعداد أن يمدهم بتلك الأشياء كلما استطاع لذلك سبيلا، ومنذ بدء حياته تتطور الألفة بين الطفل وأسرته نتيجة المحبة التي تلقاها منهم إلى الولاء إلى مجتمعه الصغير – جماعات اللعب، الزملاء في الدراسة، في النادي– ثم ينتقل ولاؤه وانتماؤه إلى المجتمع الكبير (قناوي، هدى ١٥٩:٢٠٠٨).

ثالثا: حاجات النمو العقلية والمعرفية

هناك الكثير من المهارات العقلية التي يحتاج الطفل إلى تعلمها، ويتوجب على المؤسسات التربوية كالأسرة والمدرسة القيام بواجبهم تجاهه وتعليمها له وتدريبه عليها. منها المهارات العقلية المعرفية التي يحتاجها في ممارسته لشئون الحياة، ومنها تمكنه من تعلم المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب وتطويرها وفقا للمراحل الدراسية أثناء مرحلة الطفولة. وكذلك تحفيز الرغبة لديه وإشباعها بمعرفة ما يحيط به من بيئة وكيفية اكتشافها. إن إشباع هذه الحاجات العقلية تصقل شخصية الطفل تدريجيا، وتنمي مواهبه، فمرحلة الطفولة تتصف بعدم اكتمال نضج الجهاز العصبي، لذلك فإن القدرات العقلية للطفل في مرحلة الطفولة المبكرة لا تظهر بشكل واضح، ويصبح تفكيره ماديا وحسيا لا يستطيع التفكير في الأمور المعنوية المجردة؛ مثل: معنى الحق والخير والجمال والشر أو الواجب، ولا يكون باستطاعته التفكير إلا في الأمور الشخصية التي يلمسها بحواسه المختلفة (عيسوي، عبد الرحمن ٨٤:١٩٨٤).

وعن طريق الحواس التي تعتبر منافذه للمعرفة يتعرف الطفل على العالم الخارجي منذ أولى مراحل عمره، ويصل بذلك إلى معرفته للأشياء، أي المستوى الإدراكي، تليها قدرة الطفل على التذكر واسترجاع الصور الذهنية التي مرت عليه سمعية كانت أو بصرية. وأخيرا يأتي مستوى العلاقات، ويشمل مهارات التفكير وعملياته والوصول إلى حلول المشكلات مرورا بسلسلة متتابعة لمفاهيم رمزية ومعان محددة (قناوي، هدى ١٢٣:٢٠٠٨). فالطفل في حاجة دائما إلى أن ينمي إدراكه للأشياء مما يحتم على المربين مراعاة ذلك ومساعدته في تدريبه على ذلك، وبذلك يمكن للطفل أن يصل إلى أكبر قدر من النضج العقلي، من ناحية أخرى قد يتعرض الطفل لمشكلة أو عائق ما، ويحاول إيجاد حل مناسب لاجتياز ذلك،

ومعرفة أي الطرق يتخذها لكي تؤهله إلى الوصول للحل المناسب بدقة وسهولة، وهذا يتطلب أن تكون لديه الخبرة في اتباع التفكير العلمي السليم في تحقيق ذلك، فمن الأمور المهمة أن يتعلم الطفل كيفية حل المشكلات، ويحتاج ذلك إلى الممارسة والتدريب، وهنا يأتي دور المربين في مساعدة الطفل، ولكي يتم ذلك تنصح الدكتورة نوال محمد عطية (٩ - ٢٠٠١:١٠٧) المربين بالقيام بما يلي:

- تدريب الطفل منذ الصغر على طريقة التفكير العلمي السليم، قائمة على التوصل لسلوك معين لحل المشكلة التي تواجهه، فتتكون لديه عادة التفكير العلمي تدريجيا.

- إن التدريب على طرق لحل المشكلات في المواقف الحياتية البسيطة منذ البداية المبكرة في حياة الفرد من شأنه أن يؤدي إلى سهولة حل المشكلات الأكثر تعقيدا إذا ما حدثت في المراحل العمرية التالية، حيث يتم بذلك اكتساب عادة التفكير العلمي المنطقي السليم القائم على الفهم والتقصي والتروي والنظر للمشكلة من جميع جوانبها وأبعادها.

- ومن المفيد أن تكون الممارسة والتدريب لحل المشكلات بتوجيه الآخرين، بأن يصحح للطفل ويعرف أين أخطأ وأين أصاب، فتنمو مقدرته على التعرف على أنواع المشكلات وعلى كيفية الوصول للحلول السليمة لها.

- وبعد فترة من الممارسة والتدريب عندما يبدأ الطفل في حل المشكلات، يجب مراعاة أن يتأكد من أنه قد اكتسب الطرق الصحيحة بدقة وتفصيل كي يعالج المواقف الاجتماعية إذا ما تعرض لأي منها، معتمدا على ما تعلمه من أساسيات خبرها سابقا.

- إن الاهتمام بتكوين وتنمية المهارات العقلية لدى الطفل حول كل الموضوعات والمواقف التي قد يواجهها تعطيه المقدرة على اجتياز كثير من

العقبات بطريقة موضوعية وعلى أسس دقيقة.

- من الضروري أن يقوم المربون بمساعدة الطفل على التفكير السليم، وذلك بتوفير المعلومات والبيانات والمعارف التي تفيده في حل المشكلة، وتعليمه كيف يعيد ترتيب البيانات وتبويبها، وتعليمه إمكانية تقييمها واكتشاف العلاقات العامة والعناصر المشتركة في الموقف المشكل، والاستبصار والفهم وتركيز الانتباه لكل ما يحيط بالمشكلة.

- الاهتمام بالطفل منذ بداية تكوينه العقلي والنفسي، ومواجهة المواقف والمشكلات التي تثير انتباهه، والقيام بشرحها له بطريقة بسيطة خالية من التعقيد والغموض، ويتوخى فيها أن تتضمن مواقف تعليمية تثير دوافعه وتفكيره مع التأكد أنها تهدف إلى تعليمه السلوك العلمي والموضوعي في حل المشكلات.

- لا بد من الأخذ في الاعتبار أنه قد يخفق الطفل في معالجة المواقف والمشكلات، وفي هذه الحالة يجب الحذر من القائمين على تربية الطفل ألا يواجهوا خطأه بالعنف والتوبيخ واللوم والتأنيب أو أي نوع من أنواع العقاب، فإن ذلك يؤدي إلى عدم التوافق والتكيف، والفشل في المقدرة على اتخاذ القرارات.

وترتبط اللغة ارتباطا وثيقا بالنمو العقلي، كما أنها تعتبر أداة مهمة لاكتساب المعرفة، ويعود ضعف النمو اللغوي في بدء حياة الطفل إلى محدودية النضج البيولوجي، وذلك لعدم اكتمال عضلات اللسان والأحبال الصوتية التي تساعده على إخراج الكلمات والمقاطع (عيسوي، عبد الرحمن ٨٤:١٩٨٤).

ويتعلم الطفل الكلام تدريجيا عن طريق اختلاطه مع الآخرين، ورغم وجود الفروق الفردية بين الأطفال في مدى القدرة على تعلمهم الكلام، إلا أن الوالدين باستطاعتهما مساعدة الطفل في اكتسابه سرعة تعلمها، كأن يقوموا في البدء مثلا بتدعيم همهماته المبكرة وذلك من خلال إظهار المحبة له (في شكل ابتسامات وتدليلات أو

صيحات السرور) عندما يتكلم إلى حد ما كلاما مفهوما، ومن خلال هذا التفاعل بين الطفل ووالديه تشبع حاجة الطفل العاطفية، وعندما يستمر الوالدان في تدعيم محاولات الطفل المستمرة للنطق بالكلمات الصحيحة، كأن يلبوا رغبته بأن يقدموا له ما يريد، مثلا عندما يفهم منه أنه يريد شرب اللبن، ولا تقتصر فائدة تلبية الوالدين لطلبات الطفل على إمكانية زيادة تكرار الطلب عند الطفل وتعلمه للكلمات، بل أيضا تؤدي إلى ازدياد ميله للمطالبة بأشياء أخرى (لامبرت، وليم ؛ لامبرت وولاس ١٩٩٣:١٥٧).

ومن أبعاد النمو اللغوي عدد الكلمات وصياغة الجمل، فكلما تدرج الطفل في النمو كلما كانت الجمل اللفظية أطول، ويكون ذلك مؤشرا على مدى المقدرة اللفظية لدى الطفل (الأشول، عادل ٢٠٠٨:٢٩٣).

ويمكن أن يكون للأم مثلا دور مهم في تلقين الطفل اللغة، بحيث يكون ذلك عن طريق المحادثة في مواقف وأماكن متفرقة، ومن الأفضل أن تقوم بتدريبه على الكلمات الجديدة والمناسبة أثناء مشاركته ألعابه الخاصة، وخاصة تلك التي تحتوي على صور تهمه كصور أعضاء الأسرة المقربين منه، أو صور بعض الأشياء أو الحيوانات الجميلة التي يحبها، وبعد سن الثانية من عمر الطفل على الأم أن تعرض الأشياء والألوان على الجدار أو الشاشة وتطلب من الطفل أن يسميها، ويفيد أيضا أن تلعب الأم مع الطفل لعبة المترادفات مثل (حلو- جميل)، أو الكلمات المتغايرة مثل (بارد- حار) ومن المهم أن تتطور هذه الطرق وتنمو مع نموه، وتستطيع الأم الاستفادة من الأجهزة الحديثة في إسماع طفلها قصصا طريفة وأناشيد جميلة يستسيغها الطفل منذ سنواته الأولى من العمر، حتى تستقر في ذاكرته (الخميسي، أحمد ٢٠٠٦:٢٤).

وبعد أن يصبح الطفل قادرًا على الكلام، كأن يقص القصص ويحكي الحكايات ويطلب ما يريد ويعبر عن مشاعره بجمل بسيطة وقصيرة، يأتي دور الأسرة في أن تعلمه

القراءة، ومن الأفضل أن يكون ذلك في سن مناسب يكون فيه قادرا من الناحية العقلية والجسدية على الاستيعاب والجهد، خاليا من الأمراض، وأن يكون تقريبا ما بين الرابعة والسادسة من العمر، ويهيئه ذلك للمرحلة الأولى من التعليم.

فالقراءة عملية عقلية حسية معقدة، يتعرف القارئ بواسطتها على المعاني والدلالات والرموز التي تنطوي عليها المادة المكتوبة، وكما تعد القراءة نشاطا لغويا متميزا، فهي أداة من أدوات تحصيل الثقافة والمعرفة، وعلينا أن نتمعن في قراءة جملة بسيطة مثل (الكتاب خير جليس)، لنرى أنها تتم وفق الخطوات التالية:

١. رؤية الكلمات المكتوبة أو المطبوعة بحاسة البصر.

٢. تنقل هذه الرموز بواسطة العصب البصري إلى العقل فيدرك معناه منفردة ومجتمعة.

٣. ينفعل القارئ ويتأثر بما يقرأ.

وتتطلب هذه الخطوات من القارئ أن يمتلك القدرات والمهارات والاستعداد الجسمي والعقلي والعاطفي والتربوي، وأي نقص في هذه الجوانب قد يؤدي إلى قصور في عملية القراءة.

وبتعلم الطفل للقراءة تزداد معلوماته وتنمو أفكاره وتتكاثر ثروته اللغوية وتعظم خبرته في الحياة، كما تسهم القراءة في النمو العقلي لما تقدمه من ثقافة ومعرفة تساعد الطفل على استيعاب المواد الدراسية وتحقيق النجاح في نيل الشهادات العلمية في المستقبل (الخميسي، أحمد ٣٦:٢٠٠٦).

ومن الاحتياجات التي يتطلبها النمو العقلي للطفل أيضا ممارسة البحث والاستطلاع، وفي الشهر السابع من عمره يميل الطفل لحب الاستطلاع، ويزداد هذا الاهتمام مع تطور نموه، ويظهر ذلك في محاولات الطفل فحص كل ما يقع تحت

يديه، كأن نراه مثلا يتمعن في أي لعبة يقبضها بيديه أو يتطلع بعينيه للأشياء ويتابعها، وبهذا السلوك يحاول الطفل أن يتعرف على شيء جديد في بيته ويحاول اختباره، وما كل ذلك إلا إشباع لحاجة الطفل إلى المعرفة والبحث والاستطلاع، ومن هنا يكتسب الطفل معلوماته وتنمو معرفته وتزداد خبراته، وهكذا يساهم استعماله لعضلاته وحواسه في اكتساب مهارات البحث والاستطلاع (قناوي، هدى ١٢٤ :٢٠٠٨).

ولتنمية البحث والاستطلاع عند الطفل على المربين أن يستغلوا حاجته إليها لتدعيم نموه العقلي والمعرفي، وذلك بأن توجه رغبته إلى استكشاف ألوان متعددة من الثقافة وتشجيع على الاستفسار، وأن تتاح له فرصة أن يسمع ويرى ويتذوق ويشم ويحس ويفك لعبه ويركبها ويختبرها، وهكذا.

وتساعد المواد والأدوات المتعددة والمتنوعة التي يستخدمها الطفل كوسائل للتسلية في اتساع مداركه، فالتنوع في هذه الوسائل كاللعب والكتب والخرائط والكرات الأرضية والجداول الرياضية وسلاسل الألعاب التعليمية وأدوات المهن المختلفة، كأدوات الطبيب والمهندس والنجار وغيرها، كلها بإمكانها استثارة فضول الطفل فيتعجب منها ويفحصها ويتساءل ويفكر، وبذلك يكتسب الطفل ثقافة مجتمعه وخبراته (قناوي، هدى ١٢٦ :٢٠٠٨). ومن خلال اللعب يمارس الطفل نشاطه الذاتي والذي يجب أن يستغل من قبل المنزل والمدرسة بطريقة مثلى لإشباع حاجة الطفل للمعرفة.

وتشكل أسئلة الطفل التي يوجهها للكبار أمرا مهما لإشباع حاجته المعرفية، فيجب ألا يمل الكبار الإجابة عليها ولكن بطريقة تتناسب مع مستوى إدراك الطفل لها، فكثيرا ما يتهرب الآباء من الإجابة عن هذه الأسئلة أو يواجهونها بالغلظة والجفاء مما يؤدي إلى إحباط الطفل، وربما يقدم الآباء إجابات خاطئة ومضللة لجهلهم بالإجابة أو لكون تلك الأسئلة محرجة، ويعوق ذلك إشباع

الطفل فيقوده حب الاستطلاع الذي يميز سنه إلى البحث عنها في مكان آخر، الأمر الذي قد يؤدي إلى فقد الثقة في والديه وربما يؤدي لانحرافه.

ويساعد في زيادة خبرات الطفل أيضا توجيه انتباهه إلى المثيرات الطبيعية، كاختلاف الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم وتعاقب الفصول وتقلب الجو وتنوع النباتات والطيور والحيوانات والحشرات والأرض والسماء... إلى آخره، وكل ذلك يساهم في تكامل النمو العقلي.

كما يمكن للمجتمع أن يساهم بكل مؤسساته في إتاحة المجال للمثيرات والخبرات اللازمة لنمو الطفل وإشباع حاجته إلى البحث والاستطلاع والمعرفة، وذلك من خلال ما يعايشه من أعياد ومهرجانات واحتفالات، وكذلك مؤسسات المجتمع كدور العبادة والنوادي والسينما ومسرح العرائس وغيرها. وكل ذلك يمكن أن يكون مجالا يكتسب منها الطفل الخبرات، وبقدر ما يقدم للطفل من مثيرات بقدر ما يكتسب من خبرات تساعد على عمل استجابات صحيحة بعد توجيهها فتتكون ثقافته وتتحدد معالم شخصيته (قناوي، هدى١٢٦:٢٠٠٨).

وكلما أتيحت للطفل فرصة تلقي الخبرات والمعارف وتشجيعه للبحث عنها كان ذلك إسهاما في تنمية حب المعرفة لديه وإكسابه التوسع في الثقافة والنضج العقلي.

وهكذا يصبح إشباع حاجات الطفل المادية والمعنوية من أهم الأسس لبناء شخصية إيجابية تؤهله للانتقال لمرحلة صعبة ومهمة، هي مرحلة المراهقة، وتجنبه ما قد يصادفه من مشكلات فيها.



تطور نمو الأبناء ومتطلبات المراحل

الفصل الرابع

حاجات النمو في مرحلة المراهقة

المراهقة من الناحية النفسية والاجتماعية هي مرحلة الانتقال من المرحلة التي يعتمد فيها الفرد كطفل على الغير إلى إنسان بالغ يحاول الاستقلال معتمدا على ذاته وصولا به إلى سن الرشد، ويتطلب هذا الانتقال تحقيق توافقات جديدة بين المراهق والآخرين، وذلك في حدود ما تقتضيه الثقافة السائدة في المجتمع (الزعبي، أحمد محمد ٢٠٠٧:٢١٩). وهي تعتبر مرحلة طبيعية في حياة الإنسان، ولكنها مرحلة حرجة لها متطلبات أو حاجات تتسق مع الخصائص النمائية التي تميزها والتي لا بد من إشباعها بطرق مناسبة لكي يتمتع المراهق بحياة طبيعية.

وفي مجلة «الوعي الإسلامي» الصادرة في الكويت يوم ٣-٩-٢٠١٠ يقول حسام فتحي أبو جبارة: إن أهم مشكلات المراهقة تحدث نتيجة عدم فهم الوالدين لطبيعة هذه المرحلة، وكذلك عدم تهيئة الطفل في المرحلة السابقة لها، ومن هنا، ولكي تتم عملية الانتقال من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد بدون مشكلات، فقد حدد علماء النفس والاجتماع الحاجات الضرورية للنمو.

تصنيفات حاجات نمو الأبناء في فترة المراهقة

يصنف الباحثون حاجات النمو في سنوات المراهقة بطرق متعددة، وفي حدود الأدبيات التي اطلعنا عليها يمكن ذكر ثلاثة تصنيفات منها، لنصل، في النهاية، إلى تصنيف نعتمد عليه في مناقشة حاجات النمو في فترة المراهقة:

التصنيف الأول :

يحدد الدكتور حامد زهران (٢٠٠٥) حاجات النمو في فترة المراهقة كالتالي:

- نمو مفهوم الجسم وتقبله.
- تقبل الدور الجنسي في الحياة، ذكرا كان أو أنثى.
- تقبل التغيرات التي تحدث نتيجة للنمو الجسمي والفسيولوجي والتوافق معها.

- تكوين المهارات والمفاهيم العقلية الضرورية للإنسان الصالح.
- إكمال المراحل الدراسية.
- تكوين علاقات جديدة طيبة وناضجة مع الأصدقاء.
- نمو الثقة في الذات والشعور بكيان الفرد.
- اختيار مهنة والاستعداد لها (جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا).
- الاستعداد لتحقيق الاستقلال اقتصاديا.
- ضبط النفس بخصوص السلوك الجنسي.
- الاستعداد للزواج والحياة الأسرية.
- تعلم المهارات والمفاهيم اللازمة للاشتراك في الحياة المدنية للمجتمع.
- معرفة السلوك الاجتماعي والمعايير المجتمعية وتحمل المسؤولية الاجتماعية.
- اكتساب قيم دينية واجتماعية وخلقية تتناسب مع المنظومة الأخلاقية للواقع الاجتماعي.
- إعادة نمو الذات وضبطها.
- بلوغ الاستقلال الانفعالي عن الوالدين والكبار (ص٨ -٩٧).

التصنيف الثاني:

يحدد الدكتور علي فالح الهنداوي (٢٠٠٥) حاجات النمو للمراهقة كالتالي:

١. تقبل التغيرات التي تحدث للفرد نتيجة نموه الجسمي.

٢. تكوين علاقات اجتماعية مع كلا الجنسين.

٣. استقلال عاطفي عن الوالدين وعن الكبار.

٤. الوصول إلى مستوى الاستقلال المالي

٥. اختيار المهنة والاستعداد لها.

٦. تكوين المفاهيم الضرورية للمواطنة الصالحة.

٧. تقبل المسؤولية الاجتماعية.

٨. التهيؤ للزواج والحياة العائلية.

٩. تكوين قيم سلوكية تتسم بالعلمية عن العالم المنظور الذي يعيش فيه (ص٢٤).

هاتان القائمتان أعلاه لكل من الدكتور حامد زهران(٢٠٠٥) والدكتور علي فالح الهنداوي(٢٠٠٥) تشيران إلى مجموعة من الحاجات التي يتطلبها نمو الأبناء في سن المراهقة - ونضعهما كمثالين فقط - درج كثير من علماء النفس والاجتماع على تبنيها، وذلك لنعطي القارئ تصورا عن نوعية هذه الحاجات. وإذا ما تأملنا مضمونها سنجدها تضم مجموعة من الحاجات يمكن أن تنضوي ضمن ثلاثة أنواع من المعطيات: نفسية واجتماعية ومعرفية، وكل نوع منها يمكن أن يشتمل على عدة عناصر من الحاجات، وفيما يلي مثال لهذا التصنيف.

التصنيف الثالث:

وفي موقع إلكتروني، يقسم الدكتور محمد العامري (١٩-٥-٢٠١٢) حاجات المراهقة إلى ثلاثة أنواع، موزعة كالتالي:

١. **حاجات نفسية:** وتضم الحاجة إلى الأمن، الحاجة إلى العبادة، الحاجة إلى القبول.

٢. **حاجات اجتماعية:** وتشمل الحاجة إلى الرفقة، الحاجة إلى الزواج، الحاجة إلى العمل والمسؤولية.

٣. **حاجات ثقافية:** وتشمل الحاجة إلى الاطلاع، الحاجة إلى الهوية الثقافية.

التصنيف المتبع في هذا الكتاب:

اعتمادا على التصنيفات السابقة، نقوم بوضع تصنيف يتضمن أهم حاجات النمو في فترة المراهقة، وهو كالتالي:

أولا: الحاجات النفسية والروحية للمراهق، وتتضمن:

(١) حاجة المراهق إلى الأمن والاستقرار النفسي.

(٢) حاجة المراهق للحب والتعاطف.

(٣) حاجة المراهق إلى العبادة.

ثانيا: الحاجات الاجتماعية والمعنوية للمراهق، وتتضمن:

(١) حاجة المراهق إلى التقدير.

(٢) حاجة المراهق إلى الحرية مع التوجيه وضبط السلوك.

(٣) حاجة المراهق إلى النجاح.

(٤) حاجة المراهق إلى التقدير.

ثالثا؛ الحاجات المعرفية والثقافية للمراهقة.

وتتناول وسائل المعرفة والثقافة ومصادرها وآثارها على النشء.

وكل هذه الحاجات المصنفة ليست بمعزل عن بعضها البعض، فكل مؤثراتها مترابطة وإن صنفت تحت عناوين تجمع بين كل منها صفات ذات خصوصية

أكبر، فإشباع حاجة المراهق للتقدير وللحرية وللنجاح وللانتماء مثلا لا تختلف تأثيراته كثيرا عن تلك التي تتم من إشباع حاجته للمعرفة والثقافة وغيرها. وفيما يلي نناقش هذه الحاجات بمختلف جوانبها:

أولا: الحاجات النفسية والروحية في فترة المراهقة

ونقصد بها تلك العمليات الوجدانية والتي من شأنها أن تحقق للمراهق الشعور بالسعادة والرضاء عن النفس، ونختار منها ما يلي:

١. حاجة المراهق إلى الأمن والاستقرار النفسي

كثيرا ما يفتقد الشباب الإحساس بالأمن والاستقرار النفسي، ويفسر الباحثون هذا الإحساس في ضوء الصراعات الناتجة عن تضارب الرغبات والحاجات، وفشلهم في إشباع حاجاتهم الأساسية، وكذلك خوف هؤلاء الشباب مما يحمله المستقبل لهم من مجهول قد يواجه العالم، وهناك أيضا عدة عوامل من شأنها أن تؤدي إلى انعدام الأمن النفسي لدى الشاب، منها اختلال القيم والفراغ الروحي وطغيان القيم المادية في الحياة المعيشية والشعور بالظلم والاستبداد وعدم تكافؤ الفرص وكبت الحريات وتضاؤل فرص العمل (خليل، محمد بيومي ٢٠٠٣:٢٠).

ويستمد المراهق إحساسه بالأمن والاستقرار بقدر ما يتمتع به من حماية والديه حياته ووجوده ضد أي أخطار قد يتعرض لها، لعل أبرزها رعايتهم له أثناء فترة المرض، أو اهتمامهم به وتشجيعهم له أثناء فترة الامتحانات، ويشكل الجو الأسري والعلاقات الطيبة بين أفراد الأسرة - وخاصة بين الأم والأب - عاملا أساسيا لاستقراره النفسي، فهذه العلاقة التي تسود الحياة الأسرية وتبعث أجواء السلام والطمأنينة في المنزل، تنعكس على حياة المراهق العامة خارج نطاق الأسرة فتقيه شرور ما قد يواجهه من مشكلات في المجتمع، وتعتبر العلاقات الأسرية الأساس من حيث الأهمية للنمو النفسي للمراهق، وينطبق هذا ليس فقط

على علاقة كل من الأب والأم بالابن، بل أيضا على علاقة المراهق بإخوته وأقاربه وجميع المقربين منه، كذلك تشكل القيم والمبادئ عاملا مهما في تزويد المراهق بالإحساس بالأمن.

وتقول الدكتورة كلير فهيم(٣١:٢٠٠٧-١-) عندما يتعكر صفاء الجو الأسري وتسود حياة الأسرة المشاحنات وخاصة بين الوالدين، أو يتعرض المراهق إلى المعاملة السيئة من الوالدين بالقول أو العمل، تنشأ نتيجة ذلك روح العداوة لدى المراهق ورغبته في الانتقام، وتزداد لديه الحساسية في الكثير من المواقف ليصبح: عنيدًا، أنانيًا، قلقًا، منبوذا من زملائه. وقد يؤدي هذا الإحساس بالمراهق إما إلى الجنوح أو إلى الاستكانة والاستسلام، ويصبح مكتئبًا، كما أنه في بعض الأحيان يضعف تركيزه الذهني فيؤثر على إنجازه الدراسي، وبالتالي يبتعد عن أقرانه، وتظهر لديه اضطرابات في شخصيته تنتقل معه في المراحل العمرية المستقبلية.

وتؤكد الدكتورة كلير فهيم أيضا أن من مصادر القلق الذي يعانى منه المراهق ويفقده الأمن تلك الأخطاء التربوية التي يقع فيها الوالدان كأسلوب الترهيب والقسوة في المعاملة، وجدير بالذكر أن كبت الابن للمشاعر المؤلمة نتيجة تلك المعاملة تبقى في أعماق نفسه لتظهر من جديد في حياته المستقبلية على هيئة مرض نفسي، أو قد ينعكس على اتجاهاته في حياته العلمية أو حياته العاطفية في تنشئته لأبنائه مستقبلا (٣٢:٢٠٠٧-١-).

٢. **حاجة المراهق للحب والتعاطف**

احتياج المراهق للحب والتعاطف لا يقل أهمية عن احتياجه للأمن والاستقرار، فحب الوالدين وعطفهما له يمنحان المراهق القدرة على مواجهة مطالب الحياة خارج المنزل، أكثر من مواجهة أولئك الأبناء الذين لا يتمتعون

بحب ذويهم والتعاطف معهم لتلك المطالب، ولكن ينبغي أن نعلم أن منح المراهق حب الأهل وتعاطفهم يجب أن يكون في حدود بحيث لا يصل إلى درجة المبالغة التي يمكن أن تؤدي به إلى الشعور بأنه سيكون في مأمن من المحاسبة إذا ما أخطأ، بل يجب أن يكون هذا الحب مستنيرا وواعيا، وبذلك تتحقق عند المراهق الثقة بالنفس ويخلق لديه الرضا تجاهها فيشجعه على محاولة تحقيق طموحاته بدون خوف من نتيجة الفشل (كلير، فهيم ٢٠٠٧:٣٠ -١-).

وتقع على عاتق الأم مسؤولية كبيرة لإشعار الأبناء بالحب والتعاطف، فهي صمام الأمان في الأسرة، وهي ربة المنزل المسؤولة عن تربية أبنائها وتنشئتهم وفهم احتياجاتهم الجسمانية والعقلية والوجدانية والنفسية، فهي القدوة والحضن الدافئ والحنان والأمان، وعندما يكون دور الأم الأساسي عصا التهديد الجوفاء عند كل مخالفة أو سلوك خاطئ يحدثها الأبناء، فإن ذلك يمثل صورة مرفوضة من كل الوجوه.

فالأمومة لم تكن يوما كلمات تطلق في الهواء للتسلية، وإنما هي فن وعلم ووظيفة في غاية الأهمية، وعلى أساسها يمكن أن تبنى شخصية الأبناء أو تهدم أو يمكن أن تسعد حياتهم أو تشقى، ويمكن أن تؤدي إلى نجاح الأبناء أو إلى فشلهم، فالأمومة ممارسة وحياة تبدأ منذ أن يكون الطفل جنينا في رحم أمه وتستمر في مراحل حياته التالية، وحب الأم وحنانها هو الذي يجعل الابن إنسانا سويا خاليا من الاضطرابات النفسية، وينعكس ذلك على حياته الاجتماعية واستقراره (فهيم، كلير ١١٥:٢٠٠٦). ويؤدي الحرمان العاطفي لدى المراهق إلى عدة مشاعر مثل: الغضب ـ والعدوان ـ والعناد ـ والعصبية ـ والخوف ـ وأحلام اليقظة (فهيم، كلير ٢٠٠٧:٣٠ -١-).

٣. حاجة المراهق إلى العبادة

يتكون الإنسان من جسم ونفس، ونقصد هنا الروح ، وكما أن للجسم مطالبه وحاجاته وشروط نموه، فكذلك النفس لها حاجاتها وشروط نموها، وبذلك يتم التوازن بين الجسم والنفس وتتوافق وظائفهما، وهو ما تقتضيه حكمة الحياة، وهناك كثير من الآباء يهتم بمطالب الجسد لأبنائهم من غذاء وملبس ومسكن، دون أن يعيروا أدنى اهتمام بالمطالب الروحية (السبيعي، عدنان ١٦٦ :١٩٩٨).

وفي عصرنا الحاضر تراجعت الطاقات الروحية وانكمشت ممارسات العبادة، وخاصة في المجتمعات المتحضرة، وصاحب ذلك تناقص الأمان النفسي وهبوط الروح المعنوية للأفراد والجماعات، وكل ذلك ما كان ليحدث لولا طغيان التوجهات المادية في العلم والعمل، وكذلك الأزمات الاقتصادية ومخاطر الحروب والصراعات الثقافية، ويكمن خلف كل ذلك عاملان كبيران هما التغيرات السريعة وسوء استخدام العلم، مما يستدعي العمل على تقوية معنويات الإنسان والقيم البشرية (نفس المرجع ص١٦٧).

وتتميز مرحلة المراهقة بأنها فترة يقظة دينية يصبح فيها المراهق في حالة فحص ومناقشة ونقد للمعتقدات الدينية التي اكتسبها في طفولته، فيخضعها للتعديل حتى تتواءم مع حاجاته الجديدة التي صارت أكثر نضجا، وهذه الصبغة الدينية لهذه الفترة تزيد من اهتمام المراهق بالمسائل الروحية، وتجعله مطالبا بممارسة العبادات بصورة أكثر جدية مما كان عليه الحال في مرحلة الطفولة (صادق، آمال؛ وأبو حطب، فؤاد ٣١٨:٢٠٠٨).

ويتدرج الأبناء في تعلم الإيمان وسائر القيم الأخلاقية منذ سني الطفولة، وذلك عن طريق ما يلقونه من ذويهم من تقبل وأنس ورضا، وما يتهيأ لهم من استقرار وطمأنينة عند ممارستهم أداء فرائض العبادة، وهنا تكمن أهمية دور

الأسرة في غرس القيم الدينية والأخلاقية عند الأبناء، تساندهم في ذلك المؤسسات المدرسية والإعلامية (السبيعي، عدنان ١٧٣:١٩٩٨).

وتعطي الدكتورة كلير فهيم (٢٠٠٧-٢-) إشباع الحاجات الروحية للشباب أهمية قصوى، وتعتبرها «مظلة وقاية في إشباع الحاجات الأخرى»، وهذا الإشباع للحاجات الروحية يعتبر أمرا أساسيا للكائن الحي لا يمكن أن يعيش بدونها، كما ترى أن « نظام إشباع الحاجات الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية يمكن أن يتهدد إذا لم يوازن بين إشباع هذه الحاجات وإشباع حاجاته الروحية». وكلما تم إشباع هذه الحاجة الروحية ازداد شعور الفرد باحتياجه للمزيد منها، حيث تقول كلير: «من يشعر بنعمة الارتواء من القرب لله ومحبته يشعر دائما أنه لا يستطيع أن يعيش في غنى عن هذا النبع الذي يفيض ماء الحياة» (ص ٣٤).

ثانيا: الحاجات الاجتماعية والمعنوية في فترة المراهقة

الحاجات الاجتماعية والمعنوية للمراهق تتمثل في تلك التي إذا ما أشبعت يشعر المراهق بأنه إنسان له قيمته في المجتمع، ومن خلالها تتحقق فكرة إثبات استقلاليته وعدم اعتماده على الآخرين، وقدرته على القيام بشؤونه الخاصة، وكذلك قدرته على تزعم وقيادة الآخرين، وهذا الشعور يدفع به إلى تطوير ذاته ويستمر في التحصيل والإنجاز، فيؤدي ذلك إلى شعوره بالكفاءة ويكتسب مكانة مرموقة بين أفراد جماعته، وفيما يلي نبين أهم عناصر الاحتياجات الاجتماعية والمعنوية:

١. حاجة المراهق إلى الانتماء

يقال: إن الإنسان اجتماعي بطبعه، وهذا ما يؤكده علماء النفس الذين يرون أن الإنسان دائما في حاجة إلى جماعة ينتمي إليها ويكتسب بينها مكانة اجتماعية تشعره بالراحة والسعادة، وللانتماءات دوائر متعددة من الانتماءات، ولكي تتكامل

شخصية المراهق ويتمتع بالصحة النفسية يحتاج إلى إشباع حاجته من هذه الانتماءات المتعددة، ونذكر أهمها فيما يلي:

أ. الانتماء إلى الله سبحانه وتعالى: فلا يمكن أن يتحقق للمرء الإيمان والرضا بحياته والاقتناع بما هو فيه دون الانتماء إلى الخالق، فكيان المخلوق يرتبط دائما بمن خلقه ويستكمل بالعلاقة معه، ويجد الراحة والاتحاد معه ويعطيه الإحساس بالاطمئنان، ويشعر بأن الله بجانبه يعينه على النجاح والتوفيق في كل جانب من جوانب الحياة (فهيم، كلير ٢٦:٢٠٠٧).

ب. الانتماء إلى الأسرة: وتعتبر الأسرة أول جماعة يحس نحوها الابن بالانتماء، وهي التي يقترن اسمها باسمه وتصاحبه طوال مراحل حياته، فالترابط الأسري وما يسودها من محبة، واستعداد أفرادها للتضحية من أجل الآخر ومساعدة بعضهم بعضا، كل ذلك يجسد معنى الانتماء الأسري، وهو في حد ذاته يعني جوهر العطاء والأخذ بين أفراد الأسرة التي يتعدى مستواها من الجوانب المادية إلى ما هو أكثر أهمية، وهي الجوانب الذهنية والروحية والنفسية (فهيم، كلير ٢٦:٢٠٠٧ -٢-).

وتتمثل عوامل تنمية الإحساس بالانتماء إلى الأسرة في العوامل الآتية:

- توفير الجو الأسري المتماسك.
- يجب أن يسود بين أفرادها الوئام والمحبة والتضحية.
- خلو النظام الأسري من تيارات متناقضة.
- قضاء الأسرة معا وقتا كافيا.
- ارتباط الأسرة بأهداف وآمال مشتركة.
- ضرورة أن تسود العدالة في المعاملة بين أفرادها.
- تمسك الأسرة بالقيم الدينية والأخلاقية.

- إحساس أفرادها باستعداد كل منهم للتضحية من أجل الآخرين والتعب من أجلهم.
- احترام حرية كل فرد في الأسرة، والاعتراف باختلافات الأمزجة والفروق الفردية بين أفرادها.
- إتاحة الجو الديمقراطي للأسرة، مما يساعد على تنمية شخصيات أفرادها وإخراج استعدادها من طور الكمون إلى التطور (فهيم، كلير ٢٨:٢٠٠٧-٢-).

ج. **الانتماء إلى الجماعات:** مثل الانتماء إلى جماعات اللعب أو إلى المدرسة كجماعة أو هيئة اجتماعية أو إلى جماعة دينية أو جماعات الهوايات أو الجماعات السياسية أو الرياضية أو غيرها، ودور الأسرة في اختيار الجماعات التي ينتمي إليها الابن المراهق وتوجيهها وتبصيره بأهداف هذه الجماعات والفوائد أو المضار التي يمكن أن تواجهه هو دور مهم لا يستهان بقيمته ونتائجه (فهيم، كلير ٦:٢٠٠٧ -١-).

د. **الانتماء إلى الوطن:** وهذا النوع يعتبر من الانتماءات المهمة التي يحتاج إليها الإنسان، ويحمل هويته، فالمراهق عندما يشعر بانتمائه لوطنه يغمر حياته الاطمئنان والاستقرار، ويشعر بأنه ينتمي إلى مجموعة تتفق معه في الطباع والتقاليد وطرق المعيشة، تسانده وتحميه من المظالم والعدوان وتوفر له ولأسرته الراحة والحياة الكريمة، وتمده باحتياجات الحياة المادية والمعنوية.

وتتميز شخصية الشاب المنتمي إلى وطنه بالخصائص التالية:

- هي تلك الشخصية التي يكون لديها الاستعداد أن تقبل على العمل المنتج للصالح العام.

- هي تلك الشخصية التي تسعى للانخراط في عمل شريف يعود بالنفع لمصلحة الوطن.
- هي تلك الشخصية التي لديها الاستعداد بالتضحية من أجل سلامة الوطن وحمايته ضد الأعداء.
- هي تلك الشخصية التي لديها الاستعداد لأن تساهم في بناء الوطن ورفعته، والذود عن حقوقه وكرامته (فهيم، كلير ٢٨:٢٠٠٧-٢-).

٢. حاجة المراهق إلى الحرية مع التوجيه وضبط السلوك

إن الحاجة إلى الحرية رغم أهميتها للمراهق تتطلب وجود سلطة موجهة أو ضابطة، وتتمثل هذه الحاجة في أبسط صورها في حرية التعبير عن رغبات المراهق وآرائه، وهي تبدأ عند الإنسان منذ مراحل حياته الأولى وتستمر قوية طول العمر، بحيث لا يطيق الإنسان بطبيعته الشعور بأن هناك أي قيد يمنعه من حرية الحركة والتعبير عن النفس، وهذه الحرية والرغبة في الاستقلال في التصرفات الشخصية تساعد المراهق على النمو والتقدم، بشرط ألا تكون حرية مطلقة، ولذلك يصاحب الحاجة إلى الحرية عادة وجود سلطة موجهة أو ضابطة، وهذه السلطة الموجهة يقوم بها كل من الوالدين في المنزل، ثم المدرسين في المدرسة، ثم الرؤساء في العمل، وهكذا(فهيم، كلير ٢٠٠٧-١-؛ فهيم، كلير:٢٠٠٧-٢-).

وتكمن أهمية التوجيه والتبصير التي يحتاجها المراهق في أنها تتيح له فرصة الحصول على إجابات متعددة للتساؤلات التي يمكن أن تسبب له القلق النفسي، كما أنها تمكنه من التمييز عند الاختيار بين سلوك أثيب عليه وآخر منع منه، فيكتشف الضار من السلوك والنافع منها، ويزول الغموض الذي قد ينتابه، ويساعد ذلك على نمو الضمير، وهو السلطة الذاتية التي يغشاها، وتكون في نفس الوقت محببة إليه، لأنها نابعة عنه وليست مفروضة عليه. وتظهر مدى قوة الضمير

في مرحلة الشباب حيث تختفي السلطة الوالدية ولا يبقي إلا هـذا الضـمير الـذي يوجه الفرد بموجب ما اكتسبه من قيم وعادات وأفكار، فيؤدي به إمـا إلى الطريـق السـليم أو أنـه لا يقـوى ضـميره عـلى ممارسـة السـلطة عـلى سـلوكه فيقـع في المحظور(فهيم، كلير ٢٠٠٧-١-).

لذلك لكي تؤتي ثمار التوجيه والتبصير أكلها، لا بد للوالـدين مـن إدراك عـدة أمور في تعاملهما مع أبنائهما المراهقين كل حسب جنسه، أهمها ضـرورة التسـلح بالوعي التام بحتمية مرور الأبناء بالفترة الانتقالية (من الطفولة إلى المراهقة) لكي يساعدا على اجتيازها بطريقة سهلة. كذلك يجـب ألا يعكـس الوالـدان تجاربهمـا الشخصية في فترة مراهقتهما عند توجيه أولادهما، بل يجـب اللجـوء إلى مـا أثبتتـه حقائق العلم في العصـر الحـديث مـن حقـائق المراهقـة، وكيفيـة ترشـيدها، لأن الأجيال تختلف والعلم يتطور(الخطيب، موسى١٠٣: ١٩٩٣).

إن تجنب التدخل في كليات أو جزئيات حياة المراهـق مـن أساسـيات التربيـة الصحيحة، من ذلك مثلا أهمية إعطائه الفرصة لإظهار شخصيته في ترتيب حجرته، واختيار الكتب الصالحة التي يرغب في قراءتهـا وكـذلك اختيـار الأصـدقاء ذوي السلوك الحسن، كما أن له الحق في اختيار الملابس التي تروق له، وهكذا. إلا أنه بالرغم من ذلك فإن هذه الحرية يجب ألا تكون مطلقة، فهنـاك أمـور مشـينة عـلى الوالدين مراقبتها وأن يطلب من الأبناء تجنبهـا، عـن طريـق إبعـاد المراهـق عـن الأشخاص ذوي الميول الهدامة، أي المنضمين لهيئات تميل للعنف، أو التعصب الديني، وجماعات أخرى منحرفة. من ضمن الواجبات أيضا إبعاد الكتب الهدامـة والتشجيع على الكتب الإيجابية، والتي تلقي الضـوء عـلى الشخصـيات التاريخيـة لاقتباس المثل العليا ممن قضى حياته لخدمة الإنسانية.

ويضع الخطيب بعض النقاط المهمة التي يجب أن يتوخاها الوالدان عند معاملتهما مع ابنهما المراهق، هي كالتالي:

١. أن يكون الوالدان قدوة حسنة لابنهما المراهق في السلوك، أكثر من تقديمهما النصائح والوعظ المباشر له.

٢. الوضع في الاعتبار أن الصدق مع النفس ومع المراهق هو أفضل وسيلة للإقناع.

٣. أهمية مراعاة القضايا الأساسية لدى المراهق، وهي الاستقلال والحرية في التعبير عن نفسه الرومانسية، وعدم الثبات الانفعالي، من هذا مثلا ترك مساحة كافية للمراهق لكي يكون حرًّا في اختيار ملابسه ورياضته وتعليمه ومهنته المستقبلية، وغيرها.

٤. إعطاء المراهق الفرصة للمشاركة الديمقراطية في تسيير أمور البيت، والتعبير عن رأيه، وإجادة إقامة حوار بينه وبين الكبار، وهي فرصة نادرة لتعميق السلوك الديمقراطي لديه، كما أنها تكون مفيدة بالنسبة له في حياته المستقبلية.

٥. عدم اللجوء إلى العنف والقهر والضغط في التعامل مع المراهق، لأنه يولد العناد والسلبية والتطرف والعنف.

٦. لا بد من إتاحة الفرصة للابن أن يقوم بممارسة تجارب الحلول فيما يواجهه في حياته، لكي لا يفاجأ بمستقبل لم يستعد له، ولم يجد البروفات الكافية للمواقف المحتملة، وكيفية التصرف فيها (الخطيب، موسى ١٩٩٣:١٠٥).

وإذا كان الأمر نفسه ينطبق على المعاملة مع الابنة المراهقة، إلا أن هناك بعض الخصوصيات التي يجب مراعاتها، منها ما يلي:

١. الإصغاء باهتمام لكلام الابنة عند لجوئها إلى الأم أو الأب لطلب المشورة، وهنا يجب ألا يحول انشغال الأم في الشؤون المنزلية أو انصراف الأب في أمور أخرى عن التعاطي مع تساؤلات ابنتهما، مهما كانت تساؤلاتها في رأيهما تافهة.

٢. من المستحسن أن يتم التعامل مع الابنة والتحدث إليها بأسلوب يُشعرها بأنها قد نضجت، فذلك سيشجعها على فتح موضوعات جديدة للحوار.

٣. أن اللجوء إلى الحوار، وإقناع الابنة بلطف بوجهة نظر الوالدين، هي الأكثر واقعية وتأتي بنتائج أفضل عما لو تم معالجة المسألة عن طريق سرد المواعظ، وتقديم النصائح الجافة.

٤. يجب عدم السخرية من آراء الابنة، حتى ولو كانت غير صحيحة ومتطرفة، لأن ذلك قد يسبب جرحًا عميقًا يجعلها تحجم عن فتح حوار مع الأبوين مستقبلا، كما يؤدي النقد المستمر لتصرفات الأبناء عموما إلى عزوفهم عن التحدث مع الوالدين عندما يقعون في مشكلة.

٥. من الأمر الجيد أن يتخذ الأبوان أسلوب الحزم في الأمور المتعلقة بالمبادئ والأخلاقيات عندما ينتهكها الأبناء (ينطبق هذا على الجنسين)، أما في الأمور المتنوعة الأخرى لا بد من مناقشتها واتباع أسلوب الإقناع الهادئ، ويفيد جدا أن تشجع الابنة بامتداحها على أدائها لعمل جيد بدلا من التركيز دائمًا على تعداد الأخطاء.

٦. يجب أن يسمح للابنة بإبداء الرأي في قرارات مهمة تتعلق بالأسرة، وحتى لو اختلفت الآراء بين الجيلين، فعلى أولياء الأمور إدراك أن المناقشة هي في المصلحة العامة للأسرة، فاختلاف التفكير وتصورهم للأمور بين الجيلين أمر طبيعي، وأنه من خلال هذه المناقشات، يمكن توجيه الأبناء وإعدادهم لمستقبل مشرق (الخطيب، موسى ١٠٦:١٩٩٣).

(٣) حاجة المراهق إلى النجاح

تحقيق النجاح من الحاجات الضرورية التي يجب إشباعها لدى الأبناء في سن المراهقة، لأنه يدفعهم إلى مواصلة التقدم نحو الارتقاء بسلوكهم، وكذلك يؤدي إلى تحسين ما يقومون به من أعمال، وبذلك يكتسبون الثقة بالنفس، وخاصة في هذه الفترة الحرجة من حياتهم، فترة المراهقة، وبالعكس فإن الفشل يؤدي إلى الإحباط وفقد الثقة بالنفس ويدعو إلى القلق.

وتحقيق النجاح لدى الأبناء يعتمد إلى حد كبير على الجهد الذي يبذله الآباء لرعاية أبنائهم وتشجيعهم وحثهم على النجاح. كما يجب توخي الحذر في ألا يبالغ الآباء في الطلب من الأبناء تحقيق ما هو فوق طاقتهم، ويجب مراعاة الفروق الفردية في التحصيل ومستوى الذكاء لديهم، وفي هذا الخصوص تشير الدكتورة كلير فهيم إلى بعض النصائح للأبوين والتي يجب اتباعها ليجنبوا الأبناء المشكلات الناجمة عن سوء التصرف إزاءهم، وهي كما يلي:

- عدم المغالاة في الأهداف التي يتوقعانها من الابن المراهق، فإذا طلبا المستحيل فسوف تكون النتيجة الفشل وفقد الثقة بالنفس.
- ينبغي طلب الأهداف المتوقعة المعقولة المناسبة لقدرات المراهق.
- ينبغي أيضا على الوالدين أن يشجعا الناجحين دائمًا ومكافأتهم.
- وعليهما أيضا أن يساعدا الابن المراهق إذا فشل في عمل، وذلك بتوجيهه بدلا من لومه، فربما يكون هذا الفشل سببا لنجاح عظيم فيما بعد(فهيم، كلير٢٠٠٧-١-).

(٤) حاجة المراهق إلى التقدير

إن حاجة الأبناء للتقدير هو من أهم عوامل الصحة النفسية، ويقترن إحساس الأبناء بالتقدير عندما يشعرون أنهم قادرون على تحمل المسؤولية والاستقلال،

ذلك الذي يمنحهم الآباء إياه في وقت مبكر، فتنمو عندهم الثقة بقدراتهم وبأنفسهم في مجابهة مواقف الحياة وصعوباتها، وعندما ينتقل الابن إلى فترة المراهقة ويتحرر من حالة التبعية للآخرين إلى حالة يحقق فيها نوعا من الاستقلال ينتابه شعور بأنه جدير بكل ما يوكل إليه، وبأنه قوي وناجح ويستطيع أن يكفي نفسه بنفسه (السبيعي، عدنان ١١٤:١٩٩٨).

والمراهق دائما في حاجة إلى أن يعترف به الكبار، وأن يعاملوه كفرد له أهميته، لذلك على الذين يتعاملون مع المراهق أن يحترموه عند نجاحه في أي عمل، وينصتون إليه عندما يتكلم ويكافئونه عند القيام بشيء يستحق المكافأة، وللأسرة دور مهم في غرس إحساس المراهق بالتقدير، كما تلعب الأسرة دورا مهما في إكساب المراهق الثقة بالنفس، ولكن في حدود ما يتمتع به من قدرات خاصة ومميزات حقيقية لشخصيته، ومعنى ذلك أن تتجنب الأسرة المبالغة في إظهار تقديرها لما يتمتع به الأبناء من قدرات، وذلك لكي لا تنقلب الثقة بالنفس إلى غرور يؤدي بالمراهق إلى عدم إدراكه لقدراته الحقيقية، ويوقع نفسه في مأزق الغرور ويصبح مكروها من زملائه، منبوذا من الناس، بينما تساعد جرعات الثقة بالنفس التي يتلقاها المراهق خلال تنشئته في الأسرة إلى رفع مستوى طموحه، والاجتهاد، والمثابرة في دراسته، وينعكس ذلك في حياته الاجتماعية مستقبلا، كنجاحه كرب أسرة مثلا ونجاحه في الوظيفة التي يشغلها بعد تخرجه في عمله (فهيم، كلير٢٠٠٧:-١-) .

ومن دواعي شعور المراهق بتقدير الآخرين له معاملتهم له كرجل كامل النضج وأنه أهل للمسؤولية، وهو لذلك يعامل كما يعامل الكبار، ويشارك في مناقشة المشكلات التي قد تواجهها الأسرة، ويحترم رأيه، ولا بد أن يشعر المراهق بإخلاص الآخرين له ولكيانه، وأن مصلحته كفرد مصانة، فينشأ لديه احترام الذات فينعكس ذلك الاحترام على عالمه الخارجي.

ويرتبط شعور المراهق بتقدير الآخرين له عندما يكون قادرا على اقتباس معنى الشرف والسلوك القويم عمليًا منهم، وهذا ما يبرز أهمية أن يكون الآباء قدوة صالحة لابنهم المراهق فيكسبون إعجابه واحترامه بتصرفاتهم. إضافة إلى أهمية إرضاء غروره الاجتماعي، حيث يمنح المراهق مكانة في المجتمع، فلا يحرم من مجالسة الرجال ومشاركتهم الحديث. ومن الأمور المهمة أيضا لإظهار التقدير للمراهق تشجيعه على الاختلاط بالجنس الآخر مع الرعاية الرشيدة وبذلك تعطى الفرصة للمراهق لكي يتعلم كيف يسلك سلوكا مهذبًا في وجود الجنس الآخر، وفى حضرة من هم أكبر منه سنًا أو مقاما.

وقد يجد المراهق أن استفزاز الآخرين أو أبويه له عندما يخطئ أو يغضب ومعايرته بالخطأ نوع من الإهانة وعدم التقدير، لذلك فإن مقابلة الغضب بالغضب يزيد من هذا الإحساس، والبديل الأمثل هو أن يجد من ذويه القدوة الحسنة في الرزانة وضبط النفس، وفي هذه الحالة يكتشف سلوكه الخاطئ بطريقة غير مباشرة، وبذلك تزداد ثقته في والديه، ويتجنب السلوك الخاطئ في المرات القادمة.

ثالثا : الحاجات المعرفية والثقافية للمراهقة

المعرفة والثقافة من أهم الحاجات التي يجب الحرص على إشباعها لدى المراهق، فبهما يكتسب الوعي الضروري لفهم الحياة في عصر تتلاطم أمواجه، وبهما يمتلك المقدرة على التمييز بين صالح هذا العصر وطالحه.

لقد فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان على التساؤل وحب الاكتشاف، وحثهم على اكتساب العلم والمعرفة، وفضل العلماء منهم على من لا يعلم حيث يقول في محكم كتابه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩]

يقول الدكتور عبد الكريم بكار: « إن الذي يدعو الإنسان إلى مزيد من التعليم هو العلم نفسه، إذ أنه كلما زادت المعرفة اتسعت منطقة المجهول، والتقدم نفسه

يعمل على زيادة حاجة الإنسان الشديدة إلى المعرفة، يتيح إمكانات ومجالات جديدة ويولد دوافع جديدة للتقدم الأوسع نطاقا»(٨:٢٠٠٤).

ويذهب «موراي»إلى أن حاجة الإنسان للمعرفة تعبر عن «الرغبة في تحليل الأحداث وتعميمها والميل إلى التصحيح الذاتي والنقد، والشغف بالأشكال الصعبة والبحث عن المسببات»، فالحاجة للمعرفة «تندمج مع الحاجة العالية للتقدير، فتجد الفرد دائما يبحث عن الأداء الأكثر دقة عند من يعرف عنهم التفوق أو المنزلة العالية». وعند اندماج الحاجة بالمعرفة مع الحاجة إلى الاستقلال يكون نتيجة ذلك أن يتصف الفرد بالريادة والخبرة المتميزة» (الفرماوي، حمدي ٢٥:٢٠٠٤).

إن الحاجة إلى المعرفة من الحاجات المهمة لدى الفتى المراهق، ويظهر ذلك منذ الطفولة عند محاولة الطفل التعرف على بيئته، وهي من العوامل التي إذا عولجت بحكمة أمكن عن طريق ذلك تنمية إمكانيات وقدرات كامنة لديه، تتطور بتطور النمو حتى تصل إلى درجات ومستويات واضحة ومواهب ظاهرة في مرحلة المراهقة.

وتعتبر الحاجة إلى المعرفة من ضرورات الحياة، ولا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها، فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالبعد النفسي له، فالمعرفة تجعل من الإنسان أكثر اطمئنانا وأقوى قدرة على تسيير الأمور في الحياة، والمعرفة أيضا تتصل بالواقع الاجتماعي، وهو الوسط الذي يزوده بالمعرفة في جميع مراحل العمر، وبواسطة المعرفة تنمو إمكانات الفرد وقدراته (فهيم، كلير -٢- ٢٩:٢٠٠٧).

والإنسان مخلوق معرفي يتوق للتعرف على الوجود والكون وخالقه، ويستمر يبحث عن الحقائق الموثقة، ويجهد نفسه للاختراع والابتكار، لقد قدم الله سبحانه وتعالى معلومات وافية عن ذاته وصفاته وعن كيفية عبادته وعن اليوم الآخر، بينما حجب معلومات أخرى، ولكنه ترك أمر الكشف عنها لاجتهاد الإنسان، حيث يخاطبه المولى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

[آل عمران : ١٩٠]، فعن طريق الملاحظة والتجربة والمحاولة والخطأ والصواب توصل الإنسان إلى الاكتشافات العلمية ومازال مستمرا في البحث للارتقاء بأمور دنياه (السامرائي، نعمان ٩٦ - ٩٥: ٢٠٠٠).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الثقافة لها دورا مهما في التنظيم المعرفي، وهي أحد مصادر المعرفة، فعندما تهتم الثقافة بمظاهر الغنى والثروة مثلا يتم إدراك هذه الظاهرة بسرعة وربما يتم تصنيف الناس تبعا لتشابههم فيها، نوع المنازل التي يسكنونها والسيارات التي يركبونها والمدارس التي يرسلون إليها أبناءهم ... إلخ، وإذا اهتمت الثقافة بلون البشرة، فسوف يكون الميل إلى تقسيم الناس إلى بيض وسود وهكذا ...إن المفاهيم الثقافية التي تعلمها الفرد تحدد عمليات التجميع والتنظيم المعرفي لديه وتؤثر على كل ما يصدره من أحكام على كل ما يحيط به (الفقي، حامد؛ وخير الله، سيد ٤٥: ١٩٧٤).

والجدير بالذكر أن التغيرات في حاجة الفرد وكذلك التغيرات في معلوماته هي متداخلة، بمعنى أنه كلما شعر المرء أنه أمام حاجات جديدة واكب ذلك رغبته في البحث عن معلومات جديدة لتزداد معارفه، وكلما ازدادت معارفه نتجت لديه حاجات جديدة تدفعه للمزيد من التعلم والمعرفة (الفقي، حامد؛ وخير الله، سيد ٦١: ١٩٧٤).

وهنا يمكن القول بأن الثقافة مكتسبة وتعتمد في الدرجة الأولى على القراءة والندوات العلمية والأدبية وغيرها، بينما المعرفة تكتسب بالسماع والممارسة، وتعتمد في الدرجة الأولى على الإدراك والذكاء والفطنة والفراسة، وهي بذلك لا يدركها إلا من يمتلك المقدرة العقلية، وبينما العارف يلمس فعله وأقواله جميع شرائح المجتمع فإن المثقف يخاطب شريحة محددة من المجتمع (www. Alachebal.ibda3.org/t194-topic).

وأول من عرف الثقافة هو العالم الأنثروبولوجي تايلور، حيث عرفها بأنها «ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق

والعادات، وأي قدرات أخرى اكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع» (جلال، سعد د. ت:٩١)، وهي التي ينقلها الآباء عن الأبناء، ولذلك يعرفها البعض بأنها انتقال سبل التكيف مع البيئة التي توصل إليها الآباء والأجداد (نفس المرجع ص ٩٢). والثقافة كما يعرفها كلباتريك هي: «كل ما صنعته يد الإنسان وعقله من مظاهر في البيئة الاجتماعية، أي كل ما اخترعه الإنسان أو اكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعية» (ناصر، إبراهيم ٢٠٠٤:١١٩). ويعرفها رالف لنتون على أنها «كل مركب يضم الأشغال اليدوية والمعتقدات والفنون وجميع العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في جماعة، وكل ما ينتجه الإنسان العادي من الأشياء التي تقرها هذه العادات، وهي –الثقافة– حصيلة الاستجابات التكيفية للإنسان، وبالإجمال هي جميع الأفكار المتصلة بالطرز القياسية للسلوك، وهي مجموعة متشابكة من الوسائل التي تتخذ شكل أنماط معينة وتختص بتلبية حاجات الحياة، وهي شبكة من الأهداف التي ترمي إليها المنجزات الفردية والجماعية» (نفس المرجع ص ١٢٠).

والإنسان الواعي هو إنسان مثقف بالضرورة، يعرف ويدرك مجريات الحياة من حوله، وكيف تتشكل أمته، بل والحياة البشرية بصفة عامة، هذا المثقف بضاعته معلومات وأفكار، سواء أبدعها بنفسه أو انتقلت إليه بحكم التواصل مهما كان نوع هذا التواصل، فآمن بهذه الأفكار مع الاقتناع التام بأن يتبناها بوعي ورؤية، وأكثر من ذلك بأن يقنع بها الآخرين، وهو في ظنه أنه ينشد التغيير إلى الأفضل على تفاوت في ذلك بين فكرة وفكرة ومعلومة وأخرى(نفس المرجع ص ١١١). وهنا تتبلور لدى المثقف خاصية ثنائي الثقافة والمعرفة، وهو ما تحتاجه اليوم الأجيال الجديدة في الوطن العربي.

حاجة المراهق للمعرفة والثقافة

إذا كانت المعرفة (cognition) تعني العمليات التي تهتم «بتصنيف وتخزين ودمج المعلومات التي يتعرض لها الإنسان مع المعارف الموجودة لديه واستدعاء واستخدام هذه المعارف فيما بعد»، و هي بذلك تشتمل على التفكير والادراك والفهم

وغيرها(فرغلي، علاء ١٨:٢٠٠٨)، فإن الثقافة هي التي تخلق القوالب والأوضاع الاجتماعية والتي يعبر بها الفرد عن انفعالاته وعواطفه ومشاعره. وبينما ترتبط الجوانب المعرفية بمستوى الذكاء والقدرة العقلية كالتحليل، والاستنباط، والاستنتاج، فإن القوالب الثقافية تتيح الفرصة لإبراز ماتنتجه المعرفة.

وفي سن المراهقة، يصل الأبناء إلى أعلى درجات القدرات العقلية حيث يعزز النمو هذه العمليات، مما يؤدي إلى إدراك المراهق إلى المتغيرات التي تحيط به. ولكي يستغل الأبناء هذه القدرات على أكمل وجه، فإنه بحاجة إلى توظيفها فيما تتيحه له الأسرة والمجتمع من إمكانيات ووسائل ثقافية واجتماعية. فهو في حاجة إلى المساعدة لاكتشاف قدراته الكامنة أوما قد يمتلكه من مواهب علمية أوأدبية كالاختراع أو الكتابة والفن وغيرها. وكل هذا يتطلب التمرين والخبرة الكافية، ويمكن تنمية هذه القدرات منذ الطفولة، ويتيح له ما اكتسبه من خبرات في طفولته إلى الإرتقاء بمواهبه وقدراته.

إن للبناء النفسي للإنسان عموما والشباب بصفة خاصة، قدرات عقلية وميول سائدة مهمة للنشاط العقلي كما أن لها أهميتها في بناء شخصياتهم، مما يستدعي الأمر إلى أن ننظر إلى هذه القدرات العقلية والميول نظرة موضوعية وواعية عند وضع برامج يهتم بأمور الأبناء ورعايتهم وتوجيههم التربوي والمهني وعند اختيار هواياتهم والعابهم وأوجه نشاطاتهم المختلفة في أوقات فراغهم(منصور، أحمد و الشربيني زكريا ٥١:٢٠٠٤).

تلك هي بعض الحاجات المهمة التي يجب إشباعها في فترة المراهقة، ومن شأن ذلك أن يخلق من المراهق شخصية سليمة خالية من الأمراض النفسية متكيفة مع المجتمع ومنسجمة مع ذاتها، تؤهل الابن للانتقال إلى مرحلة الرشد، وهو أكثر مقدرة على حمل أعبائها.





الفصل الخامس

البناء المتكامل للشخصية وصلتها بمفهوم الذات عند الأبناء

أولا: إلى أي مدى يمكن أن يساهم إشباع هذه الحاجات في إكساب الأبناء شخصية متكاملة Integrated Personality، أو كما يطلق عليها أيضا «الشخصية المتسقة» ؟

ثانيا: ما علاقة مفهوم الذات بالشخصية المتكاملة؟

بعد أن عرفنا حاجات النمو في مرحلتي الطفولة والمراهقة، فإن الإجابة على هذين السؤالين تستدعي معرفة طبيعة الشخصية بوجه عام ومكوناتها، وكذلك معرفة ماذا يقصد بالشخصية المتكاملة وما هي سماتها والعوامل المختلفة التي تؤثر في تكوينها.

تعريف الشخصية بوجه عام

يتساءل الدكتور شعبان علي حسين(٢٠٠٢) حول مشكلة تعريف الشخصية ، فيقول: نحن أفراد ، نتعامل مع العالم بطرقنا الفريدة، ما الذي يجعلنا مختلفين عن بعضنا البعض؟ كيف يمكننا تحديد ووصف هذه الاختلافات ومقارنة الأفراد بعضهم ببعض؟

ويجيب: « يستخدم مصطلح الشخصية لوصف الصفات اللافتة للنظر والاعتيادية لسلوك شخص ما والتي تحدد طريقة تعامل الفرد مع الحياة فمعظمنا يعرف أشخاص لهم خصائص مستقرة نسبيا مثل التأخر عن الاجتماعات، العدوانية أمام النقد الذي يوجه إليهم، الهدوء والاتزان، الانطواء وغيرهامما يجعلنا قادرين على التنبؤ بهذه السلوكيات. وأنماط الخصائص هذه تتسم بأنها مستقرة وتتحمل الزمن وليست خصائص عرضية أوعشوائية، كذلك فإن هذه الخصائص مميزة حيث تهتم بنمط الاستعدادات والسلوكيات والخصائص الاستثنائية للفرد ولا نعتني بتلك الخصائص التي يمتلكها كل أو معظم الناس الآخرين» (ص ٥٢).

فقد تكون بعض هذه الخصائص والاستعدادات الشخصية قوية ومتكررة وقد تكون ضعيفة وغير متكررة، وما هو مدعاة لاهتمامن من هذه الشخصية هو كل ما تتفرد به ويميزها عن غيرها وقوي وثابت فيها(نفس المرجع ونفس الصفحة).

وهناك الكثير من التعريفات للشخصية نذكر بعض منها:

يشير محمد إفرخاس إلى عدة تعريفات للشخصية كما عرفها بعض المتخصصين، نذكر بعضها فيما يلي:

- الشخصية كما يعرفها جوردون البورت هي: « التنظيم الدينامي داخل الفرد لتلك الأجهزة النفسية التي تحدد طابعه الخاص في توافقه لبيئته ».
- ويعرف إيزنك الشخصية على أنها « هي المجموع الكلي لأنماط السلوك الفعلية أو الكامنة لدى الكائن، ونظرا لأنها تتحدد بالوراثة فإنها تنبعث وتتطور من خلال التفاعل الوظيفي لأربعة قطاعات رئيسية، تنتظم فيها تلك الأنماط السلوكية: القطاع المعرفي (الذكاء)، القطاع النزوعي (الخلق)، القطاع الوجداني (المزاج)، والقطاع البدني (التكوين)».
- ويعرفها واطسن بأنها: « مجموع الأنشطة التي يمكن اكتشافها عن طريق الملاحظة الفعلية للسلوك لفترة كافية بقدر الإمكان ... وبمعنى آخر: فإن الشخصية هي النتاج النهائي لأنظمة عاداتنا».
- ويقرر كنف أن الشخصية « هي أسلوب التوافق العادي الذي يتخذه الفرد بين دوافعه الذاتية المركزية ومطالب البيئة»(٢٠١١:٣١).

وينظر فرويد للشخصية كمكون لثلاثة مستويات وهي: الهوى والأنا والأنا الأعلى، ولكل مستوى من هذه المستويات وظيفة معينة. فيختص المستوى الأول « الهو» id بالقدرة الغريزية، ويتألف من الموروثات والغرائز الفطرية للإنسان،

فهو مخزون الدوافع واستجاباتها الفطرية وهو لاشعوري، لا منطقي، لا خلقي، ولا يقيم وزنا للمثل والمعايير يتبع مبدأ اللذة Pleasure Principle التي تتطلب الإشباع الفوري للرغبات الملحة دون اعتبار للنتائج.

أما «الأنا ego»، فهو المستوى الثاني من الشخصية وهو الجانب العاقل فيها والذي يحاول دائما أن يجد طرقا مشروعة لإشباع حاجات الهو غير الواقعية، ويعتبر حلقة الوصل بين حياة الواقع واللاشعور وهو منطقي، خلقي ويخضع لمبدأ الواقع ويهتم بالمعايير الاجتماعية ويتكون تدريجيا من تفاعل الفرد مع بيئته، ويتأثر في تكوينه بالخبرات والاتجاهات التي يتعلمها الفرد.

أما المستوى الثالث للشخصية عند فرويد فيسميها «الأنا الأعلى super ego » وهو المكون الثالث للشخصية ويمثل جانبها الخلقي فهو مثالي، ويمثل الضمير الذي يقيم سلوك الفرد والآخرين أخلاقيا واجتماعيا، و ينمو الأنا الأعلى مع نمو الفرد وامتثاله مع قيم المجتمع الذي يعيش فيه بما فيه من معايير اجتماعية يتعلمها في البداية من الوالدين والأخوة والكبار في المجتمع. ولكي يتحقق للفرد أكبر قدر من التوازن والاستقرار النفسي، لا بد أن تعمل هذه المكونات للشخصية (الهو والأنا والأنا الأعلى) في انسجام و تناغم بعضها مع بعض، بحيث لا يطغى جانبا منها على آخر (القاسمي، مهرة ٦٤:٢٠١٠).

وإذا نظرنا إلى هذا التعريف فإننا نجد أن الشخصية بالنسبة لفرويد تتكون من خصائص بيولوجية (المستوى الأول) واجتماعية (المستوى الثاني) وأخلاقية (المستوى الثالث)، والتي تجعل من الفرد ذاتا يتميز عن غيره.

وتعرف الدكتورة كلير فهيم، الشخصية، على أنها «هي ذلك المفهوم الذي يصف الفرد من حيث هو وحدة متكاملة من الصفات الجسمية والعقلية والاجتماعية في المواقف المختلفة، والتي تميزه عن غيره من الأفراد تميزا

واضحا»(١٠٧:٢٠٠٧-٢-).

الشخصية المتكاملة

عرفنا، أعلاه، أن الشخصية الإنسانية قد اشتملت على: دوافع الفرد وعواطفه وميوله واهتماماته، وسماته الحقيقية وآراءه، ومعتقداته واتجاهاته، وعندما تكتسب الشخصية مقومات تتكامل فيما بينها وتتسق لتضفي على الشخص صفات أكثر جاذبية يساهم في خلق جو اجتماعي فعال، يمكن الإشارة لمثل هذه الشخصية بالشخصية المتكاملة.

ويعرف الدكتور أسعد رزوق (١٩٨٧) الشخصية المتكاملة على أنها: « شخصية تنطوي على اتساق في السمات وتنم عن صفات تكمل الصفة الواحدة منها الأخرى، بحيث يتمكن صاحبها من ممارسة السلوك الناجح مع الاقتصاد في المجهود، وتتضافر فيها مختلف العناصر بغية تحقيق الانسجام النفسي والوصول إلى التكامل في شتى مجالات الشعور والإرادة والنشاط الحركي(ص١٤٩).

ويعرف الدكتور أحمد زكي بدوي الشخصية المتكاملة، بأنها « نظام متكامل من مجموعة من الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والإدراكية التي تعين هوية الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد تمييزا بينا، وكما تبدو للناس أثناء التعامل اليومي التي تقتضيه الحياة الاجتماعية»(١٩٧٨:٣١١).

ويعرفها الدكتور عادل الأشول (٢٠٠٨) على أنها « بنية وظيفية مركبة من المكونات الجسمية التشريحية والعقلية المعرفية والانفعالية والوجدانية والاجتماعية في نظام متكامل يحدد أسلوب الفرد في الحياة وفي مواجهة المواقف المختلفة» (ص ٤٢٤).

ومهما اختلفت تعريفات الشخصية فيما بينها، فإن أية محاولة لفهم الشخصية

ودراستها يجب أن ترتكز على فهم الوسط الاجتماعي المحيط بالفرد بنفس القدر الذي يعطى للفرد من اهتمام لمحاولة فهمه والتعرف على دوافعه.

والمقصود بالوسط الاجتماعي هو ذلك المجتمع الذي يعيش فيه الفرد بمؤسساته الأسرية والمدرسية ورفاق اللعب وغيره، كذلك لا بد من إعطاء البعد الثقافي في المجتمع الذي يعيش فيه الفرد الاهتمام الكافي وذلك إذا ما أريد معرفة شخصية الفرد معرفة حقيقية، وما يشوب تلك الشخصية من التوتر وعدم الاتساق.

صفات الشخصية المتكاملة

تشير الدكتورة كلير فهيم (١٠٨:٢٠٠٧-٢-) إلى من يتصف بالشخصية المتكاملة على أنه: «المواطن الصالح» رجلا كان أو امرأة، وهو من يتصف بعدة صفات نوجزها فيما يلي:

- هو الشخص الذي تكون لديه الشجاعة لمواجهة الأمور الصعبة والمشكلات، والمقدرة على إيجاد الحلول المناسبة لها بدلا من التهرب منها أو الاتكال على الغير في حلها.
- هو الشخص الذي برغم المفاجآت والمحن التي تواجهه إلا أنه «يتقن فن الحياة»، فيستطيع أن يحيا في انسجام مع نفسه ومع أفراد مجتمعه.
- هو الشخص الذي يستفيد من أزماته فيخرج منها بأقوى مما كان عليه، كما تذهب فلسفة نيتشه « كل ما لم يقتلني يقويني».
- هو الشخص الذي يلجأ للتفاهم في تعامله مع الغير بدلا من المشاحنة، ويعرف أن الكمال في الحياة هو في الإخفاق ثم في النجاح، وفي الخطأ ثم الصواب، وفي الخطر ثم النجاة.

- هو الشخص الذي يعرف قدر نفسه، فيسعى جاهدا لأن يجعل يومه أقرب إلى الكمال من أمسه، مصداقا للحكمة القائلة: « ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط». فمثل هذا الشخص يستمد صفاءه ورضاه من الاهتمام بهموم الغير، والعمل على توفير الراحة لهم.
- هو الشخص الذي لديه إيمان قوي بأن السعادة تنبع من الإحساس بالرضا عن عمل يؤديه الشخص على أكمل وجه.
- هو الشخص المهذب، ذو الخلق الحميد في حياته الخاصة والعامة.
- هو الشخص الذي يتمتع بذهن صاف وسرعة بديهة، متميزا بروح الرضا والمرح.
- هو الشخص الطموح، سريع البديهة، يتمتع بالحس الفكاهي، حيث تدل الفكاهة على صحة العقل والنفس.
- هو الشخص الذي لديه يقين أن الملبس والمظهر الشخصي أمران مهمان ولكن صاحبهما أكثر أهمية.
- هو الشخص الذي يتعرف على عيوبه بنفسه لكي يتجنبها ويصلحها، فيحافظ بذلك على علاقته مع الآخرين.

تلك هي صفات الشخصية المتكاملة التي لا بد أن يتصف بها المواطن الصالح كما تذهب الدكتورة كلير فهيم.

ولتكامل الشخصية علاقة وثيقة بعملية النمو وطبيعتها المعرفية والانفعالية والاجتماعية، وهي عملية تغير وتوجيه التغير، تتصل بمراحل تطور الأبناء وما يتلقونه من الرعاية والاهتمام من الأسرة والمدرسة والمؤسسات التربوية المختلفة، وبقدر ما يتلقاه الأبناء من رعاية يتحقق الهدف الأعظم الذي تصبو إلى

تحقيقه أي جماعة إنسانية، وذلك هو تكوين الشخصية الناضجة المتكاملة (الأشول، عادل ٤١٤:٢٠٠٨).

علاقة الشخصية المتكاملة بمفهوم الذات

جدير بالذكر، أنه قد تستعمل كلمة الذات كمرادف لكلمة الشخصية، ويعني ذلك أن للشخص كيانه الخاص وله صفات وسمات وخصائص تميزه عن غيره، وهذا تأكيد لذاته ونفي وجوده في الآخر، فالآخر ليس هو، وهو ليس الآخر، فكلاهما مختلفان في الصفات والسمات والخصائص. وذلك رغم تشابهما في التكوين والبنية والخلق الإنساني. فالشخصية إذاً، هي ذلك التنظيم لسمات خصائص ودوافع الفرد النفسية والفسيولوجية والجسمية الذي يميزه عن غيره، والذي بإمكانه أن يكفل للفرد توافقه النفسي وتكيفه الاجتماعي(القاسمي، مهرة سالم ٣٣:٢٠١٠).

ولك علاقة الشخصية المتكاملة بالذات تنبع من مسلمة مؤداها أن الشخصية المتكاملة تنحو للاستقلالية والتكامل وتتغير، ليس فقط بالتعلم وإنما بتعديل مفهوم الفرد لذاته وهدف عملية تكامل الشخصية هو تناسق الذات، وبناء على ذلك فإن جميع أنماط السلوك الإنساني تنبع من إطار داخلي تحدده صورة الذات ومفهومها، وهنا تكمن مدى العلاقة بين مفهوم الذات والشخصية المتكاملة (عكاشة، محمود فتحي ١٩٩٠؛ الشامسي، عائشة جاسم ٢٠٠٥).

مفهوم الذات

مع بدايات القرن العشرين بدأ علم النفس يولي اهتماما خاصا للبرامج التربوية، معتمدا في نظرته على الأسس التكاملية الشمولية لجميع المتغيرات والمحددات المعرفية والوجدانية والاجتماعية، مركزا على أهمية دور الاعتقادات الذاتية للإنسان على مجريات حياته.

وفي هذا الصدد يشير دويدار(١٩٩٢) إلى أن وليم جيمس هو أول من تحدث عن الذات وأبعادها وأهميتها في فهم السلوك الإنساني، وفي السنوات الأخيرة أخذ يحتل مفهوم الذات موقعا مهما في الأبحاث والدراسات النفسية التربوية الحديثة بوصفه بعدا مهما من أبعاد الشخصية، إذ تم تناوله من وجهات نظر متعددة كمتغير مرتبط بمتغيرات أخرى على جانب من الأهمية.

وقد حقق مفهوم الذات تقدما في ميادين علم النفس منذ ظهور نظرية روجرز عن الذات ١٩٥١ - ١٩٦١، والتي جاء فيها أن الذات هي المحور الرئيسي للخبرة التي تحدد شخصية الفرد، ويتحدد على أساسها السلوك المميز له، ففكرتنا عن ذواتنا هي التي تحدد نوع شخصيتنا، وتحدد كيفية تصرفنا تجاه المواقف والأفراد حتى كيفية إدراكنا لهذه المواقف أو هؤلاء الأفراد، ويظهر مفهوم الذات في تقرير الفرد عن نفسه (عكاشة، محمود فتحي ١٩٩٠؛ الشامسي، عائشة جاسم ٢٠٠٥) وهذه النظرية ترى أن الذات تتكون وتتحقق من خلال النمو الإيجابي الذي يتمثل في بعض العناصر مثل صفات الفرد وقدراته، والمفاهيم التي يكونها بداخله نحو ذاته والآخرين، والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وكذلك خبراته عن الناس المحيطين به، ولذا فإن فهم الإنسان لذاته له أثر كبير في سلوكه، وقد أشار دويدار (١٩٩٢) إلى أن روجرز نظر إلى السلوك على أنه نتيجة للأحداث المدركة، وبالتالي فإن إدراكات الفرد تكون محددات لسلوكه التي سيستجيب بها إزاء هذه المدركات (الشامسي، عائشة جاسم ٢٠٠٥:٢٠).

تعريف مفهوم الذات

ويعرف كل من أدلر وتون (١٩٩٠) Adler and Towne يعرف مفهوم الذات على أنه مجموعة الإدراكات الثابتة نسبيا التي يحملها الفرد عن نفسه، ويرى ديكلو (٢٠٠٣) أن مفهوم الذات «مجموعة المنظورات والاعتقادات التي يمتلكها شخص عن ذاته، بالإضافة إلى المواقف الناتجة عنها».

ويعرف الدكتور زهران مفهوم الذات على أنه « تكوين معرفي منظم موحد ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد ويعتبره تعريفا نفسيا لذاته. ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية والخرجية» (٢٠٠٣:١٣٨).

ويمكن القول بأن مفهوم الذات ينظر إليه على أنه جزء لا يتجزأ من تطور نظام الذات، والتي تشتمل أيضا على: فعالية الذات وتقدير الذات، وفيما يلي تجدر الإشارة إلى الخطوط الدقيقة التي تفصل مفهوم الذات عن كل من فعالية الذات وتقدير الذات.

مفهوم الذات مقابل فعالية الذات

تشير بايرن (١٩٩٦) Byrne إلى أن كلا من مفهوم الذات وفعالية الذات يعبران عن مظاهر مختلفة، لذا لا يمكن الأخذ بهما تحت أي حال كمترادفين، ويقصد بالفعالية الذاتية « تقييم محيط محدد للكفاية في أداء مهمة محددة، والحكم بقابلية الفرد لإحراز سلوك محدد في حالات محددة ».

ولكن عندما نتحدث عن مفهوم الذات بصورة عامة فنحن لا نصف سلوك الفرد بصورة محددة، وإنما نتحدث عن عموميات وإدراكات عامة، وهنا تكمن الحاجة إلى تقسيم مفهوم الذات إلى أبعاد قد ترتبط في نهايتها بسلوكيات وأوضاع محددة كما هو في التنظيم الهرمي، وفي سبيل الربط وإيجاد علاقة مشتركة بين المصطلحين فإن مفهوم الذات ما هو إلا اعتقادات تجسد تقييم الذات المرتبط مع كفاية الشخص المدركة المستوعبة، وتأتي أحكام مفهوم الذات أكثر عمومية مقارنة مع فعالية الذات، فعلى سبيل المثال : فقرة اختبار مفهوم الذات في مادة محددة يتطلب الاستجابة لرد الفعل للحالة « أنا طالب جيد في العلوم » بينما فقرة

فعالية الذات تتطلب رد الفعل للحالة « أنا أستطيع حل هذه المسألة المحددة في العلوم ».

وفي أدلر وتون(١٩٩٠) Adler and Towne أن الأبحاث أجمعت على أننا لا نولد بمفهوم الذات، فبعد الولادة بقليل يبدأ الأطفال باكتساب مفهوم الذات عن طريق استثارة البيئة المحيطة، ففي حوالي الستة أو السبعة الأشهر الأولى يبدأ الطفل بتنظيم مفهوم الذات من المحيط الاجتماعي.

ويؤكد على ذلك أحمد عكاشة (١٩٩٠) إذ يشير إلى أن مفهوم الذات ينمو من احتكاك الفرد بالبيئة وخاصة البيئة الاجتماعية، أي من علاقة الفرد الديناميكية بالعالم الخارجي، كما يتحدد بناء على إدراك الفرد لصفة أو صفات عامة يمكن أن تستند إليه بكونه قوة متفاعلة مع القوى الأخرى في البيئة المحيطة، أي بكونه مصدرا للسلوك في البيئة التي يعيش فيها.

وأوضح هورمث (١٩٩٠) أن الاستقرار والتغير في مفهوم الذات يتطور خلال دورة الحياة، ودراسة العمليات التي تخضع مفهوم الذات للتغير تؤمن معلومات حول مفهوم الذات، وقد حدد منداجليو(٢٠٠٢) Mendaglio ثلاثة عوامل تساهم في تطوير مفهوم الذات لدى الفرد وهي: التقديرات المنعكسة، والمقارنة الاجتماعية، والإسناد(العزو)، وسنعرض فيما يلي بشيء من الإيجاز كل عامل من هذه العوامل.

التقديرات المنعكسة

ويرى هورمث (١٩٩٠)Hormuth أن الدور الذي يلعبه الآخرون في تكوين مفهوم الذات هو ردود الفعل إزاء تصرفات الشخص سواء كانت لفظية أو غير لفظية، إذ تؤمن ردود فعل الآخرين مرآة للذات يطور من خلالها الشخص ذاته، وبذلك تكون توقعات الآخرين وردود الفعل تجاه تصرفات الشخص عملية مهمة

قد تساهم في استقرار أو تغير الذات، وبطريقة أكثر تحديدا، فإن الـذات يمكـن أن توصف كتنظيم داخلي لقوانين خارجية في السلوك أو التعامل.

ويؤكد ديكلو (٢٠٠٣) على أن معرفة الذات تنمو عند الطفل بفضـل تفاعلاتـه مع الآخرين، وهي تتأثر بشكل كبير بالأشخاص الذين يلتفون حوله والذين يحكم بأنهم مهمون في نظره، والطفل يحقق بحضور هؤلاء الأشخاص عـددا كبيـرا مـن النشاطات الجسدية، والاجتماعية، والفكرية التي ينمي من خلالها مهاراتـه التـي يعيها شيئا فشيئا.

وأشـار منـداجليو Mendaglio(٢٠٠٢) إلى أن مفهـوم الـذات يتـأثر بالتفاعـل الاجتماعي مع الأشخاص ذوي الأهمية بالنسبة للطفـل، والـذين يتغيـرون خـلال مراحل النمو المختلفة، فبصورة أوليـة يتشـكل مفهـوم الـذات بواسـطة التفاعـل اليومي بين الطفل والوالدين، ثم يبرز في المرحلة التالية دور المعلمين، وبعد ذلك وفي سـن المراهقـة بالـذات يظهـر دور الأقـران بصـورة أكبـر، والممارسـات الاجتماعية لها تأثير مباشر على تطور مفهوم الذات، وبالذات جودة العلاقات بين الآباء- الأطفال، الأطفال-المعلمين، الأقران-الأطفال، ولعل المهم هنا التغذيـة الراجعة التي نتقبلها مـن الآخـرين إذ هـي الجانـب ذو القيمـة في تكـوين مفهـوم الذات.

إن الدور الذي تلعبه التقديرات المنعكسة في تطور مفهوم الذات يبـرز بصـورة أفضل في محيط التطور المعرفي، إذ أن مفهـوم الـذات يبـرز وينمـو عنـدما يأخـذ الشخص بعين الاعتبار التغذية الراجعة من الأشـخاص ذوي الأهميـة، إذ تتفاعـل القدرة المعرفية للشخص مع التغذية الراجعة، ومـع زيـادة النضـج المعـرفي فـإن الأشخاص يكون لديهم فرصة أعظم لقبول و/ أو تحويـل التغذيـة الراجعـة التـي يؤمنها التفاعل مع الآخرين، فالأطفال صغار السن الأقل نضجا يكونون أكثر ميلا

لقبول التغذية الراجعة، بينما المراهقون الأكبر سنا يميلون إلى الاستخفاف بالتغذية الراجعة من الآخرين.

وقد أشار ديكلو (٢٠٠٣) إلى نفس الفكرة، وهي أن الطفل خلال سنوات حياته الأولى يتعلم الابتعاد تدريجيا عن الأشخاص الذين يتمتعون بأهمية في نظره، ويبدأ في الاختلاف عنهم، وهو ما يسمى بالتدرج الناشئ في الانسلاخ والانفراد، الذي يبدأ الطفل من بعده بمعرفة أفضل لذاته وببناء مفهوم الذات الذي سوف يكون أساسا لهويته، فيكتشف نفسه مخلوقا فريدا في العالم ويمتلك عناصر أساسية لمعرفة الذات التي تتحول فيما بعد إلى عاطفة الهوية التي سيكتمل بناؤها في سن المراهقة.

ويرى محمود فتحي عكاشة (١٩٩٠) أن الأسرة مسئولة عن تكوين مفهوم الطفل عن ذاته وتقييمه وتقديره لها، بما تظهره من اتجاهات نحوه وما تقدمه من إشباع للحاجات النفسية الأساسية، وبما تجعله يمر به من مواقف النجاح أو الفشل، وما يستشعره من قبول أو رفض، كما يؤكد على دور المدرسة، فهي تحتل المرتبة الثانية بعد البيت بالنسبة للعديد من الأطفال في تأثيرها على تكوين تصور الطفل عن نفسه، وتكوين اتجاهات نحو قبول ذاته أو رفضها.

المقارنة الاجتماعية

بين ديكلو (٢٠٠٣) أن كل طفل يمتلك عند ولادته مميزات خاصة، ولكل منهم ملامح وطباع خاصة به أيضا، ويعبر بطريقته عن احتياجاته، ويبرهن بردود فعله وأعماله وحتى عواطفه على أنه مختلف عن الآخرين، ويتعرف الطفل بملاحظته الفروق بينه وبين الآخرين على ما هو عليه، وينمو شعوره بالهوية الشخصية(انظر: الشامسي، عائشة جاسم ٢٠٠٥).

ويرى الفيلسوف الاجتماعي جورج ميد أن مفهوم الذات عند الطفل يأتي عن

طريق استحسان الآخرين تجاهه، إلا أن تلقي الطفل لهذا الاستحسان يصعب تحقيقه قبل نمو قابليته الإدراكية. لذلك فإن طفل المدرسة الابتدائية يميل لتقويم ذاته من خلال استحسان أقرانه له. كذلك يتوقف مفهوم الطفل عن ذاته إلى حد كبير على استحسان ذويه له، فمثلا الأطفال الذين لا يحترمهم ذووهم لتدني تحصيلهم الدراسي يكون تقييمهم لذواتهم متدنيا أيضا. وبالعكس فالأطفال الذين يماشون المعيار العام في تحصيلهم الدراسي ويتمتعون باحترام ذويهم يكون تقييمهم لذواتهم جيدا (بيديس، إميل خليل ١٧٤:١٩٩٧).

ويبين العواملة ومزاهرة (٢٠٠٣) أن هذا العامل يظهر أثره في مرحلة الطفولة المتأخرة إذ يتحول المفهوم العياني للذات بالتدريج إلى مفهوم أكثر تجريدا، ويدخل في تكوينه المقارنة بالآخرين، ويبدأ الطفل بإعطاء وصف لذاته عن طريق تحديد موضعها من الآخرين.

ويشير ديكلو (٢٠٠٣) إلى أن الشخص الذي يشعر أنه يشبه الآخر في كل شيء لا يستطيع إدراك هويته الخاصة ولا يعرف ذاته المعرفة الحقة، لذا على الطفل أن يتعرف على ما يميزه عن الآخرين، وعليه أن يعي أنه يملك الملامح البدنية، والذهنية، والاجتماعية الخاصة به وحده، ولا نغفل هنا أن الطفل لابد أن يدرك أنه يشارك الآخرين بعض المهارات والطباع، وهذا الإدراك المتوازن للفروق والتشابهات بالنسبة للآخرين يقوده إلى معرفة جيدة للذات.

ويذهب منداجليو Mendaglio (٢٠٠٢) إلى أن هناك باعثا لدى الفرد ليقيم آراءه وقدراته، وهنا يهتم الأفراد بدقة هذا التقييم، وقد أشار إلى أنه في غياب معايير مستهدفة فإننا ننشغل بمقارنة أنفسنا بالآخرين لتحقيق الباعث للتقييم الذاتي.

ويرى أدلر وتون Adler and Town (١٩٩٠) أن الأشخاص يقومون بتقييم

أفضليتهم بمقارنتها بالآخرين، ونتيجة هذه المقارنة غالبا ما نعتمد على المجموعة المرجعية التي نقارن أنفسنا بها إذ تلعب هذه المجموعات دورا في تشكيل نظرتنا لأنفسنا، وهذا في حالة المجموعات أو الأفراد الذين يفوقوننا.

والملاحظ هنا أن هذه المقارنة قد توقع الفرد في إشكالية، إذ أنه كلما كبر التماثل بين الذات والآخرين كبرت دقة المعلومات الملتقطة في عملية المقارنة، وهذا يكون له تأثيره السلبي على الفرد في الكثير من الأحيان، ونلجأ أحيانا بدافع التعزيز الذاتي إلى مقارنة أنفسنا بمن هم أقل حظا، وهذا قد يكون له تأثير إيجابي على تطور مفهوم الذات.

الإسناد (العزو)

يقصد بالإسناد الإيضاحات التي يستخدمها الفرد ليبرر بها سلوك الذات وسلوك الآخرين، والإسناد يكون : للشخص نفسه، أو الوضع الذي هو عليه. ففي حالة الإسناد للشخص : الفرد يشرح السلوك بدلالة الخصال الشخصية. وفي حالة الإسناد للوضع : الفرد يشرح السلوك بدلالة سياق محدد (Mendaglio 2002). إن إدراك مفهوم الذات للفرد من منظور الإسناد يتضمن إيجاد التبريرات التي يقدمها الفرد حول سلوكه، وكثيرا ما تتأثر هذه الاستدلالات بالتغذية الراجعة من الآخرين وعمليات المقارنة الاجتماعية، وما يترتب على السلوك سلبا أو إيجابا، فمثلا الخصلة الملازمة لفئة الطلاب منخفضي الإنجاز هي انخفاض تقدير الذات، فهؤلاء الطلاب لا يؤمنون بأنهم قادرون على إنجاز ما تتوقعه منهم أسرهم أو أساتذتهم، ويرتبط بانخفاض تقدير الذات شعورهم بضعف السيطرة الشخصية خلال حياتهم، فهم إذا أخفقوا في مهمة ما فإنهم يعزون ذلك إلى ضعف القدرة، وإذا نجحوا فربما ينسبون ذلك النجاح للحظ، فعملية الإسناد هذه تجعل الطالب لا يبذل جهدا للإنجاز إذا كان هو في الأساس لا يرى علاقة بين المجهود

والمخرجات(الشامسي، عائشة جاسم ٢٠٠٥).

وهذا ما أكدته دراسة مانزوني(٢٠٠٤) Manzoni والتي بحثت في الأسباب التي يعزو إليها الطلاب نجاحهم أو فشلهم الدراسي، وأجريت هذه الدراسة على عينة تكونت من ١١٥ طالبا من طلاب السنة الثالثة والرابعة بجامعة زغرب في كرواتيا، وبينت في نتائجها أن الطلاب الناجحين يعزون نجاحهم بصورة أكبر إلى العوامل الداخلية كالمثابرة، والالتزام، والتنظيم الجيد، وجودة تحصيل المعرفة، بينما يعزو الطلبة الفاشلون النجاح بصورة أكبر إلى عوامل خارجية تعتمد على المحيط مثل الحظ، والمزاج أثناء الاختبار، والآباء.

ومن خلال استعراض العوامل التي تساهم في تطور مفهوم الذات نجد أن هذه العوامل تلعب دورا مؤثرا على مفهوم الذات كبناء متعدد الأبعاد، إن الذات بناء معرفي يتكون من أفكار الإنسان عن مختلف نواحي شخصيته، فمفهومه عن جسده يمثل الذات البدنية، ومفهومه عن بنائه العقلي يمثل مفهوم الذات المعرفية أو العقلية، ومفهومه عن سلوكه الاجتماعي يمثل الذات الاجتماعية. ويركز علماء النفس الإنساني على بناء الذات عن طريق الخبرات التي تنمو من خلال تفاعل الإنسان مع المحيط الاجتماعي، ويطلقون على العملية الإدراكية في شخصية الإنسان (الذات المدركة) والتي من خلالها تتراكم تلك الخبرات، فيتم بناء الذات ويكوّن الفرد مفهومًا عن ذاته. ولما كانت الذات هي شعور الفرد بكيانه المستمر وهي كما يدركها وهي الهوية الخاصة به وشخصيته فإن فهم الذات يكون عبارة عن تقييم الفرد لنفسه، أو بتعبير آخر هو مجموعة مدركات ومشاعر لدى كل فرد عن نفسه.

وفي منداجليو(٢٠٠٢) Mendaglio أن مفهوم الذات هو تنظيم أو ترتيب

لإدراكات الشخص لنفسه في أبعاد متعددة هي :

- مفهوم الذات الأكاديمي.
- مفهوم الذات الجسمي.
- مفهوم الذات الاجتماعي.

وهذه الأبعاد ذات طبيعة هرمية متدرجة ومتسلسلة في طبيعتها، وذلك حسب النموذج الذي وضعه شافلسون عام (١٩٧٩) والذي يصف مفهوم الذات على أنه تركيب متعدد الأبعاد ومتدرج حيث يقع الإدراك للذات العامة في القمة، والسلوك الفعلي في القاعدة، وبالتحرك من القمة للقاعدة فإن هذا البناء يزداد في التمايز، وينقسم مفهوم الذات العام – الموجود عند قمة الهرم – إلى شقين من المكونات:

- مفهوم الذات الأكاديمي ويندرج تحته مفهوم الذات المتعلق بكل مادة دراسية.
- مفهوم الذات غير الأكاديمي الذي ينقسم إلى مفهوم الذات الاجتماعي، أو التقبل الاجتماعي من الآخرين والجاذبية الشخصية(٢٠٠٢ Mendaglio).

وقدمت سلوى شرف (٢٠٠٤) تعريفا لمفهوم الذات الاجتماعي بأنه مجموعة المدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد الفرد أن الآخرين في المجتمع يتصورونها، والتي يتمثلها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي.

وهذا ما نلاحظه من نموذج التنظيم الهرمي لمفهوم الذات، إذ أن المفهوم العام للذات الذي يكونه الفرد عن نفسه ما هو إلا محصلة لعوامل متعددة تنطلق من قاعدة الهرم وتتدرج عبر خبرات الطفل في المنزل والمدرسة والمجتمع بحيث تتشكل لديه مفاهيم فرعية لذاته تتعلق بجسمه، وشخصيته، وعاطفته، وإنجازه، لتجتمع معا وتشكل بالتالي مفهوما عاما للذات لديه.

وخلال مراحل النمو المختلفة يحاول الفرد باستمرار التعرف على ذاته وتحديد معالمها، ويكون ذلك بشكل ملحّ في مرحلة المراهقة، ويستمر بقية الحياة تبعًا لما يحل عليه وعلى بيئته من تغيير، وفكرة الفرد عن نفسه تتميز بالتفرد، ولكنها عرضة للتعديل بتأثير الظروف البيئية والاجتماعية التي تحيط به، وبوجهة نظر الآخرين عنه، فالفرد قد يرى نفسه بصورة إيجابية أحياناً، وبصورة سلبية أخرى، إلا أنه بصفة عامة له تصور شبه ثابت عن ذاته.

من المسلم به أنه حين نتحدث عن مفهوم الذات وتطوره كمفهوم متعدد الأبعاد فإننا نتطرق لجانب متعلق بالاعتقادات التي يحملها الفرد عن نفسه في كافة مجالات النمو.

أهمية معرفة الذات والشعور بالرضا عنها

يلعب مفهوم الذات الإيجابي دورا مهما في حياة الفرد، إذ يشير دويدار (١٩٩٢) إلى أن مفهوم الذات الإيجابي يعتبر من العوامل الأساسية للحياة الناجحة، ولتحقيق التوافق السليم للفرد فإن مفهومه عن ذاته يحدد إلى درجة كبيرة سلوكه واتجاهاته ومحور تفكيره ودافعيته.

ويبين كل من فيرر وفوجيت Ferrer and Fugate(٢٠٠٣) أن لمفهوم الذات دورا فيما يتعلق باتجاهات الفرد وأهدافه في الحياة، ويتمثل ذلك في الدور الذي يقوم به مفهوم الذات في توافق الفرد مع هذه الاتجاهات أو تعديلها أو تغييرها من ناحية أخرى، أما بالنسبة للطفل فإن مفهومه عن ذاته يؤثر على كيفية رؤيته وتفاعله مع الأحداث، فمفهوم الذات الإيجابي هو أساس للتطور الإيجابي في مراحل العمر المختلفة، فالطفل الذي يتمتع بمفهوم ذات إيجابي يتميز بما يلي:

- يرى نفسه أنه جدير بالحب وأنه ذو قيمة.
- يكون قادرا على التحصيل مقابل الجهد الذي يبذله، وبالتالي يستطيع تحقيق إنجاز أفضل في المدرسة.
- يكون قادرا على وضع أهداف لنفسه واتخاذ القرارات.

- يكون مهيأ أكثر لتعلم أشياء جديدة وممارسة أنشطة جديدة.
- له علاقات جيدة مع عائلته وأصدقائه.
- يستطيع السيطرة على سلوكه والتواصل مع الآخرين.

أهمية مفهوم الذات عند الطفل

نضيف إلى ماسبق، أن أهمية بناء الشخصية أو تطوير ذات الطفل، تأتي عن طريق تأسيس مفهوم ذات قوي لجميع الأبعاد المتعلقة بالذات للوصول إلى تقدير عال للذات يدفعها إلى الإنجاز وصولا إلى الرضا عن النفس، فالأطفال الذين يشعرون بذلك بإمكانهم أداء الأعمال جيداً، ويعتمد ذلك على نجاح الأسرة في وضع أساس لبناء شخصية الابن منذ الصغر.

ويبدأ الطفل على التعرف على ذاته الجسدية واكتشافها تدريجيا، وتتطور لديه الذات مع نمو الشخصية، فالذات (the self) هي لب الشخصية (personality)، إلا أن الطفل يدرك وجود العالم الخارجي والآخرين قبل إدراكه لذاته، وبعد ذلك يتعرف على أن له خصوصيات وممتلكات وأن له اسما يتردد على سمعه باستمرار، فهوية الذات (self– identification) هي أحد المدركات التي تتبلور عند الطفل في أولى مراحل حياته (الحفني، عبد المنعم- ١ – ٢٠٠٣:٤٨٥).

و يعتبر تعزيز مفهوم الذات من الاحتياجات المهمة التي يجب إشباعها لدى الطفل، والذي يبدأ معه، ببداية حياته، حيث يولد الطفل في وسط اجتماعي تربطه بالآخرين علاقات تبادلية وتفاعلية تتطور بمرور الزمن، ومن خلال خبرته التي يكتسبها من اتصاله بالآخرين تنشأ لديه القدرة على إدراك معالم فرديته التي يحرص على تثبيت أركانها، ومهما بلغ انصهار الطفل في الكيان الاجتماعي فإن معالم شخصيته يبقى لها الحضور الذي يستحق الرعاية والتنمية، فذات الطفل التي تحمل عناصر قواها منذ الولادة تكون في نفس الوقت على صلة وثيقة بخبرات الحياة، والذات عند الطفل تشكل عالمه الخاص وما يتضمنه من أحاسيس وكيان

وجداني عام وانفعالات وآمال ومخاوف وخيالات (الجسماني، عبد العلي ١٩٩٤:٣٥).

ومن الأبعاد الأساسية المرتبطة بمفهوم الذات يأتي تقدير الذات أو اعتبار الذات (Self-Esteem) ليمثل الجانب الوجداني من الشخصية (مفهوم الذات يمثل الجانب المعرفي من الشخصية) ويشير تقدير الذات عند الطفل إلى مدى إعجابه بنفسه، إضافة إلى مدى ما يعطيها من قيمة وأهمية (المطوع، روضة ١٩٩٨:٢٥). وعموما، يمكن القول بأن تقدير الذات يعني اعتقاد الفرد عن نفسه من حيث إمكاناته ومنجزاته واحترامه لذاته ومواطن قوته وضعفه وعلاقاته بالآخرين، ومدى ما يتمتع به من الاستقلال والاعتماد على النفس، وقد يكون احترام الشخص لذاته عاليا أو منخفضا (البخاري، إسماعيل أمين ٢٠٠٨؛ Colman, Andrew 2006: 79).

ويتكون تقدير الذات عند الطفل منذ بدء حياته نتيجة التراكمات الوجدانية التي يتعرض لها، فعندما يتعرض لتجارب سارة ينعكس ذلك إيجابيا على شخصيته، وبالعكس فإذا كانت هذه التجارب قاسية ومؤلمة (مثلا اعتداء بدني أو نفسي أو جنسي متكرر أو حرمان أو إهمال عاطفي) يتكون لدى الطفل انطباع سلبي كبير عن ذاته مصاحبا بمشاعر الخوف والخجل والجبن والتردد، مع الكآبة وعدم الثقة في النفس أو الآخرين، وانعدام الدافعية والفشل المتكرر في أي أمر يقدم عليه.

ويعتبر رضا الطفل عن ذاته من أهم مقومات التقدير لها. فإن الأطفال الذين يشعرون بالرضا عن أنفسهم يعرفون تماماً ما يستطيعون وما لا يستطيعون عمله، وبإمكانهم معايشة هذه الحقيقة، وعليه يجب أن يتحلى الأطفال بهذا الشعور عن

أنفسهم قبل شعورهم برضا الآخرين. وعندما تتأثر ذات الطفل سلبا، قد يساعد في اصلاح هذا الخلل إعداد برنامج جيد لمعرفة الذات وتقديرها، وخاصة لمن هم دون سن المدرسة، وذلك بهدف مساعدة الأطفال على اكتساب مفهوم جيد للذات وتنمية الشعور بتقدير الذات، إلا أن التربية السليمة بإمكانها اكساب الطفل مفهوما للذات لا يعتريه الخلل.

وجدير بالذكر، أن الأطفال، ومنذ مولدهم، يتعلمون إرضاء أنفسهم وذلك عن طريق المعاملة التي يتلقونها من المحيطين، فالطريقة التي تحمل بها الأم وليدها بين ذراعيها تجعل الوليد يشعر بالرضا والسرور.

والوليد الذي يحمل ويضم بحنان ودفء يتعلم الشعور بالهناء والحب حتى مجرد الطرق التي تكون باللمس في بعض أجزاء جسمه والاقتراب منه تكون بمثابة الأحاسيس التي يتعلم من خلالها قبل أن يتعلم الكلمات ويفهم معناها، وعندما يكبر الوليد ليكون طفلا صغيرًا يظل محتفظًا بما اكتسب وتعلم للرضا عن نفسه، وعندما يشجع لتركه (المشاية) لكي يحاول الخطو بمفرده أو القيام بمحاولاته لتناول الغذاء بنفسه، إنما يجعل ذلك فيه شعوراً جديداً هو الرضا عن النفس وعما يقوم به من أعمال(الشامسي، عائشة ٢٠١٠). وهكذا نجد أن ذات الطفل، وما تكون عليه سلبا أو إيجابا، ما هي الإنتاج ما تقوم به الأسرة من عناية.

فمن ناحية أخرى يمكن أن يكون للأسرة دورا سلبيا على تشكيل مفهوم الذات عند الطفل. يقول إسماعيل أيمن البخاري: إن أفراد الأسرة ربما يساهمون بدون أن يدروا في تكوين الانطباع السلبي عند الطفل نحو نفسه، وذلك من خلال تعاملهم معه، فبعض الآباء يلجؤون إلى لوم ونعت أبنائهم بصفات سيئة ويعمدون إلى ضربهم وإذلالهم لأقل خطأ معتقدين أن هذا الأسلوب هو الأنجح في التربية، ولكنهم لا يدرون أن الاستمرار في تصرفهم هذا يعوق بناء شخصية الطفل السليمة

ويترك لديه انطباعا مستمرا بأنه غير محبوب ولا يصلح لشيء وأنه فاشل. فأسوأ شيء يمكن أن يفعله أب هو أن يعمد بصورة متكررة إلى ضرب وإهانة الابن وفي نفس الوقت نعته بصفات قاسية، فتكرار هذه النعوت عندما يكون الطفل في حالة نفسية سيئة تنطبع ويؤمن بها عقله الباطن الذي يعمل على أن يكون الصبي كما نعت به تماما مستقبلا.

نمو الذات ومفهومها في فترة المراهقة بصفة عامة

كما هو الحال في سنوات الطفولة، فإن مرحلة المراهقة يمكن أن تترك بصماتها أيضا على مفهوم الذات عند الأبناء، ففي هذه المرحلة يحدث للابن تغيرات تشمل النمو الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي فتؤثر هذه التغيرات على الشخصية بصفة عامة. وفي دراسة تتبعية أجراها بارك Park (٢٠٠٣) لاختبار تأثير مفهوم الذات في سنوات المراهقة على الصحة النفسية والجسدية في فترة البلوغ، وجد أن الضعف في مفهوم الذات لدى المراهقين الصغار يرتبط بحدوث الاكتئاب خلال السنوات الست التالية، وهو أيضا يتنبأ بخمول القدرة الجسدية لدى الأولاد وظهور البدانة، بينما مفهوم الذات القوي له تأثير إيجابي طويل المدى على الوعي الصحي الذاتي لدى الفتيات.

وفيما يلي يشير حامد زهران (٢٠٠٣) إلى نمو الذات في فترة المراهقة ومفهومها:

- يزداد وعي المراهق بذاته ويستطيع تقييمها بدقة، وبالتالي فإن الذات القوية النامية للمراهق تمكنه من التأثير الإيجابي في بيئته وفي تبنيه للمواقف الاجتماعية.
- يؤثر كل من البلوغ والنضج الجسمي في درجة اتجاه المراهق نحو ذاته والآخرين.

- تثبت الدراسات وجود علاقة إيجابية بين تقدير الجسم وتقدير الذات لدى الشباب. (للمزيد حول هذا الموضوع انظر: فوزي، إيمان ومنيب، تهاني ٢٠٠٣).

- إن التغيرات الداخلية والخارجية التي تواجه الأبناء في حياتهم وتؤدي إلى عدم استقرار مفهوم الذات لديهم يمكن تعديلها وإعادة تنظيمها، فمع النمو يزداد تكامل الذات وفي مرحلة المراهقة يمكن بناء الذات المثالية.

- يتأثر مفهوم الذات عند الأبناء من خلال تفاعلهم مع الوالدين والمعلمين والرفاق.

- عدم إدراك المراهق الفروق الفردية في النضج بينه وبين أقرانه الذين سبقوه ومقارنته بهم يؤثر سلبا على مفهومه لذاته.

- ينمو مع الفرد منذ طفولته مفهوم آخر للذات يعرف ب « مفهوم الذات الخاص» Private Self- Concept، وهو الجزء الشعوري من خبرات الذات التي لا يستسيغها المجتمع، وهي خبرات محرمة أو مخجلة أو بغيضة أو مؤلمة لا يجوز البوح بها، هذه الخبرات عندما يتعرض لها المراهق ويشعر بها دون أن يجرؤ على البوح بها تستمر معه لتشكل مفهوم الذات الخاص لديه، وبالتالي تهدد استقراره وقد تؤدي إلى عدم التوافق النفسي لديه (زهران، حامد ٢٠٠٣:٤٣٨).

ونستنتج من ذلك أنه كلما كان مفهوم الذات قويا عند الفرد كان أكثر اقترابا لاكتسابه الشخصية المتكاملة، وكلما ضعفت العلاقة بينهما أصبحت الشخصية مهددة بالأمراض النفسية.





الفصل السادس

المشكلات النفسية عند الأبناء



ناقشنا في الفصل السابق الملامح الأساسية لمقومات الشخصية المتكاملة للفرد وعلاقتها بمفهوم الذات، وأبعادها، والتي تتطلب مساهمة المؤسسات الرسمية وغير الرسمية لتحقيقها عند الأبناء، وعندما تتعثر هذه الجهود وتصاب شخصية الأبناء بالخلل فإن النتائج تكون نقيض هذه الشخصية، وتصبح المظاهر السلبية هي السمة المعبرة عن سوء الصحة النفسية وفي هذا الفصل نشير إلى بعض هذه السلبيات الأكثر شيوعا عند الطفل، وأخرى عند المراهق.

أولا: المشكلات النفسية عند الأطفال

كثيرة هي تلك المشكلات النفسية والصحية التي قد يصاب بها الأطفال نتيجة عوامل بيولوجية أو نفسية أو اجتماعية، وكثيرا ما يعزى حدوثها أو استمرارها إلى إهمال الأسرة الاهتمام بتطور نمو الأبناء ومعرفة متطلبات مراحله، ومن ثم الوقاية من تلك المشكلات أو معالجتها فور حدوثها، ومن بين تلك المشكلات نختار ثلاثة منها، لمناقشة طبيعتها وأسبابها وكيفية تجنبها أو علاجها، وهي: التبول اللاإرادي، مص الأصابع وقضم الأظافر، والشعور بالخوف، وانعدام الأمن (الخوف):

(١) مشكلة التبول اللاإرادي Enuresis عند الطفل

في الظروف الطبيعية تكون قدرة الطفل على التحكم في عملية التبول النهاري في الشهر الثامن عشر، أما عملية التبول الليلي فعادة ما يتم التحكم فيها خلال النصف الأخير من العام الثالث، هذا في حالة التطور الطبيعي لعملية التبول في الطفل السليم، ولكن هناك بعض الحالات التي لا يستطيع فيها الطفل التحكم في هذه العملية حتى سن متأخرة، قد تصل أحيانا إلى السابعة أو الثامنة، وقد تمتد إلى أبعد من ذلك حتى تصل إلى سن البلوغ، وعندما يتخطى الطفل سن الثالثة يصبح الأمر مدعاة للقلق ويجب معالجته، ولكن بشرط ألا يلجأ الآباء إلى خبراتهم الذاتية في هذا الشأن (الأشول، عادل عز الدين ٢٠٠٨:٤٧٢).

والحقيقة أنه كثيرا ما يرجع السبب لمشكلة التبول اللاإرادي إلى عادة ترتبط بعادات أخرى تدل على أن إصابة الطفل بهذه المشكلة يرجع إلى عاملين:

أ. عامل استعدادي، يتصل بالتكوين العضوي أو الوظيفي للجهاز البولي.

ب. عامل نفسي، يحدث نتيجة الخبرات المؤلمة التي يعيشها في بيئته، وكذلك الاضطرابات المؤلمة الحادة.

وهذا يتطلب وضع نظام يكون خاليا من التوتر العقلي قدر الإمكان، والالتزام بتحديد ساعات معينة لنوم الطفل ويقظته (الأشول، عادل عز الدين ٢٠٠٨:٤٧٢).

ويضيف الدكتور مجدي الدسوقي (٢٠٠٣) أسبابا أخرى كامنة لعملية التبول اللاإرادي استقاها من دراسات وبحوث حول هذه المشكلة، وهي كالتالي:

- أسباب عضوية تتمثل في مرض الطفل أو ضعف عضلات المثانة لديه، كأن يكون الطفل مصابا بحالات التهاب في مجرى البول أو في المثانة، أو بحالات الإنهاك العصبي العام، أو فقر الدم، أو الإصابة بالأمراض المتوطنة، وكثيرا ما يؤدي الضعف العام الناتج عن المرض العضوي إلى ضعف السيطرة على العضلات، وقد يعود أيضا سبب التبول اللاإرادي إلى إكثار الطفل من شرب السوائل قبل النوم ... ويكمن العلاج هنا في علاج هذه المسببات العضوية المرضية.

- وقد يعود سبب التبول اللاإرادي أيضا إلى أسباب نفسية، مثلا نتيجة فقدان الطفل الشعور بالأمن والطمأنينة، أو نتيجة ما يعانيه من قلق نفسي بصفة عامة، أو نتيجة الخوف الذي يكون مركزا وظاهرا في بعض المواقف: كالخوف من الظلام، من الأم، من المدرس ... وغيره.

- وهناك أطفال يشعرون بأن مركزهم أصبح مهددا بولادة طفل جديد في العائلة استحوذ الاهتمام الأكبر من الوالدين، وفي هذه الحالة يبدأ الطفل في التبول لا إراديا ويعبر عن الغيرة، وهو في الواقع وسيلة لا شعورية لرده إلى المرحلة التي كان فيها أصغر سنا، حين كان محور اهتمام والديه، وهو ما يطلق عليه علماء النفس عملية «النكوص»، أي الرجوع إلى مرحلة سلوكية من مراحل الطفولة الأولى.
- وقد يكون السبب عائدا إلى دخول الطفل المدرسة لأول مرة ودون إعداد سابق أو تمهيد يهيئه لذلك، أو قد يعود إلى سوء معاملة الوالدين له (ص٢٢٥-٢٢٤).

علاج التبول اللا إرادي

نظرا لأن مشكلة التبول اللاإرادي تعتبر عرضا من أعراض سوء التوافق مع البيئة لعدم إشباعها للحاجات النفسية للطفل، حيث لا تشعره أسرته بالحب والطمأنينة والتقدير، يعاني الطفل بعدم الثقة والنقص والميل للوحدة ... وقد يكون التبول اللاإرادي أحد الأعراض، كالحركات العصبية والعناد وغيرها. وفي حالة إشباع هذه الحاجات يزول التبول اللاإرادي، كما تزول بقية الأعراض (نفس المرجع ص ٢٢٥).

وينصح الدكتور عادل الأشول (٢٠٠٨) لعلاج الطفل من مشكلة التبول اللاإرادي باتباع خطوات معينة أولها الطلب من الطفل بأن يشارك في حل هذه المشكلة مع الحرص أن لا يتعرض إلى العقاب أو الإذلال، بل على الأسرة أن تلجأ إلى اللين والإقناع وتبصير الطفل بأن هذه المشكلة يمكن إصلاحها وعليه أن يشارك في حلها، ومع الإقلال من كثرة شرب السوائل ليلا وإيقاظه إن لزم الأمر ليذهب إلى دورة المياه سيساعده ذلك في حل هذه المشكلة.

الأمر الثاني الذي يراه الدكتور عاشور حلا لمشكلة التبول اللاإرادي هو أن تشخص الأسباب عن طريق متخصص، وأن يعالج كل سبب على حدة (ص٤٧٣) .

(٢) مشكلة مص الأصابع عند الطفل

كثيرا ما نجد الأطفال يلجئون إلى مص أصابعهم، وهي عبارة عن حركة عضلية يقوم الطفل بتكرارها حتى تصبح من العادات الدائمة لديه، ففي بدء حياة الطفل يكون مص أصابع يديه أو قدميه مصدر لذة لديه، وهي في الحقيقة تعتبر رد فعل طبيعي غريزي يلجأ إليه الطفل منذ الميلاد وقد يبقى حتى الخامسة أو السادسة من العمر (الأشول، عادل ٢٠٠٨:٤٧٣)، وبالرغم من أن شيوع هذه المشكلة بين الأطفال أمر عابر ومؤقت لا يستقر في شخصية الفرد، إلا أنه إذا استمرت ممارستها مدة أطول عن المدة الطبيعية، فعلينا حينئذ أن ننظر إليها على أنها نوع من المشكلات العقلية أو الوجدانية، ومن مضار هذه العادة أيضا إذا ما استمرت في حياة الطفل أنها منافية للآداب واللياقة، كما أن استمرارها يؤدي إلى إحداث تشوهات في الأصابع والفكين (نفس المرجع ص ٤٧٤).

ومن المهم أن نعلم أن المبالغة في أهمية هذه المشكلة والنهي المتكرر عنها لا مبرر له، لأن الطفل سيستمد من هذا الأمر جانبا من الرضا اللاشعوري، ثم يتحول إلى استغلال هذا الأمر والعناد والمقاومة، لذلك لا بد من البحث عن طريقة مناسبة للقضاء على هذه المشكلة، وربما يكون تحويل نشاط الطفل إلى سبل أخرى دون أن يدرك ذلك هو العلاج الأمثل لها، وسرعان ما تحل الميول الجديدة محل القديمة ثم تختفي المشكلة نهائيا (الأشول، عادل ٢٠٠٨:٤٧٥) .

***

مشكلة الخوف عند الطفل

يعرف الخوف عموما بأنه « انفعال قوي غير سار ينتج عن الاحساس بوجود خطر أو يتوقع حدوثه، يدفع الفرد إلى تجنب المثير الذي يخفيه أو الدفاع عن نفسه بطريقة أخرى، فالفرد يتعلم بسهولة تكتيكات ومناورات التجنب الفعال أو السلوك المسيطر على الموقف المؤلم»(عبد الهادي، جودت عزت والعزة، سعيد حسني ٢٠٠٥:٢٢٠) .

وهو «انفعال يتضمن حالة من حالات التوتر التي تدفع الشخص الخائف إلى الهروب من الموقف الذي أدى إلى استثارة خوفه حتى يزول التوتر، فالخوف يتضمن حالة من التوجس تدور حول خطر معين له وجود واقعي» (الزعبي، أحمد محمد ٢٠٠٧:١٤٧).

إن مشكلة الخوف عند الأطفال هي من أكثر الظواهر التي تميز مرحلة الطفولة، حيث يعتقد علماء النفس أن الخوف وما يتصل به من حالات القلق والاضطراب النفسي جزء من الدوافع البشرية، وتؤثر على علاقة الطفل بالآخرين، وهناك عدة أشياء يخاف منها الطفل، فهو يخاف من الظلام ويخاف من السقوط المفاجئ، ويخاف عندما يترك بمفرده، ويخاف كذلك من الحيوانات ومن الأصوات المرتفعة المفاجئة، وتبدأ المخاوف عند الطفل في عمر مبكر، ففي عمر الستة أشهر يخاف الأشخاص الذين لم يتعود على رؤيتهم، فنجده يتمسك بأمه عندما يراهم، وفي العام الأول من عمره يخاف الأصوات والضجيج مهما كان مصدرها، وبين العام الثاني والثالث يخشى الحيوانات كالقطط والكلاب، وهناك كثير من الأشياء تكون مصدر خوف للأطفال.

وفي الحقيقة فإن كل تلك المخاوف التي ذكرناها والتي تلازم الأطفال خلال السنوات الثلاث الأولى من عمره تعتبر طبيعية، وتنتاب الغالبية العظمى من

الأطفال السويين، ولكن إذا زادت هذه المخاوف عن حدها وبصورة قوية فإنها تدعو إلى القلق؛ لأن تلك المخاوف الطبيعية قد تتحول إلى حالة مرضية.

والمخاوف متعلمة ومكتسبة من الأم والمحيطين بالطفل، حيث ينتقل الخوف من الكبار الذين تنتابهم المخاوف من أمور معينة إلى الصغار المتصلين بهم (عطية، نوال محمد ٦٠:٢٠٠٠).

ويميز الدكتور أحمد الزعبي (٢٠٠٧) بين ثلاثة أنواع من المخاوف التي تظهر عند الأطفال: الخوف الطبيعي؛ الخوف المرضي، والخوف من المدرسة، نبينها فيما يلي:

١. الخوف الطبيعي

وهو شعور أو إحساس ينتاب الطفل ويكون رد فعل طبيعي لمثير خارجي يقابله الطفل بأسلوب وقائي أو دفاعي، تعبر عن حالة انفعالية لدى الطفل نتيجة إحساسه بمواجهة موقف خطر أو منذر بالخطر، فمثل هذه المخاوف عند الأطفال تكون أسبابها محسوسة وحقيقية وواقعية يعبر عنها الطفل بسهولة ووضوح، وهي نفسها تلك المخاوف التي ذكرناها في الفقرة السابقة، وللمخاوف الطبيعية لدى الأطفال فائدة تتمثل في الحفاظ على البقاء، من حيث إنها تعتبر مصدر تنبيه إلى مصدر الخطر، تهيئ للجسم حماية النفس والدفاع ضد حدوث الخطر، وأحيانا تعكس أحلام الطفل المخاوف التي تنتابه، وعندما نستمع إلى هذه الأحلام مبكرا يمكن معرفة ما يعانيه وما يخيفه ونحاول تخليص الطفل من هذه المخاوف، وعندما تكون المخاوف من أشياء ضارة تستدعي الحذر والحيطة منها تجنبا لضرها، تكون في هذه الحالة طبيعية بل ومفيدة أيضا.

٢. الخوف المرضي

وهي تلك المخاوف التي تنتاب الطفل ولا يوجد لها سبب حقيقي معروف، وهذا النوع من المخاوف يكون من أشياء أو مواقف أو أشخاص تكون شديد

الوطأة، وتستمر لفترة طويلة، وليس لها ما يبررها في الواقع تسبب لصاحبها القلق والشعور بالعجز، كذلك تظهر على الطفل بعض الأعراض النفسجسمية مثل: القيء، والإسهال، والاضطراب في التنفس وسرعة ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم والتبول اللاإرادي وتقلصات في الأحشاء الداخلية وغيرها، وهذا النوع من المخاوف يجب أن يوليه الوالدان اهتماما كبيرا ويعملا على معالجتها حتى لا تتطور وتؤدي إلى اضطراب نفسي شديد وتستمر عنده حتى سن الرشد.

٣. الخوف من المدرسة

أحيانا يعاني الأطفال من المدرسة، وتنعكس هذه المعاناة في مظاهر مختلفة مثل الرسوب والصداع وآلام في البطن وقضم الأظافر والحركة الزائدة وتشوش الإدراك والاضطرابات السمعية والبصرية والاضطرابات اللغوية وتغيرها، وتزول هذه الأعراض كلها أثناء الإجازات المدرسية (الزعبي، أحمد ١٥٢ – ١٤٧:٢٠٠٧ ١٥٢).

ومن المهم أن يدرك الآباء أن تخويف الطفل له آثار نفسية قد تنعكس على حياة الطفل عندما يكبر، فيخشى الناس أو لا يرضى أبدا عن عمل يعمله، ويصبح دائم القلق والخوف والانطواء والبعد عن الآخرين (كلير، فهيم ٢٠٠٧-٣-). وإذا كان من الحاجات الأساسية للنمو السوي للطفل الحاجة إلي الأمن والسلامة فإن العكس يسبب عائقا أمام النمو العقلي السليم والمتوازن، والحاجة إلى الأمن والسلامة تعني إزالة مخاوف الطفل وشعوره بالثقة بمن حوله، ثم يكتسب الثقة بنفسه على مر الزمن شيئا فشيئا، وهنا تكمن أيضا الأمانة وحسن التصرف، فتحقيق الجو المنزلي المستقر والعلاقات الأسرية المتينة والجو العائلي الآمن شرط من شروط إرضاء الحاجة إلى الأمن عند الأطفال وإزالة خوفهم من فراق أحد الأبوين أو شجارهما أو نزاعهما، وكذلك يحتاج الطفل إلى الأنس بما حوله من كائنات وحوادث كونية، فعدم تخويف الطفل يولد عنده شعورا بالثقة بالنفس ويؤدي إلي

استقراره الفكري، وبالتالي العقلي، أما الخوف فيؤدي إلى ضعفه العقلي إذا تمكن من شعوره الداخلي وسيطر عليه (الغزالي،حسام٦٠ :٢٠٠٥).

ثانيا : مشكلات الأبناء في فترة المراهقة

في هذه الفترة الحرجة من حياة الإنسان يتعرض المراهق إلى أزمات ومشكلات، وقد لا يفصح عنها ولا يمكن للآخرين اكتشافها، ورغم ذلك فإن من شأن هذه الأزمات النفسية التي يعتقد البعض أنها ليست ذات أهمية أن تدمر حياة المراهق وتفقده مستقبلا كان بإمكانه أن يبلغه بنجاح، ونعرض هنا لثلاثة أمثلة من هذه المشكلات، تتمثل في: الصراع القيمي- الاغتراب – أزمة الهوية، وقد تم اختيار هذه الحالات من بين مشكلات أخرى كثيرة وربما هي أكثر خطورة، ولكن اتساع انتشار هذه المشكلات بين الشباب مع التجاهل أو الجهل بأهميتها لدى المحيطين بالأبناء، هي التي جعلتنا نعطيها الأولوية في الإشارة إليها.

(١) مشكلة الصراع القيمي في سن المراهقة

أصبحت ظاهرة الصراع القيمي (Value Conflict) عند المراهقين والشباب اليوم من الأمور التي تستدعي التوقف عندها وإعطاءها الاهتمام البالغ من الباحثين والمهتمين بهذه الشريحة من المجتمع، فهذه الظاهرة هي واحدة من إفرازات مرحلة زمنية تتسم بخصائص في غاية التعقيد والخطورة، وتتخذ أشكالا مختلفة وتزداد تعقيداتها يوما بعد يوم، كما تتعدد أبعادها وأسبابها، حتى تكاد أن تشكل تهديدا للنسق القيمي للمجتمع ككل.

وتأتي أهمية القيم في الحياة البشرية لكونها من المحددات المهمة للسلوك determinants of behaviours، فهي ليست فقط أكثر شمولا من كل رغبة وحاجة واتجاه ودافع، بل هي أيضا التي تستجلب الحاجات والرغبات، علما بأنها ليست أحد مكونات الدوافع، غير أنها تشكل جزءا من نسقه، كما أنها ليست من

المعايير السلوكية لأنها عامة ولا ترتبط بمواقف معينة، ولكنها يمكن أن تكون مصدرا للكثير من المعايير، فمثلا عندما نتكلم عن المساواة كقيمة، فإن ذلك يعني أنها معيار للكثيرين من الناس في مواقفهم المختلفة وعلاقاتهم المتباينة، وعندما ترسخ الاتجاهات وتقوى فإنها تصنع قيمة.

وتنتظم مجموعة القيم عند الفرد لتشكل ما يعرف بـ «نسق القيم» Value System لديه، وهنا يجب عدم الخلط بين الأيديولوجية الشخصية للفرد ونسق القيم، فالأيديولوجية عامة وليست شخصية، وإنما نسق القيم هو فقط يمكن أن يكون شخصيا كما يمكنه أن يكون جماعيا في آن واحد، وبينما الاتجاه هو استعداد نفسي أو تهيؤ عقلي مكتسب « للاستجابة الموجبة أو السالبة نحو الأشخاص أو المواقف أو الموضوعات المختلفة، فإن القيم أكثر من ذلك، لأن القيمة مفهوم مجرد يتصل بالذات، ومن نسق القيم يتكون مفهوم الذات وتقدير الشخص لنفسه واحترامه لها، وهذا في حد ذاته يكون سببا لجعل نسق القيم يستمر ويثبت عند الشخص (الحفني، عبد المنعم ٢٠٠٣:٩٦-١-).

وتكمن ضرورة الاهتمام بموضوع القيم لدى الشباب في كونها موجهات للسلوك، وعندما يفتقد الشباب هذه القيم أو عندما تتضارب فإنهم يتعرضون للاغتراب عن الذات والمجتمع ويفقدون دوافعهم للعمل فيؤثر ذلك على إنتاجهم سلبا.

ويذهب الدكتور عادل الشوال إلى أن فترة المراهقة هي أكثر الفترات التي يركز فيها الأبناء اهتمامهم على الأخلاق والقيم والمعايير، وتساعد قدرتهم على التأمل والتفكير التي يتميزون بها في هذه الفترة من العمر على تدعيم قوة الوعي لديهم بالأسئلة والاستفسارات المرتبطة بالقيم والأخلاق، هذا إضافة إلى أن التغيرات المتسارعة للمطالب المجتمعية تلقي بثقلها على كاهل المراهق، مما يجعله يعيد

تقييمه باستمرار للقيم والمعتقدات الأخلاقية، وخاصة في مجتمعنا الحاضر وما يعتريه من ضغوط قيمية متصارعة ومتناقضة، وفي ظروف كهذه تظهر مشكلة تنمية الشعور بالهوية والتي لا يمكن فصلها عن مشكلة القيم، فلكي يحقق المراهقون بعض الثبات في تصورهم لذواتهم، وليواجهوا ما يحدث في مجتمعهم من تغيرات متسارعة، لا بد لهم أن يكونوا مخلصين لبعض القيم الأساسية للمجتمع، حتى وإن اعتنقوا طرقا جديدة لكي تواجه الأوضاع المتغيرة (٢٠٠٨:٥٤٧).

وبينما يمكن الإقرار بأن العالم قد أصبح يشكل قرية صغيرة، إضافة إلى وجود مبادئ خلقية يشترك فيها معظم أبناء البشر، إلا أن هذه المبادئ والقيم تتعرض للمحن والتراجع، ففي كل المجتمعات يرفض الناس الكذب والغش والخداع، رغم وجود من يمارسه فيها، كما يستهجن العالم الظلم ويمجد العدل، فلا يمكن بقبول فكرة النسبية في المسائل الأخلاقية، ورغم ذلك فإن هناك عوامل عديدة يمكنها أن تدفع بالمبادئ الخلقية نحو الضمور والتضاؤل، بل ربما للانهيار، ولعل مرجع ذلك إلى أن لكل مجتمع مجموعة قيم يؤمن بها، والمجتمع نفسه هو من يرتبها في سلم أولوياته، من حيث القيم المتقدمة والقيم المتأخرة، إلى آخره، غير أن هذا الترتيب غير ثابت ولا مستقر، فهناك عوامل لها تأثيراتها المباشرة على هذه الأمور، منها الظروف الطارئة وتكلفة الالتزام، وكذلك تجذر تلك القيم في الثقافة، كل ذلك يخلق نوعا من التوازنات عند تأثر الواقع الاجتماعي بهذه القيم.

ففي الغرب مثلا حين تتعارض صلة الأرحام لقضاء وقت مناسب معهم مع قيمة الوقت في العمل، فمن الطبيعي عندهم أن يقدم الإنسان الغربي العمل على صلة الرحم، بينما المفترض أن يحدث في عالمنا الشرقي عكس ذلك (السامرائي، عبد الرزاق ١٣٢:٢٠٠٠).

ولا شك أن المجتمعات البشرية في تكامل بنيتها الاجتماعية، واشتراكها في القيم العامة، تعتمد في قوتها وتماسكها على مدى اتساع هذه القيم بين هذه

المجتمعات، وعندما ينحسر مدى تلك القيم بينهم يؤدي ذلك إلى ضعف هذا الاتفاق الذي يؤدي بالتالي إلى التنافر والاختلاف في القيم بين المجتمعات، فيصبح الصراع السمة العامة لها، والذي غالبا ما يكون سببا في التفكك وصعوبة الوصول إلى توافق بين المجتمعات البشرية (الزيود، ماجد ١٠١:٢٠٠٦).

ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن لكل مجتمع مجموعة من القيم تجسدها نظم تحدد السلوك العام للمجتمع، بحيث ينسجم هذا السلوك مع تلك النظم والقيم، وهذا الانسجام القائم بين القيم والنظم والسلوك هو الذي يعطي المجتمع فاعلية، وعندما ينفرط هذا العقد الترابطي لأي سبب فإن قوة وفاعلية القيم تتراجع وتضعف، وعندما يعجز التمسك بخلق معين كالعفة والصدق والأمانة عن تأمين تحقيق الذات والمكسب المادي الضروري فإن ذلك يكون عرضة للضغوط الشديدة، كي يتخلى عنه صاحبه (السامرائي، عبد الرزاق ١٣٤:٢٠٠٠).

ويختلف عصرنا الحاضر بكل ما يشوبه من اختراق للحضارة المادية عما سبقه من عصور، تلك العصور التي كانت تنبض بالقيم والمثل والأمثال والحكم، وفي هذا الخضم يضطرب تمثل الأبناء للقيم المختلفة واكتشاف الفارق بين كل منها، فمن ناحية هناك التربية وما تذهب إليه قيم المجتمع أو الأسرة والممارسات السلوكية في هذا المجتمع أو تلك الأسرة، ومن ناحية أخرى ما يشاهده الأبناء يوميا من تغيرات تعبر عن مقتضيات العصر (الحفني، عبد المنعم ٩٣:٢٠٠٣). وتؤدي هذه التناقضات إلى صراع القيم، والذي يلقي بثقله على شخصية الأبناء.

تعريف صراع القيم

يعرف ويلر صراع القيم على أنه « تضاد بين اتجاهين أساسيين من اتجاهات القيم، كالتضاد الذي يحدث بين القيم المنبثقة عن التنظيم الاجتماعي، وتلك التي

ترتبط بمثل إنسانية أشبه ما تكون بالمثالية». (غريب، أحمد وعبدالمعطي ، عبد الباسط ١٩٨٧)

ويعرف مرعي وبلقيس (١٩٨٤:١٨) صراع القيم بأنه « إحدى العمليات الاجتماعية التي تحدث عند تعرض الأفراد لموقفين متعارضين ومتناقضين، ويتطلب كل منهما سلوكا مغايرا، ويؤدي إلى وجود نمطين من الدوافع المتناقضة والمتعارضة يؤدي إلى إعاقة الفرد في التوافق، ولا يلغي أي من الدافعين المتصارعين الآخر، ولكنهما يعطيان الفرصة لنشوء توتر متزايد وسلوك غير ثابت».

بينما يعرف أحمد حجازي (١٩٨٧) صراع القيم على أنه يعبر عن « وجود عدم اتساق وانسجام داخل نسق القيم ينتج عن تباينها وتناقضها، ويقصد بتباين القيم تغاير واختلاف وطبقة كل منها وتعارضه مع وظائف وغايات القيم الأخريات، ويرتبط هذا التباين بجوهره بالجماعات والطبقات والنظم الاجتماعية، أما تضاد القيم فهو وجود اتجاهين متعارضين أو أكثر من اتجاهات القيم، وقد يكون هذا التعارض بين وسائل كل منهما وأهدافه أو هما معا، كوجود اتجاه جماعي في مقابل آخر فردي، أو وسيلة تقليدية تستند إلى العرف في مقابل عقلية أخرى متحررة تميل إلى التجديد والموازنة العقلية، أو اتجاه نحو تدعيم المصالح العامة في مقابل تدعيم المصالح الفردية (في: زيود، ماجد ١٠٠:٢٠٠٦).

ويعرف الدكتور ماجد زيود (١٠١:٢٠٠٦) صراع القيم على أنه « هو التناقض الذي يظهر في بعض قيم واتجاهات وأنماط السلوك لدى الفرد نتيجة تعارض وتضاد قيم الفرد مع النسق القيمي السائد في المجتمع».

إذًا يمكن أن نستنتج من التعريفات السابقة أن صراع القيم يحدث بين فئتين أو أكثر من الناس تتعارض أفكارهم وأهواؤهم وتتناقض، ولا شك أن أسباب

الصراع متعددة ومتشعبة، كما أن نتائجه لها آثار تدميرية سواء على المستوى الفردي أو مستوى المجتمع ككل:

أسباب صراع القيم ونتائجه

لا شك أن العصر الحاضر وما يصاحبه من تغيرات كبيرة ومتسارعة تكاد تغطي جميع جوانب الحياة، أصبح يمثل بوتقة تشتمل على قمة التناقضات الاجتماعية والفكرية والثقافية، أحدثها وفاقم من خطورتها نجاح ووفرة وسائل الإعلام وأدوات التواصل الاجتماعي، وكانت لهذه التغيرات آثارها الواضحة على أفراد المجتمع ككل، وإن كانت لا تخلو من الإيجابيات إلا أن سلبياتها لا يمكن التهوين منها؛ لأنها تمس النسق القيمي للمجتمع، وتخلق مناخا من اللامعيارية، أي ذلك الوضع الذي يفتقر فيه المجتمع إلى القيم والمعايير الواضحة واللازمة لتوجيه السلوك.

ويعتبر الشباب والمراهقون بصفة خاصة من أشد الفئات العمرية تضررا من هذه التغييرات القيمية، وذلك لما تتميز به هذه المرحلة من رفض المعايير والتوجيهات والسلطة التي يمارسها الكبار، فتتفاقم لديهم التناقضات، وخاصة تلك التي تتعلق بأنساق القيم بين الأجيال المختلفة، فيكون عرضة للصراع بين ما تربى عليه في طفولته وتعلمه من أسرته، وما يعيشه في عصر متغير آمن بما استجد فيه من مبادئ وأفكار.

ويزداد الصراع القيمي عند المراهق أيضا عندما يمارس ذووه أفعالا وتصرفات تتناقض مع القيم التي هم أنفسهم كانوا يعلمونها له ويأمرونه بها، وخطورة هذا التناقض بين القول والفعل من شأنه أن يؤدي إلى الشك والخلط بين الصواب والخطأ، فيقع المراهق في الحيرة التي تدفعه إلى أفعال وتصرفات قد تناقض هذه القيم، وربما يؤدي به للاتصال بجماعات لها فلسفات خاصة، منها الانحرافات السلوكية أو التعصب الديني والفكري أو الإرهاب. وهناك أيضا من تؤدي بهم

أساليب التربية الدينية والتنشئة الاجتماعية المتشددة أثناء طفولتهم للشعور بالذنب لمجرد الخروج عليها، ومثل هؤلاء يعانون من عذاب وخز الضمير فينعزلون عن المجتمع ويعيشون في المثالية والطهر ويكرهون التعامل مع غيرهم، وأمثال هؤلاء يكونون أقرب إلى المرض النفسي والاضطرابات العقلية (حول هذا الموضوع انظر: www. Alachebal.ibda3.org/t194-topic).

وينقل ماجد الزيود(٢٠٠٦) عن معاليقي قوله: «إن الشباب لا يشعرون بالانسجام مع عالمهم بصورة عامة، ولا يتقبلون قيمه وأنماطه السائدة، فهناك عوامل نفسية واجتماعية تجعل الشباب غريبا، ويعيش حالة صراعية مع أسرته ومجتمعه ومع نفسه، حيث تشير بعض الدلائل والقرائن إلى أن علاقات الشباب العربي الأسرية يسودها الصراع والتنافر والتباين، فالشباب يرى أنه مضطهد ومطحون الشخصية نتيجة ما تنطوي عليه عادة مواقف الآباء التسلطية التي تعيقه في نموه وخبرته بالواقع ومصادرة حريته»(ص ١٠٣).

وتؤدي سوء المعاملة الأسرية للأبناء أثناء مرحلة الطفولة إلى ارتفاع مستوى الاغتراب لديهم، وبالتالي إلى تبنيهم في مراحل عمرية لاحقة كثيرا من القيم السلبية، وقد يقعون في حالة من التناقض والصراع القيمي (نفس المرجع ونفس الصفحة).

(٢) مشكلة الاغتراب في سن المراهقة

تعتبر مشكلة الاغتراب إحدى المشكلات الشائعة بين المراهقين والتي لها أسبابها الاجتماعية كما لها تأثيراتها السلبية على حياة الأبناء، ويقول الدكتور إبراهيم مدكور(١٩٧٥): بصفة عامة، تشير كلمة الاغتراب إلى البعد عن الأهل أو الوطن، واستخدمت بعد ذلك في العلوم الاجتماعية لتشير إلى أحد الأفكار التي أطلقها ماركس، حيث يرى أن المرء يمر أحيانا بأوضاع يفقد فيها نفسه ويصبح

غريبا أمام نشاطه وأعماله، ويكاد يفقد إنسانيته كلها، أي تعني فقدان الذات الناتجة عن تعرض الإنسان لقوى معادية (ص ٥٠).

وعرف الاغتراب العديد من الباحثين بتعريفات عدة : بأنه «انفصال الفرد وأحاسيسه وأفكاره ومعتقداته عن الوضع الاجتماعي أو عن الأفراد الآخرين الذين كان له علاقة معهم».

وعرف أيضا على أنه شعور بالانفصال النسبي عن الذات أو المجتمع أو كليهما، ويمكن قياس هذا المفهوم في ضوء أبعاد متعددة، كالعزلة الاجتماعية، واللامعيارية، والعجز، واللامعنى، والتمرد.

كما يعرف هذا المفهوم من وجهات نظر عديدة: نفسيا، يفسر الاغتراب في ضوء ارتباطه بالعصابية والقلق والتوتر والانغلاق (مقابل الانفتاح)، وبالسلوك الجانح (على أساس أن اللامعيارية أحد أبعاد الاغتراب)، كما استخدم هذا المصطلح للإشارة إلى شخص مغترب العقل أو الفهم.

وهو أيضا يشار إليه بصفته «غربة داخل الذات». ففي هذه الحالة هو نوع من الانفعال أو التباعد الناتج عن عدم التوازن في الفعالية في العلاقة بين طرفين، أحدهما فعال جدا والأخير ضعيف جدا، وهذا يفسر انفصال الإنسان عن ذاته، والحالة الناشئة عن ذلك هي ما يطلق عليه مصطلح الاغتراب، وهذا يعني أن المغترب هو الشخص الذي لا يعرف المشاعر أو العواطف، أي المنفصل عنها، وبالتالي يصبح شخصا عدوانيا مرفوضا اجتماعيا(سري، إجلال محمد ١١٠:٢٠٠٣).

ويذهب الدكتور عادل الأشول إلى أنه قد عرف الاغتراب في الماضي في أمريكا حيث كان يسود في الأوساط الفقيرة والأقليات (السود والمكسيكيين والهنود الحمر) الذين كانوا يعانون من الحرمان الاقتصادي والتمييز العرقي، والذي كان يفرض عليهم بواسطة المجتمع، ومن بين هؤلاء من كانوا مغتربين عن أوطانهم

وبالتالي ينمو لديهم عدم الثقة بذواتهم وعدم تقدير الذات وتكوين الهوية السلبية وبالتالي اغترابهم عن ذواتهم.

ثم أصبح الاغتراب واضحا في المجتمع بعد ذلك بين شباب الطبقة الوسطى والعليا، مع وجود تباينات في مصادر الاغتراب بين هذه الفئات، فبينما يعود سبب الاغتراب عند البعض إلى الخبرات الأسرية المضطربة، كالخلافات بين الأب والابن، نجد أن فئة أخرى يرجع سبب اغترابهم إلى السمات الخاصة للمجتمع والصراعات السائدة فيه، فأنماط الظلم وانعدام العدالة، والاضطهاد العنصري، وعدم المساواة في الحقوق وخاصة بالنسبة للأوضاع الاقتصادية، وانعدام الحرية الشخصية بالإضافة إلى الحروب، كل ذلك يمكن أن يعزى إليه شيوع شعور الاغتراب بين الشباب.

وقد يكون الشعور بالاغتراب عميقا ومعوقا، قد يصل إلى رفض المجتمع ككل، وهم في هذه الحالة ينظرون إلى المجتمع على أنه معاد لهم ولقيمهم، ويعود ذلك إلى عدم الاعتراف بالمنافسة العنيفة القاسية والسعي المستميت للوصول للمكانة، والتطور التكنولوجي السريع وعدم مقدرتهم على الانتفاع بإنجازاته (الأشول، عادل ٢٠٠٨:٥٥٤).

ولا يختلف الأمر في مجتمعاتنا العربية عن المجتمعات الغربية فيما يتعلق بشيوع ظاهرة الاغتراب بين الأبناء وإن اختلفت الأسباب إلى حد ما، ويمكن تحديد عوامل الاغتراب في المنطقة العربية طبقا لرأي الدكتورة آمال باظة فيما يلي:

١. غياب القيم الدينية والإنسانية لدى المراهقين والشباب.
٢. وجود فجوة بين ثقافة المراهقين والشباب وثقافة الراشدين من حولهم.
٣. عدم قدرة المراهقين على تحقيق ذواتهم وبالتالي عدم قدرتهم على تقبل ذواتهم.

٤. عدم الإحساس بحرية الذات والمصير.

٥. افتقادهم للمعنى في وجودهم لعدم وجود أهداف في حياتهم.

٦. وجود التناقضات في المجتمع وافتقادهم للمثل الأعلى، كما يمكن إرجاع سبب الاغتراب إلى غياب التوجيه والإرشاد الأسري وفي المدرسة، الأمر الذي يحرمهم من المساعدة في تخطيط مستقبلهم والتكيف مع مجتمعهم.

(٣) أزمة الهوية في سن المراهقة

إن التغيرات المتتالية للخصائص الجسمية والوظائف الفيزيولوجية وما يحيط بها من مواقف اجتماعية، غالبا ما تستثير تساؤلات المراهق وتستدعي الكثير من الاهتمام والقلق لديه، وتبدأ هذه التساؤلات في حدها الأدنى، ثم تزداد قوة حتى تحتل الساحة الشعورية لدى المراهق، وتبدو مظاهرها متعددة في حياته، تحركها دوافع مختلفة في اتجاهات متفاوتة، وقد تواجه هذه الدوافع الإحباط وتتعرض لمقاومات متنوعة، فتجلب للمراهق الهم، وهو بمعزل عن إشراك الأسرة في همومه، لا يدري ماذا يفعل، والمهم في هذا كله أن أزمات المراهقة تتخذ طابع الصراع بين المراهق وبين نفسه، وكذلك بينه وبين المجتمع من حوله (السبيعي، عدنان ١٩٩٨:٤١).

ويتخذ هذا الصراع أشكالا عدة، فهو صراع بين مخلفات الطفولة ومقتضيات النمو، فالمراهق لم يعد طفلا ولم يصبح رجلا بعد، وهو صراع بين الميل إلى الاستقلال بذاته وتعلقه بأسرته، صراع بين طموحاته الذاتية وبين قدراته الذاتية لتحقيق هذا الطموح، صراع بين الدوافع الجنسية والضوابط المجتمعية، صراع ديني بين ما كان مقبولا عنده بدون نقاش سابقا، وما جد عليه بعد ذلك من قناعات تحتاج إلى التفهم (السبيعي، عدنان ١٩٩٨:٤٢؛ قشقوش، إبراهيم ١٩٨٩:٢٢٢).

إن المراهق في سني مرحلتي المراهقة الوسطى والمتأخرة يتكون عنده الإحساس بكيانه الفردي، وتتبلور شخصيته الاجتماعية المستقلة، وعندئذ يشعر

بقوته، وهنا يود المراهق أن يكون مختلفا عن الآخرين، وخاصة عندما يشعر باعتراف الناس به، فهو عندما يفشل في إحراز تقدير أصدقائه له، يحاول أن يعوض ذلك من خلال التأييد الذي يلقاه من إكبار، ذلك بأن يكون طالبا ممتازا أو متحدثا لبقا أو ابنا طيبا (أسعد، يوسف ميخائيل ١٩٧١:١٤٤).

وكلما أخذ المراهق في النمو أبدى سلوكا ينم عن رغبته في تأكيد ذاته، فلم يعد في نظره أنه الطفل الذي لا يسمح له أن يتكلم أو يسمع، فالمراهق في منتصف مرحلة المراهقة يحاول أن يجد له مركزا بين جماعته، ولكي تعترف تلك الجماعة بشخصيته دائما يلجأ إلى القيام بأعمال ملفتة للنظر، مثلا هو أحيانا يرتدي ملابس زاهية، وأحيانا يحاول أن يأتي بسلوك متصنع في الكلام والضحك والمشية (العلمان، خالد أحمد ٢٠٠٦:١٠٧).

وما يميز حياة المراهق في هذه الفترة أيضا تمرده على السلطة، ممثلة في الأسرة والمدرسة والمجتمع العام، ويكون تمرده في السلطة الأسرية أكثر وضوحا، لأن المراهق يتوق لأن يجد نفسه خارج بيئته الأسرية، وأن يكون في عالم آخر يزخر باتجاهات جديدة وبالحرية والاستقلال والتحرر من التبعية الطفلية، هو عالم الأصدقاء والزملاء، حيث النأي بالنفس عن العقبة في تحقيق أمنيته التي يرى أن مصدرها والداه ومدرسوه، وتجدر الإشارة إلى أن المراهق في فترة حماسه وتحفز «أناه» وتطوره يبالغ في تقدير ذاته، وبقدر ما يعزل نفسه عن عالمه الخارجي بلجوئه إلى العزلة والانطواء، بقدر ما تتسع الهوة بين «أناه» الحقيقي و«أناه» الممكن، ونتيجة لهذه العزلة تنقطع العلاقة والاتصال بينه وبين الآخرين، ويتضخم لديه الشعور بالقوة والغلبة، ويصبح وكأن هناك هوة تفصل بين ما يرغب فيه وبين ما هو ممكن(نفس المرجع ص ١٠٨).

وكلما اقترب المراهق من مرحلة الرشد أصبح مثاله هو ذاته، حيث الرغبة في الوصول للمثالية اعتمادا على نفسه ودون أن يقلد الآخرين، وتشكل المثالية جانبا

بارزا في وعي المراهق لذاته، ويمثل ذلك الجانب الأخلاقي الذي يلعب دورا بارزا في أزمة المراهقة، خصوصا في مرحلة التضخم والمبالغة في تقدير الذات، وتكون هذه المثالية شديدة التطرف تأخذ مبدأ «الكل أو لا شيء»، وهي مظهر طبعي يجسد التعبير الأخلاقي عن توتراته ومعارضة الواقع(نفس المرجع ص ١٠٩).

وما يمكن أن نستنتجه من قراءاتنا في الفقرات أعلاه هو ما يشغل اهتمام الشباب من أزمة «تحديد الهوية»، وهي الأزمة الجوهرية للنمو الوجداني في مرحلة المراهقة والتي يحددها إريكسون في مقابل اختلاط الأدوار، وينبع جوهر نمو الهوية من إدراك المرء لنفسه وبأنه شخص متسق السلوك ومتميز عن الآخرين، وطبقا لنظرية إريكسون هذه فإن عملية البحث عن الهوية في مرحلة المراهقة والشباب قد تتخذ أحد مسارين كلاهما خطأ، يمثل المسار الأول في التبلور المبكر للهوية، وهو ما يعيق عملية تكوينها، ونتيجة لذلك نجد المراهق يلح على طلب تقدير الآخرين له واعترافهم به. كما يبالغ المراهق في تقدير السلطة ويسعى لأن يكون أكثر مسايرة وأقل استقلالا، وهنا تتسم قيمه الدينية بالجمود كما تتسم طريقة تفكيره بالتصلب (صادق آمال؛ وأبو حطب، فؤاد ٢٠٠٨:٣٤٤).

أما المسار الثاني فيتميز بالانفتاح بدون حدود، وفي هذه الحالة يمضي المراهق في عملية طويلة من خلط الهوية، وقد لا يكون باستطاعته تنمية إحساس واضح قوي بالذات، ومن أمثال هؤلاء الذين يصفون أنفسهم بأنهم يبحثون عن الذات ولا يجدونها، ويتصف هؤلاء بضعف تقدير الذات وتقدير خلقي غير مكتمل، وهم يواجهون صعوبات في تحمل المسؤوليات الشخصية كما يتسمون بالاندفاعية وعدم تنظيم الأفكار.

وفي الواقع فإن المسار الصحيح لهؤلاء الشباب هو بذل الوقت المناسب في السعي الإيجابي الحثيث لتكوين الهوية، وفي أثنائها قد يتعرض لبعض الغموض

والخلط حتى يتوصل إلى شعور قوي بالذات، وفي هذه الحالة يتسم الفرد بالاستقلال والإبداع والتفكير المنظم، وهذه الصفات لا تتوفر بنفس القدر للفئتين السابقتين، أي أولئك الذين لا يمرون بمرحلة «مؤقتة» من الخلط والغموض في تكوين الهوية، أو أولئك الذين يمرون بمرحلة «طويلة» من هذا الخلط والغموض (نفس المرجع ص ٣٤٥).

وأخيرا أنهي موضوع أزمة الهوية في سن المراهقة بنصائح للمراهقين أنقلها حرفيا عن الدكتور عدنان السبيعي (١٩٩٨:٤٦):

صديقي أيها الشاب:

للمراهقة أزمتها بل أزماتها... فهذا ثابت ومؤكد، والمهم على الدوام أن يتجاوز الفتى أزماته وينتصر عليها، وأعلى النصر وأجدره أن تنتصر على نفسك، وتجعل نفسك أكبر من نفسك ... قالوا: من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان أمسه خيرا من يومه فهو محروم، ومن طال حرمانه أضاع الرؤية وأضاع نفسه، وسار نحو الخسران. وقالوا: ليس المهم دوما أن تكسب، وإنما المهم أن تحول الخسارة إلى كسب.

أظنك (أيها المراهق) توافق على هذين القولين، فلنحمد الله أن خلقنا وأنعم علينا بنعم عظيمة.

عموما، إن إشباع الحاجات الضرورية للأبناء - وهو الشرط لكي يتمتعوا بالصحة النفسية - لا يتأتى بطريقة تلقائية، وإنما يبنى من خلال صيرورة مستمرة في حياة الفرد تحددها مراحل تطور نموه.





الفصل السابع

مراحل نمو الأبناء قبل الميلاد وأثناء مراحل الطفولة

مرحلة ما قبل الميلاد Pre-natal Period

تمتد هذه المرحلة من بداية الحمل وحتى لحظة الميلاد، ففي فترة الحمل يتكون مشروع إنسان جديد، ويكون المولود عرضة للخطر نتيجة أي خطأ تتعرض له الأم أثناء حملها به (أبو لحية، نور الدين ١٠٨:٢٠٠٧). وعن الحمل يقول نور الدين أبو لحية « إنه بالدرجة الأولى مسألة جسد تتولد فيه روح جديدة، وينفصل منه جسد جديد وهي لذلك تتطلب الحرص على أن يسلم الجسدان من كل أنواع الأذى، وأن يكونا في منأى من الأخطار والأضرار الخارجية التي قد تتسبب بإنهاء حالة الحمل بفجيعة إذا ما حدثت صدمة مباشرة كالوقوع والصدام، أو بوضع غير مكتمل النمو في حالة إهمال الناحية الغذائية» (١٠٩:٢٠٠٧).

ويشير علماء الصحة النفسية إلى أهمية تناول الحامل لغذاء كامل العناصر لكي ينمو جنينها نموا طبيعيا، وخاصة أن الأم هي المصدر الوحيد الذي يستمد منها تغذيته، كما تساعد عمليات التغذية على بناء أنسجة الجنين وتوليد الطاقة اللازمة للمحافظة على حياته، كما أنهم يؤكدون على أهمية الراحة النفسية للمرأة الحامل، ويرون أنها لا تقل أهمية عن الراحة البدنية وذلك لما للتوتر والانفعال من تأثيرات سلبية على الجنين(أبو لحية، نور الدين ٢٠٠٧؛ العوالمة، حابس ومزاهرة، أيمن ٢٠٠٣).

ومن هنا يتوجب على الحامل ومن يعيش معها الحرص على أن يكون جو البيت ممتلئا بالسعادة، فللحالة النفسية - فرحا كانت أو حزنا - دور كبير في إفراز أنواع من الهرمونات النافعة أو الضارة في جسم الأم، ويتأثر الجنين بهذه الهرمونات منذ الشهور الأولى إيجابا أو سلبا طبقا لطبيعة الهرمون(أبو لحية، نور الدين ١١٦:٢٠٠٧؛ زيعور، علي وسليم، مريم٢٣٢- ٢٢٩:٢٠٠٤).

التطور النفسي والحركي- مرحلة ما قبل الميلاد

يقضي الجنين عادة تسعة أشهر في بطن أمه، ويجب ألا يساورنا الظن أن الجنين في فترة الحمل يكون في منأى عما يدور خارج الإطار الذي يحتويه، أو أنه

يكون في حالة الغيب والأرواح وفي حالة نسيان للذات، بعيدا عن الضغوطات النفسية والأوجاع الجسدية مفتقرا لعالم الحياة الفكرية ودنيا الحس والإدراك، فهو ومنذ ظهور اليوم الثامن عشر من الحمل تتشكل لديه أولى خطوط الدماغ والجهاز العصبي، وفي الشهر الرابع من الحمل تبدأ الأذن الداخلية بوظيفتها، بينما تبدأ حركة الجذع والأطراف منذ الأسبوع الثامن بالرغم من عدم إحساس الأم بها حتى الأسبوع السادس عشر، وذلك نظرا لسماكة «الغشاء السابيائي». كذلك يشعر الجنين بالقلق والانزعاج من الحركات القوية والمفاجئة للأم (فاعور، عبد الحسن ٩٦:٢٠٠١).

وهناك أيضا بعض المحاذير التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار، فعندما تتعرض المرأة الحامل للإصابة بالحصبة الألمانية أو تتناول الأدوية دون استشارة الطبيب أثناء الحمل وكذلك أخذها الإسبرين والكحول والمواد التخديرية، بالإضافة لسوء التغذية عند الأم الحامل ونقص الفيتامينات أو الإفراط أو الزيادة في بعض المواد الغذائية، فهذا كله يؤثر في صحة الجنين وتكوينه العضوي والنفسي، كما يوصي الأطباء بتجنب الأم الحامل صحبة الحيوانات مثل القطط والكلاب، فالقطة أو الكلب المصاب بمرض «التكسوبلازموس» قد يؤدي إلى نقل الطفيلي من الحيوان إلى الأم الحامل في الشهور الأولى من الحمل، فتنجم عنه تشوهات مثل كف البصر (العمى)، أو تضخم الطحال، أو صغر أو كبر حجم الرأس (السبيعي، عدنان -١-٤٣:١٩٩٧).

ومن النصائح المفيدة التي ينقلها عدنان السبيعي عن الدكتور تاهيس للأم الحامل للتواصل مع جنينها، أن تستلقي مسترخية تماما حتى تشعر بالراحة الكاملة لعضلات بطنها، وعندما يصبح بطنها في ليونة تامة تضع يديها حوله بشكل محكم وكامل وتبقى على هذا الوضع إلى أن تشعر بضغط خفيف، ثم تضغط بأصبعها قليلا، ثم تخفف الضغط ... في هذه الأثناء سيبدأ الطفل حركته مستجيبا

لهذه التسلية، يمكن البدء بذلك بين الشهر الثالث والرابع من الحمل.

ويستحسن أن تقوم الأم بهذه المداعبة يوميا وفي نفس الوقت ولكن تكتفي في البداية بالاستجابة منه بالحركة مرة أو مرتين، ومن الأفضل أن تقوم بهذا التمرين في آخر النهار، وتساعد هذه العملية على توطيد الصحبة بين الأم وجنينها، ولكن من الضروري عدم الإفراط أو المبالغة في ذلك، وعليك أن تعلمي أنه يمكنك ملاحظة متى يروق للجنين هذا التمرين ومتى يرفضه، ويدل الرفس بقوة على عدم رغبة الجنين في الاستمرار، ولكن بمرور الأيام سوف يعلن مطالباته بعودة التسلية بحركات عذبة خفيفة والتي سيمكنك بمرور الوقت التمييز بين رغبة الجنين فيها أو النفور منها (السبيعي، عدنان ١٩٩٧:٨١ - ا-).

مرحلة المهد Babyhood Period

وتمتد منذ الميلاد وحتى سن العامين، وتتضمن مرحلتين فرعيتين، هما[1]:

- مرحلة الوليد New born Period

وتمتد لمدة أسبوعين بعد الولادة، وهذه فترة حرجة في حياة الطفل، فبولادته ينتقل الطفل إلى بيئة مختلفة تماما عما اعتاد عليها في مرحلة الحمل، حيث كان حصوله على كل الاحتياجات اللازمة للاستمرار شبه ميسرة، أما في مرحلة ما بعد الولادة فيحتاج الطفل - سواء بواسطة الإمكانيات والاستعدادات الفطرية أو عن طريق رعاية والديه والمحيطين به - إلى تحقيق عمليتي التكيف والتوافق، فبمجرد

(١) يجب الوضع في الاعتبار أنه نظرا لتعدد العوامل المؤثرة في عملية النمو، تحدث فروقات فردية في الخصائص المميزة لكل مرحلة تختلف من فرد لآخر، وما سنتحدث عنه من تلك الخصائص لا يتعدى كونه صفة عامة قد تظهر بوضوح عند فرد وتغيب عند فرد آخر طبقا لتلك المؤثرات، كما أن بعض الخصائص متداخلة وبعضها يمكن أن يدرج في أكثر من فئة بسبب التفاعل بين جوانب الشخصية (انظر: سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:٢٣٢).

خروج الطفل من بطن أمه يبدأ تكيفه مع حرارة الجو المتقلب بعد أن كان يتعرض في بطن أمه إلى درجة حرارة ثابتة، وكذلك يبدأ تعوده على التيارات الهوائية وتقلبات الطقس، وكذلك الحال في تكيفه مع تغيرات عمليتي التنفس والإخراج (الدسوقي، مجدي محمد ٩٤ - ٢٠٠٣:٩٣؛ أبو لحية، نور الدين ٢٠٠٧:١٢٢).

ويولد الطفل وهو مزود بمجموعة من الاستعدادات الحسية والعصبية فيساعده ذلك على استمرار بقائه، فمنذ الساعات الأولى من حياته تصدر عنه أنواع من السلوك التلقائي، مثل مص ثدي الأم أو أي شيء مماثل إذا ما وضع قريبا من فمه، وهو في هذه الفترة يكون غير مستقر، يقوم بحركات عشوائية ولا يقدر على ضبط عضلات يديه ورجليه، وفي هذه الفترة من حياته لا توجد فواصل بين الوظائف النفسية والوظائف الفسيولوجية: الأكل والنوم والإخراج، وتعتبر الأسابيع الأولى مكملة لفترة ما قبل الميلاد (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:٢٣٣).

إلا أن حامد زهران يرى أنه بالرغم من أن الطفل في هذه المرحلة تصعب ملاحظة انفعالاته، غير أنه يولد وهو مزود بانفعالات الحب والخوف والغضب (١٩٩٩:١٤١). وهذا ما يؤكده أيضا سيجموند فرويد حيث يرى أهمية الخبرات الانفعالية للوليد وخطورة عجزه عن أن ينال حاجته إلى الحب، كما يرى أن حالة الطفل الانفعالية تتأثر بحالة الأم النفسية، مما يجعل توفير الجو المشبع بالحب أمرا ضروريا في تنشئة الطفل (نفس المرجع ونفس الصفحة).

كما تذهب المدرسة الفرويدية إلى أن الطفل يولد وهو مزود بالطاقة الجنسية إلا أنها تكون كامنة، وترى هذه المدرسة أن اللذة الجنسية (الشعور العام باللذة والدفء والراحة الجسمية) مهمة بالنسبة للطفل، وتكون مركزة في الفم حيث يقوم بمص ثدي أمه أو أصبعه أو ملابسه (نفس المرجع ونفس الصفحة).

- **مرحلة الرضاعة Infancy**

وتمتد من نهاية الأسبوع الثاني إلى نهاية العام الثاني، وغالبا ما يعتمد المولود الجديد في تغذيته على حليب الأم، ويفضله علماء النفس على حليب الزجاجة أو غيرها، فعن طريق الرضاعة الطبيعية تتكون رابطة لا تنفصم بين الطفل وأمه، فيتعرف الطفل بسرعة على خواص أمه فيشم رائحة جسمها، ويحس بحرارته كما يتعرف على سلوكها، وقد لوحظ أن الأطفال حديثي الولادة الذين تحتضنهم أمهاتهم إلى صدورهن يقل بكاؤهم، كما أنهم يكونون أسرع تكيفا وأهدأ مزاجا ويصبحون أقل عرضة للإصابة بالأمراض من الأطفال الذين يبقون بعيدين عن أمهاتهم (أبو لحية، نور الدين ١٦٠:٢٠٠٧).

وتتميز مرحلة المهد بسرعة نمو أعضاء الحس عند الطفل مع تفاوت النمو فيما بينها، فمنذ لحظة ولادته تكون حواس الوليد الخمس جاهزة للممارسة والتعلم، فيستطيع الشم والتذوق فكلا الحاستين مرتبطتان معا، وكذا الرؤية والسمع وإصدار الصوت، والبكاء هو الصوت الوحيد الذي يصدره الطفل منذ ولادته، وأصوات البكاء متنوعة وتمثل حالات مختلفة من الانفعالات، من حيث الطبقة والإيقاع والنغمة واستمرار الصوت، فمثلا بكاء الألم عند الوليد يختلف عن بكاء الجوع من حيث الإيقاع والحدة، وكلاهما يختلفان عن بكاء الخوف وهكذا (عياد، مواهب ٣٨ - ٣٣:٢٠٠١).

وتعتبر الخمس سنوات الأولى في حياة الطفل من أهم مراحل الطفولة، ففيها يتحدد أساس نمو الشخصية مستقبلا، فعندما تكون عوامل النمو سليمة ينعكس ذلك على سلامة نمو الشخصية، وبالعكس إذا تعرضت هذه العوامل إلى الشوائب أدى ذلك إلى خلل في الشخصية وعدم توافقها (الدسوقي، مجدي ٩٤:٢٠٠٣).

ويرى حامد زهران أن مرحلة الرضاعة تعتبر أهم مراحل الطفولة، وهي مرحلة

أساسية في نمـو الشخصـية مسـتقبلا، هـذا مـا يؤكـده أيضـا [هادفيلـد (١٩٦٢) Hadfield] حيث يقول: «إن هذه المرحلة والمرحلة التي تليها يوضع فيها أسـاس الشخصية، فإذا كانت عوامل النمو سليمة ومواتية كان نمو الشخصـية سـويا، وإذا كانت عوامل النمو ذات تأثير ضار كـان نمـو الشخصـية مضـطربا غيـر متوافـق» (١٩٩٩:١٥٠).

ويختلف الأطفال فيما بينهم من حيث النشاط والحركة والبكاء، كما يختلفون في شهيتهم للرضاعة وكذلك في حجمهم وأوزانهم وأنواع المثيرات التـي تثيـرهم وأمزجتهم وتيقظهم أو تبلدهم، ويساهم النضـج لـديهم في نمـو شخصـيتهم، وفي الكشف عن حقيقة ما يتمتعـون بـه مـن قـدرات ومهـارات ومواهـب ومميـزات مزاجية، بينما يساهم التعلم في تكوين اتجاهاتهم أهدافهم فيما بعد (الحفني، عبـد المنعم ٢٠٠٣:٤٨٤).

الخصائص الجسمية والفسيولوجية لطفل مرحلة الرضاعة

تتميز هذه المرحلة العمرية من حياة الطفـل بنمـو سـريع في الجسـم مـع تـآزر حسـي حركـي ملحـوظ كالسـيطرة عـلى حركـات الجلـوس والحبـو والمشـي (الدسوقي، مجدي ٢٠٠٣:٩٤). ويستمر النمو خلال الأشـهر السـتة الأولى مـن حياة الطفل بنفس معدل النمو في فترة ما قبل الولادة، ثم يأخذ في التباطؤ تدريجيا، وفي العام الأول تكون الزيادة في الوزن أكبر من الزيادة في الطول، أما في العام الثاني فيحدث العكس، وبالنسبة لنمو العظام يتميز بسرعة النمو خلال العـام الأول مـن عمر الطفل ويأخذ في التباطؤ نسبيا خلال العام الثاني، كما يزداد عدد عظام الجسم في نفس الوقت، حيث تحل الأنسجة العظمية محل الأنسجة الغضروفية، أما عظام الجمجمة فلا ترتبط تماما ببعضها، كما أن اليافوخ، وهي المنطقة الرخـوة في قمـة الرأس، تلتحم عظامه في العام الأول، ليصبح أكثر صلابة (الزعبـي، أحمـد محمـد ٢٠٠٧:٩٨).

وتبدأ القواطع الوسطى التحتانية للأسنان في الظهور من الشهر الخامس إلى الشهر السابع تقريبا، والقواطع الوسطى العليا من الشهر السادس إلى الشهر الثامن، ثم يتوالى ظهور بقية الأسنان حتى بلوغ الثلاثين شهرا تقريبا (فاعور، عبد المحسن ٢٠٠١:١٢١). وتنمو العضلات بمعدلات مختلفة في هذه الفترة، وعموما فإن العضلات القريبة من الرقبة والرأس تنمو قبل تلك التي تتصل بالأطراف السفلى. وفي السنة الأولى من الطبيعي أن ينمو السلوك الحركي من جلوس وزحف وحبو ومشي، وفي السنة الثانية يستطيع الطفل أن يمشي بدون مساعدة (صادق، آمال؛ وأبو حطب فؤاد ٢٠٠٨:٢٠٧).

وطبقا لنظرية فرويد فإن العام الأول من حياة الطفل يشكل المرحلة الأولى بالنسبة لهذه النظرية والتي فيها يعتبر الفم بمثابة المنطقة الرئيسية للنشاط الديناميكي، ويكون المصدر الرئيسي للذة أكل الطعام الذي يتم من خلاله ملامسة الشفتين والتجويف الفمي، كما تتضمن عمليتي الابتلاع إذا كان الطعام مستساغا أو رفضه إذا كان مكروها، لذلك تعرف هذه المرحلة بالمرحلة الفمية Oral Stage (عثمان، إبراهيم، ٢٠٠٦:٣٩).

الخصائص العقلية لطفل مرحلة الرضاعة

تعتبر هذه الفترة من عمر الطفل بداية بزوغ مظاهر النمو العقلي كالتذكر والتعلم والفهم، ومن خلال النمو المطرد للحواس يتعرف الطفل على الأشياء المحيطة به، ويقول بياجيه [Piaget (1970] « إن الذكاء في هذه المرحلة يكون حسيا حركيا، ويلاحظ سرعة نمو الذكاء في هذه المرحلة»(زهران، حامد ١٩٩٩:١٦٦).

يرى بياجيه أن معظم نشاطات الطفل في السنة الأولى من عمره تكون من النوع الانعكاسي لكل ما يراه ويلمسه، ويؤدي ذلك تدريجيا إلى تكوين وعيه بالعالم الخارجي، ثم إدراكه لخصائص الأشياء، فسلوك الطفل في هذه المرحلة يقتصر

على الاستجابات الحسية المباشرة للخبرات العملية، وفي عامه الأول من العمر لا يستطيع الفصل في إدراكه بينه وبين العالم، فيتسم إدراكه بحاجاته الشخصية واهتماماته الذاتية (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:٢٤٢).

ويذكر حامد زهران نموذجا معياريا للنمو العقلي يحدد ذكاء الطفل الرضيع والذي وضعه [أرنولد جيزيل (Gesell(1954] وهو كما يلي:

- ٤ شهور: يستطيع الطفل تتبع تحرك الضوء ببطء. يحرك ذراعيه لإزاحة ورقة صغيرة إذا ما ألقيت على وجهه أثناء استلقائه على ظهره.
- ٦ شهور: يستطيع التمييز بين الوجوه المألوفة لديه ووجوه الغرباء، كما يستطيع أن ينظر إلى أسفل إذا ما وقع من يديه شيء.
- ٩ شهور: يتعرف على صورة نفسه في المرآة، يقبض على حلقة مربوطة في خيط معلق فوق رأسه مباشرة ويشدها إلى أسفل.
- سنة واحدة: يضع مكعبا في وعاء إذا طلب منه ذلك دون أي إشارة، يمشي، يضع مكعبات فوق بعضها البعض ليكون منها برجا بعد أن يرى إجراء هذه العملية أمامه.
- سنة ونصف: يميز بين الطبق والكوب، يشير إلى جزأين من أجزاء الجسم « العين والأنف». يبني برجا من أربعة مكعبات.
- سنتان: يرسم خطا أفقيا بعد أن يرى أحدا قد عمله أمامه، ينفذ ثلاثة أوامر بسيطة، يبني برجا من ثلاثة مكعبات، يكون كلمة من ثلاث كلمات، يعرف اسمه (حامد، زهران ٦٧-١٦٦:١٩٩٩).

اللغة والإدراك لطفل مرحلة الرضاعة

يعتبر النمو اللغوي مظهرا من مظاهر النمو العقلي والاجتماعي، ويتزامن معهما، ويبدأ الطفل بفهم الكلمات والعبارات قبل أن يتمكن من نطقها بفترة طويلة، فنراه يستجيب لبعض الأوامر مثل: اقفل الباب، أعطني لعبة، إلخ.. (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:٢٤٢)، في بدء حياته يبدأ الوليد بالمناغاة ليصل إلى كلمات معبرة عن الأشخاص والأشياء في جمل قصيرة، ثم تأخذ الألفاظ في الزيادة وتتنوع لتتخذ أشكالا لفظية موسيقية، مثل (كوكو للطير) و(هَوّ للكلب)، وتكتسب كل كلمة مضمونا اجتماعيا ونفسيا، لتصبح كلمة «ماما» ذات وظائف مختلفة طبقا للموقف الذي أمامه.

مثلا، أحيانا تصبح كلمة ماما «تعالي عندي» مصحوبة بحركة معينة، وأحيانا عندما تعني كلمة «ماما» أنا جائع، تكون مصحوبة بحركة ولهجة أخرى، وأحيانا عندما تعني «احمليني يا ماما» يمد يديه ويتلفظ طالبا أن يحمل، وتتطور لغة الطفل لتنضم الكلمات إلى بعضها وتكون شبه جملة، وهي تكون غير مكتملة ينقصها أفعال أو حروف، وهكذا حتى يصل الطفل إلى الجملة الصحيحة، وبحسب ذكاء الطفل تتسارع المراحل (السبيعي، عدنان ١٩٩٧:٩٦).

وفي هذا العمر أيضا يبدأ الطفل بالتركيز حول نفسه – الأنوية [Egocentrism] فيخلط بين ذاته وبين الأشياء الخارجية، وتبدأ معرفته بذاته عند اصطدامه بالعالم الخارجي (Syncretism)، ويكون ذلك إدراكا إجماليا وليس تفصيليا، يدركه أولا كمجموعات ثم تدريجيا تنتظم بذهنه التفاصيل. ويستخلص بياجيه عدة خصائص عند الطفل نتيجة لهذا التركيز، كالآتي :

١ . اللاواقعية: لأن نظرة الطفل إلى العالم الخارجي غير واضحة، فهو يمزج بين ما يتمنى وما هو موجود بالفعل. مثلا، إذا رأى في حلمه لعبة يطالب بها

عندما يستيقظ، وقد يبكي فمعرفته عن العالم الخارجي غير حقيقية.

٢. **الإحيائية** (animism): يتصور الطفل أن الأشياء الجامدة لها حياة وأنها تحس وتتألم. فيضرب الولد الحصان الخشبي، وتكلم البنت لعبتها وتطعمها فهي تقلد أمها عندما تعاملها.

٣. **الاصطناعية** (Artificialism): يعتبر الطفل كل ما حوله من أشياء وكأنها صنعها الإنسان من أجله، وأن كلا منها له وظيفة: الشمس خلقت للتدفئة، والمطر ليسقي الأرض والأرض لنمشي عليها، ويعتقد أن لوالديه قوة خارقة وبأنهما من صنعا كل هذه الأشياء من أجله (سليم، مريم؛ وزيعور، علي٦-٢٠٠٤:٢٤٣).

ويمكن القول بأن الطفل في فترة الرضاعة لكي يحرز المكتسبات اللغوية يتطلب من الأهل الاقتراب الكامل منه، ليلاحظوا تعابيره وألفاظه ويتفاعلوا معها، وبقدر ما يبذل الأهل من جهد في التعامل مع الطفل والتحدث إليه، بمقدر ما يوظف اللغة كأداة محيطية ووسيلة ناجزة لاكتساب العلم والمعرفة(فاعور، عبد الحسن ٢٠٠١:١٠٨).

الخصائص الانفعالية لطفل مرحلة الرضاعة

تشكل الاستجابات الانفعالية لدى الطفل أهم مقومات شخصيته، من هنا تأتي أهمية النمو الطبيعي لأنماط الانفعال في الصحة العقلية، ويعبر النضج الانفعالي عن التكيف الصحيح للفرد، وأولى العلاقة الانفعالية هي تلك التي بين الرضيع ومن يتولى رعايته، وتشتمل الرعاية على الإشباع العاطفي ومناغاته، بالإضافة إلى تلبية احتياجاته للتغذية والأمن والراحة، والعلاقة التي تنشأ بين الرضيع ومن حوله تتدرج بمرور الوقت لتأخذ دورا إيجابيا، تسمى «التعلق» (Attachment) (فوزي، منير ١٩٨٢:٢٠٢).

وفي الشهر الرابع من عمره يستطيع الرضيع التمييز بين الشخص المتعلق به وبين غيره من الناس، ويزداد هذا التعلق في الشهور التالية فيبتهج عند الاقتراب من الشخص الذي يوليه اهتماما وينفر من الغريب، ووجود الأشخاص الذين يتعلق الطفل بهم يعطيه شعورا بالأمان يساعده على استكشاف وإدراك ما حوله من العالم، كما يساعد ذلك على توافقه النفسي في جميع مراحل حياته (نفس المرجع ٢٠٤).

ومعايير السلوك الانفعالية مكتسبة ويتأثر الفرد في أسلوبه في التعبير عن انفعالاته وضبطها بمحاكاة الآخرين وتعاليمهم وفق المعايير الاجتماعية السائدة (سليم، مريم؛ وزيعور، علي٢٤٦: ٢٠٠٤).

وتتطور انفعالات الطفل في العام الأول والثاني من عمره، ففي حوالي الشهر الثالث يمكن التمييز بين حالتين من انفعالات الطفل، تعبر إحداهما عن الضيق والأخرى عن السرور، وفي العام الأول من عمره تظهر علامة الغضب، ثم يبدأ حب الأطفال والتعلق بالكبار وهكذا، وبازدياد خبرات الطفل وممارسته للنشاطات المختلفة، وكذلك ما قد يتعرض له من أوامر ونواه خلال هذين العامين، تزداد مجالات التعبير لديه، ففي هذه المرحلة يواجه الطفل مشكلات عدة تتعلق بالفطام والأكل والنوم والتبول، وكل هذا يؤثر في شخصيته، فيتصف بصفات خاصة، كحب الانعزال والانطواء أو الميل للاعتداء والمشاكسة(سليم، مريم؛ وزيعور، علي٢٤٧: ٢٠٠٤).

لقد أوضحنا سابقا أهمية الرضاعة بالنسبة للطفل والأم معا، ورغم تلك الأهمية فإن المدة العمرية لفترة الإرضاع يستحسن ألا تطول لكي لا يصبح الطفل دائم التعلق بأمه معتمدا عليها فيؤثر ذلك سلبا على نموه الانفعالي، ومن المعلوم أن مسألة الرضاعة من حيث المدة تتفاوت من ثقافة إلى أخرى، إلا أنه من المفيد أيضا ألا تقل عن سنتين في الظروف الطبيعية. وعند الشروع في الفطام على الأم أن

تدرب الطفل عليه في الوقت المناسب، وتؤدي العلاقة السوية بين الطفل وأمه إلى اجتياز فترة الفطام بسهولة ويسر، ومن الأفضل أن تكون الأم متأنية وهادئة ومتفهمة أثناء فترة الفطام، وأن تتم العملية بالتدريج، لكي لا تحدث أي مضاعفات انفعالية عند الطفل، وربما يساعد الاستعانة وقت الفطام بالرضاعة عن طريق الزجاجة بين الحين والآخر، بشرط أن يتم ذلك والطفل هادئ ومتجاوب، كما أن على المرضعة أن تتجنب اللجوء إلى دهن الثدي بمادة مرة لجعل الطفل ينفر من الثدي الذي طالما أحبه وكان له مصدر غذاء وحب وأمان (المصري، سلمى إبراهيم ١٦١:٢٠١٠).

ونتيجة للتداخل بين الخاصية الاجتماعية والخاصية الانفعالية من المفيد أن نشير إلى بعض الممارسات التي تحدث في العلاقة اللاواعية بين الأم ورضيعها، كتصرفات ومشاعر تعبر عن إشارات انفعالية من الأم يستجيب لها الرضيع عضويا، نبين أمثلة لها فيما يلي:

١- الرفض اللاواعي للطفل:

يستجيب الطفل لتصرفات الأم التي تعبر عن رفضها اللاواعي له، بنوع من الخمول الذي يصل إلى حد الجمود وبالنوم المتواصل وأحيانا بالقيء، كما أن النمو الإدراكي والحركي والعاطفي يتوقف عند الطفل، يصاحبه ظهور حالات من القصور العضوي.

٢- قلق الأم العميق اللا واعي:

يستجيب الطفل جسديا للرعاية المبالغ فيها من الأم والمعبرة عن قلقها الانفعالي اللاواعي، بحركة مفرطة وطلبات متزايدة مبالغ فيها، ويعكس ذلك حالة التوتر التي تعاني منها الأم من جهة، وحاجة الطفل غير المشبعة إلى الهدوء والطمأنينة من جهة أخرى، وما يزيد من صعوبة الموقف أن العلاقة بين الطفل

والأم تدور في حلقة مفرغة: الأم القلقة بطبعها تستجيب بدورها لحالة الهياج التي تظهر عند طفلها، بالمسارعة إلى إطعامه لتهدئته، إلا أن ظهور حالات المغص أو الإسهال مثلا عند الطفل تضع الأم في مواقف عصيبة من جديد تزيد من توترها وقلقها، وهكذا.

٣- تقلبات الأم المزاجية وانعكاساتها على الطفل عاطفيا

إن تأرجح هذه التقلبات بشكل دائم بمعنى أن تكون فيها معاملة الطفل متذبذبة، بين الإفراط الزائد بالاهتمام أحيانا، والسخط ومشاعر الرفض والحرمان أحيانا أخرى، تؤدي بالطفل إلى تأزم الوضع وترسيخ الشعور بعدم الأمن والاستقرار، وعند حدوث تقلب مزاجي حاد عند الأم في هذه المرحلة من حياة الطفل (مثلا: نتيجة لمرض أو بسبب انهيار عصبي أو نتيجة لأزمة زوجية) يكون الطفل عادة الضحية، فينتابه شعور عميق بنبذ أمه المفاجئ له، بعد أن كان يشعر بحبها ورعايتها، وتكون الاستجابة هنا وفق سنه وطبعه إما بالبلادة أو بالقلق والمطالبة الملحة بإشباع رغباته (نفس المرجع ص ١٦٣).

يقول الدكتور عدنان السبيعي: «إن المولود في هذه السنوات تغرس فيه شتول السلوك خيرها وشرها، وتبعا للخبرات التي يحصلها المولود سيتكون منه إنسان سوي شجاع، يفعل الخير ويحب الحياة، أو يتكون منه إنسان منحرف يميل إلى العدوان والشر ومجابهة الناس، ويتميز بمقت الآخرين وكراهيتهم» (٢٦:١٩٩٧-٢-).

الخصائص الاجتماعية لطفل مرحلة الرضاعة

إن للخبرات الاجتماعية المبكرة في حياة الطفل دورا مهما في تحديد اتجاهاته مستقبلا نحو الذات والآخرين، وبما أن حياة الرضيع تقتصر على المنزل فإن أسس السلوك الاجتماعي والاتجاهات الاجتماعية لديه تعتبر « صناعة منزلية»

بحتة، وباعتبار الطفل كائنا اجتماعيا فإن ذلك لا يعود لكونه «مسألة فطرية»، بل إنما هو نتاج التعلم والخبرة، إن المرحلة التي تعقب الميلاد يكون الطفل فيها كائنا غير اجتماعي يغلب عليه الطابع البيولوجي وإشباع احتياجاته (صادق، آمال؛ وأبو حطب، فؤاد ١٩٩٨:٢١٣).

ثم يحدث التأثير المتبادل بين الرضيع والأم، وعندما يشعر الرضيع بالراحة والهدوء يبتسم، فيثير بذلك اهتمام الأم به، وينتج بينهما بذلك تفاعل ثنائي، وفي الشهر الثاني والثالث من عمره يبدأ الطفل في الاهتمام بالناس، فيبكي عندما يترك، ويبدو عليه عدم السرور عندما لا يعيرونه اهتماما، أو ينصرفون عنه في الحديث مع آخرين، كذلك يبدي استجابة مميزة تجاه أمه، مع استمرار الاستجابة للآخرين، وفي الشهر الرابع والخامس من عمره يبتسم الطفل للشخص الذي يداعبه، وفي الشهر السادس والسابع يستطيع تمييز المقربين إليه عن الغرباء، ويظهر سلوك التعلق للمقربين في صور عدة، منها الابتسامة وإصدار أصوات المناغاة لهم، كذلك يستمتع الطفل بالاتصال اللمسي من أمه، وفي الشهر الثامن والتاسع يحاول الطفل تقليد الآخرين في الكلام أو الحركة، وفي نهاية السنة الثانية يستطيع الطفل التعاون مع الكبار في بعض النشاطات البسيطة، مما يجعله أكثر ميلا للسلوك الاجتماعي (الزعبي، أحمد محمد ٢٠٠٧:١٠٩).

ومن المهم مساعدة الطفل منذ السنة الأولى على التكيف مع أنماط الحياة الاجتماعية، وذلك بتشجيعه على اللعب مع غيره من إخوته وأقاربه وأبناء الجيران، واصطحابه إلى الأماكن العامة كالأسواق والحدائق، وفي عامه الثاني يمكن تنمية العواطف المناسبة لدى الطفل، فيتعود على العطف على الحيوان وعدم إيذائه، وإلقاء التحية على الآخرين ووداعه لهم وشكرهم عندما يقدمون له خدمة واعتذاره لهم عندما يخطئ تجاههم وهكذا(سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:٢٥٠).

ويرتبط التطور في هذه المرحلة بالسلوك الاجتماعي والعلاقة بالآخرين، ويرى إريكسون أن النمو النفسي والاجتماعي يبدأ مبكرا في حياة الطفل ويكون على شكل صراع بين الثقة وعدم الثقة بالعالمTrust –Mistrust ، وتقابل هذه مرحلة الرضاعة، فإذا ما أشبعت حاجات الطفل الرئيسية في هذه المرحلة، كحاجته إلى الأمن والراحة والغذاء وغيرها، أدى ذلك إلى انبثاق الثقة بالعالم والبيئة، وبالعكس إذا كانت احتياجات الطفل في هذه المرحلة تواجه بالإحباط والتهديد والحرمان تكونت لديه مشاعر مضادة تتمثل في الشك والخوف، وعدم اليقين في العالم (العيسوي، عبد الرحمن ٢٠٠٥:١٧٩ ؛ سليم، مريم؛ وزيعور، علي٢٠٠٤:٢٤٨).

وفي هذا الصدد يرى فرويد أن الأنا (الذات الشعورية) عبارة عن مركب اجتماعي يكتسبه الطفل من خلال البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وأن الضمير (الأنا الأعلى) مركب اجتماعي آخر يكتسبه الطفل من مظاهر السلطة المتمثلة في أوامر ونواهي أسرته، وهكذا تكون السنوات الخمس الأولى في حياته هي الدعامة الأساسية التي ترتكز عليها حياته النفسية والاجتماعية بجميع مظاهرها(الزعبي، أحمد محمد ٢٠٠٧:١٠٩).

ج. مرحلة الطفولة Childhood

لقد منح الله عز وجل الإنسان منذ مولده كافة الأجهزة الضرورية التي من شأنها أن تجعل من البشر مكتشفين عظاما، فخلق لهم الأنف والفم واللسان والشفتين والأذنين والأصابع وغيرها من أجهزة الاستشعار، وهي التي يبدأ الطفل حياته فيوظفها في إشباع فضوله وميله إلى حب الاستطلاع، فعن طريق التفكر يقوم الطفل بالفحص والعض والمضغ والشم، أو الإنصات إلى الصوت أو التمعن والنظر إلى شخص ما أو التعامل مع موقف يعترضه، كأن يشد الأشياء أو بدون قصد قد يرمي بأشياء قابلة للكسر، وبهذه الكيفية يتعرف الطفل على نفسه والعالم

المحيط به (صبحي، سيد ٣٠:٢٠٠٢). وكل ذلك يتطور مع نموه في مراحل عمرية ووفق منظومة فيزيقية ونفسية واجتماعية، ولكي يجتاز الطفل مراحل طفولته بسلام لا بد من التعرف على خصائص النمو في كل مرحلة من مراحل نموه.

وتمتد فترة الطفولة من نهاية العام الثاني حتى الثانية عشرة، وتنقسم إلى ثلاث مراحل، هي: المبكرة والمتوسطة والمتأخرة.

الطفولة المبكرة Early Childhood

تعتبر الطفولة المبكرة من أهم سنوات العمر التي تتأثر بعملية التنشئة الاجتماعية بجميع أبعادها التعليمية والنفسية والاجتماعية، وتمتد من نهاية العام الثاني حتى نهاية سن السادسة، فبدءا من هذه المرحلة يتحقق أكبر قدر من التكيف الاجتماعي والتوافق النفسي، وفيها وبالتحديد في الخمس سنوات الأولى من عمره، ينشأ الطفل في بيئته الأسرية متأثرا بكل ما بداخلها من مثيرات متنوعة يقع عبئها الأكبر على الأبوين أولا ثم المحيطين به، من حيث أساليب المعاملة ونوعية طرق التعلم التي تترك بصماتها على ميوله واتجاهاته وقيمه، وبالتالي تشكل شخصيته في المستقبل، وانتقاله من مرحلة الطفولة المبكرة إلى المرحلة التالية بصورة سوية أو غير سوية، مما يتطلب مراعاة خصائص ونمو الطفل من جميع الجوانب الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية (عطية، نوال ١٦:٢٠٠١).

الخصائص الجسمية والفسيولوجية - الطفولة المبكرة

لهذه المرحلة ميزة مهمة في حياة الفرد، ففيها يمر الطفل بتطورات وتغيرات تشمل الطول والوزن، وإن كان معدل التغير فيها أبطأ قليلا من المرحلة السابقة لها، ويكون معدل تغير الطول أكبر من معدل الوزن، كما تنمو في هذه الفترة العضلات الكبيرة تليها العضلات الصغيرة أو الدقيقة، ويظهر ذلك في تمكن

الطفل من القفز والجري والمشي لمدة طويلة نسبيا، ولكنه لا يستطيع القيام بالحركات التي تتطلب دقة ومهارة وتآزرا عضليا مثل الكتابة والرسم، كذلك تزداد عظام الجسم حجما وعددا وصلابة مع النمو، وتكتمل الأسنان المؤقتة ما بين العام الثاني والثالث (الدسوقي، مجدي ١١٠:٢٠٠٣).

وفي هذه المرحلة يصبح الطفل قادرا على تناول الطعام، وفي نهاية هذه المرحلة أي حوالي السادسة تبدأ الأسنان المؤقتة بالسقوط لتظهر بعدها الأسنان الدائمة وتسقط بالترتيب وحسب ظهورها، ويظهر في سن السادسة واحد أو اثنان من الأسنان الدائمة، وبذلك يصبح الفك السفلي ظاهرا بشكل جيد والفك العلوي أعرض من الفك السفلي، ويصبح الوجه أكبر وتظهر تقاطيعه أوضح مع نهاية هذه المرحلة (الهنداوي، علي فالح ١٧٤ :٢٠٠٥).

وفي هذه الفترة من حياته يستطيع الطفل التدرب على عملية الإخراج، Toilet Training، وعادة ما تسبق تدريبات الإخراج تدريبات المثانة، ويرجع ذلك لسهولة الضبط والتحكم في حركات الأمعاء أكثر من استطاعة التحكم في حركات الأمعاء، وأغلب الأطفال يستطيعون التحكم في هاتين العمليتين في سن الثالثة، مع وجود فروق ترتبط بنضج عضلات التحكم الشرجي والعضلة العاصرة لجنس الطفل وكذلك الاتجاهات الوالدية، فالبنات أكثر قدرة من الأولاد على التحكم والضبط في عمليتي التبول والإخراج (الأشول، عادل ٢٧٠:٢٠٠٨).

من الملاحظ أن أهم ما يميز النمو الحركي عند الطفل في هذه المرحلة امتلاكه لكل المهارات الأساسية وقدرته على النشاط العضلي، فيستطيع المشي والجري والرمي والركل والوثب وغيرها، وهو يقوم بكل هذه القدرات الحركية بدرجة من التوافق وبطريقة متقنة (قناوي، هدى؛ وعبد الله، عادل ١٥٠:١٩٩٦).

وتنمو العضلات الكبيرة للطفل في هذه المرحلة، تليها العضلات الصغيرة،

ولهذا السبب نجد أن الأطفال يبدون كفاءة في القيام بالحركات الكبيرة بينما يفشلون تقريبا في القيام بالحركات التي تتطلب تآزرا عضليا دقيقا، ولذلك أيضا يعود السبب لمقدرتهم على القفز والجري والمشي لمدة طويلة نسبيا، بينما لا يستطيعون القيام بتلك الحركات التي تتطلب دقة ومهارة وتآزرا عضليا مثل الكتابة أو الرسم (الدسوقي، مجدي ١١٠:٢٠٠٣).

ويمكن أطفال هذه المرحلة أيضا أن يبدوا قدراتهم الحركية في الملعب؛ فيستطيعون الصعود والهبوط من على الكتل أو الألواح المتزحلقة، كما يمكنهم اللعب بالمرجيحة، كذلك يكون باستطاعتهم رسم الخطوط والدوائر واستخدام فرشات الرسم وقطع الأوراق وعمل بعض الأشكال أو الملصقات، كما يمكنهم التلوين بواسطة القلم والطباشير، وهم يقومون بالرسم بصورة عفوية وتلقائية (الأشول، عادل ٢٧٢:٢٠٠٨).

وينمو الهيكل العظمي عموما في هذه المرحلة العمرية، فيكتسب العظام صفة الصلابة وتتحول الغضاريف إلى عظام وتزداد عظام الجسم حجما وعددا وصلابة مع النمو(الدسوقي، مجدي ١١١:٢٠٠٣).

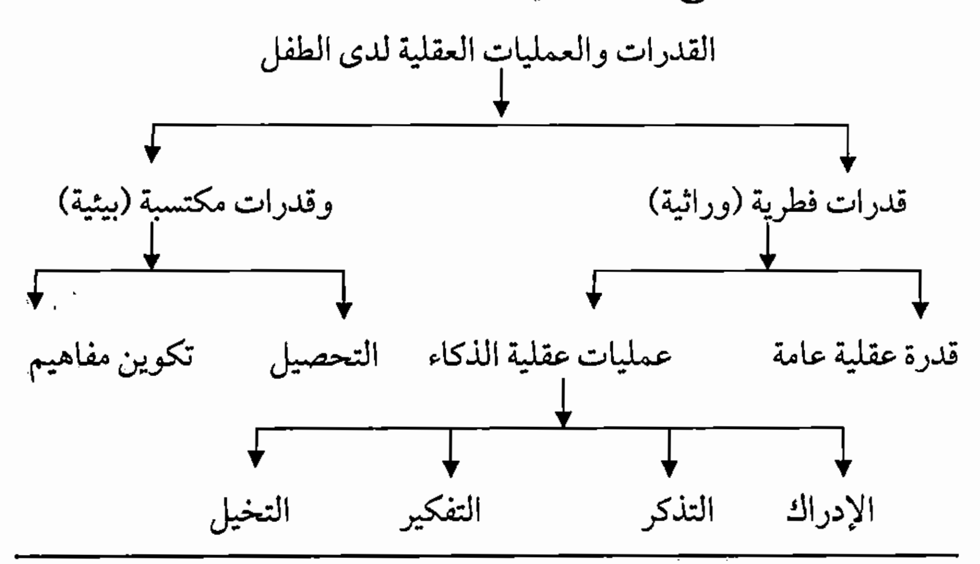
الخصائص العقلية - الطفولة المبكرة

فيما يتعلق بالنمو العقلي في هذه المرحلة فإن حواس الطفل في هذه السن تساعده على اكتساب المعرفة، فهو يجد لذة في ممارستها، ويكون شغوفا بلمس الأشياء وتذوقها والنظر إليها واكتشافها، فيتعرف على الأشكال والأحجام والمسافات، ويرى بياجيه أن هذه الممارسة الحسية تعبر عن ذكاء الطفل، فهي تؤدي إلى تكوين المفاهيم في عملية التفكير ونمو الذكاء والتي يجب أن تصقل من خلال: ألعاب تحتوي على ألوان مختلفة ليميز الطفل بينها، ثم اللون نفسه بدرجات مختلفة، وكذلك هو الحال بالنسبة للأحجام والأشكال واستخدام المكعبات وترتيبها بأشكال مختلفة (سليم، مريم؛ وزيعور، علي٢٥٤:٢٠٠٤).

ويعتبر علماء النفس هذه الفترة من حياة الطفل أنها فترة «التساؤل»، حيث يقوم الطفل فيها بتوجيه الأسئلة الكثيرة عما يدور حوله وخاصة في سن الرابعة، وتعبر هذه الأسئلة عن نشاط عقل الطفل واحتياجه إلى الأمن والطمأنينة، كما أنها تساعده على أفكاره وزيادة رصيده المعرفي في المستقبل (الدسوقي، مجدي ٢٠٠٣:١١١).

ويذهب الدكتور عبد المنعم حقي (٢٠٠٣-٢-) إلى أنه في البداية تكون أسئلة الطفل تعبيرا عن السعي لإشباع حاجته لحب الاستطلاع، ولكن مع الاستمرار في النمو تظهر لديه دوافع أخرى: مثلا أن يسعى لأن يكون له علاقات مع الآخرين، أو إلى لفت الانتباه إليه أو لتحقيق الاطمئنان، كما أنه يحاول إغاظة البعض طالما أن كثرة أسئلته تضايقهم، وذلك نتيجة سخط الطفل وإحباطه وكراهيته للكبار، ولا بد من إجابة الطفل على الأسئلة التي يوجهها للكبار وعدم نهره من التكرار، وإلا أدى ذلك إلى نكوصه وحرمانه من وسيلة مهمة لتحقيق التعلم (ص ٦١) .

والعمليات العقلية لدى الطفل تنقسم إلى قدرات فطرية (وراثية) وأخرى مكتسبة (بيئية)، ويوضح الشكل الآتي هذه القدرات:



وفيما يلي بعض خصائص كل من هذه القدرات:

الذكاء: ويقصد به القدرة العقلية العامة، والتي تتضمن إدراك العلاقات بين الأشياء والمقدرة على حل المشكلات والتكيف الاجتماعي، ويبدأ الذكاء بالإدراك الحسي وينتهي بالتفكير المجرد.

الإدراك: من الملاحظ في بداية هذه المرحلة العمرية (٣-٦) أنه لا يستطيع الطفل الإدراك الحسي للأشياء وعلاقتها المكانية، مثلا لا يفرق بين اتجاه اليمين أو اليسار، ولكنه مع مرور الزمن في هذه المرحلة تتكون عنده المقدرة على معرفة أسماء الاتجاهات الأربع (يمين ويسار وأعلى وأسفل) كذلك يستطيع إدراك علاقة الأشياء بالمكان، كأن يقوم بتجميع أجزاء مختلفة لشكل ما بطريقة يجعلها مترابطة في وحدة كلية، وفي عامه الثالث يستطيع الطفل إدراك الأحجام المختلفة (صغيرة ومتوسطة كبيرة) والمقارنة بينها، ولا يستطيع الصغير في هذه المرحلة إدراك المسافات تقديرا صحيحا مما يتطلب الحذر من سقوطه من النوافذ أو الشرفات.

وجدير بالذكر أن إدراك الطفل في هذه المرحلة للعلاقات المكانية يسبق إدراكه للعلاقات الزمنية، وإدراكه لأوجه الخلاف بين الأشياء يسبق إدراكه لأوجه التشابه بينها، وما يميز الإدراك عند الطفل في هذه الفترة عموما تمركزه حول ذاته، فيدرك كل شيء بالنسبة إلى نفسه ومن خلال علاقته به فقط (الدسوقي، مجدي ٢٠٠٣:١١٢).

التذكر: وهي عملية عقلية يقوم بها الطفل في سن مبكرة من عمره، وتزداد قدرة الطفل على التذكر كلما ازداد نموه، بينما تنمو فكرة الزمن لديه نموا بطيئا وتستمر في الغموض حتى سن السادسة، فلا يستطيع التمييز بين «اليوم» و«أمس» و«غدا»، كما لا يستطيع التمييز بين الصباح وبعد الظهر، إلا أنه يمكن أن نساعد الطفل على

إدراك الزمن بتعيين زمن كل حدث يقع في خبرته (سليم، مريم؛ وزيعور، علي٢٠٠٤:٢٥٨) .

التفكير: يكون تفكير الطفل في هذه المرحلة ذاتيا ومشتتا ولا يخضع لنظام معين، فهو أقرب بذلك إلى التخيل منه إلى التفكير المنطقي، ويبقى كذلك حتى سن السادسة (الدسوقي، مجدي ١١٢ :٢٠٠٣).

التخيل: في هذه المرحلة يشكل التخيل جزءا من النمو العقلي للطفل، ويطغى خياله على الحقيقة، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الطفل وولعه بالدمى والعرائس وتمثيل أدوار الكبار التي يستمدها من بيئته وتفاعله اليومي مع المحيطين به (الدسوقي، مجدي ١١٣ :٢٠٠٣). ويبقى تفكيره تخيليا حتى سن السادسة فلا يميز بين الواقع والخيال، وهنا يجب التدخل لمساعدته كي لا ينساق وراء الخيال الكلي، وذلك بسرد القصص الخيالية ولكنها مشتقة من العالم الخارجي الواقعي(سليم، مريم؛ وزيعور، علي٢٠٠٤:٢٥٦).

ويتمثل الوعي والإدراك الاجتماعي للطفل من خلال تمسكه ببعض القيم والمعايير الاجتماعية، وبالتالي ينمو الضمير لديه، ومع نمو هذا الضمير ينشأ الشعور والإحساس بما هو حسن أو خير، أو حلال أو حرام، فينتقد الكبار في تصرفاتهم، وعندما يكذب أحد الآباء فإننا نجد الابن لا يرضى بهذا السلوك (صبحي، سيد ٦٠ :١٩٨٦).

الخصائص الانفعالية- الطفولة المبكرة

يكون الطفل في هذه المرحلة أكثر صراحة في التعبير عن انفعالاته كما تزداد نوبات غضبه، وعلى المحيطين بالطفل أن يتيحوا له أن يعبر عن مشاعره بحرية، ومحاولة التعرف على انفعالاته ومواجهتها ومناقشته في أسبابها، مثلا يرى بعض معلمي رياض الأطفال ضرورة أن يشجع الطفل على تحليل جوانب من سلوكه

غير المقبول، فيسألونه لماذا ضرب زميله؟ ويقولوا له: يجب أن تفكر قبل أن تفعل هذا، وهل تشعر بالارتياح بضربك زميلك؟ وغيرها من الأسئلة التي يمكن أن توجهه إلى السلوك السوي (عثمان، إبراهيم ١٠٨:٢٠٠٦).

وتقل نوبات الطفل المزاجية كلما تقدم في السن ويزداد تعبيره عنها بالألفاظ التهجمية أكثر من التعبير عنها بالمظاهر الجسمية، وعادة ما تكون انفعالاته نتيجة لاختلاف سلوكه مع المعايير التي يسلك وفقها الكبار، وعموما لا تؤدي طرق الضبط كالتهديد والضرب إلى تقليل نوبات الانفعال عند الطفل، بل تزيد انفعاله، بينما تؤدي طرق الضبط التي لا تساير رغبات الطفل كتجاهله وعزله إلى تقليل حدوث نوبات الغضب، بينما تزداد حدتها عند الأطفال الذين لا تتبع أسرهم طرقا موحدة في التعامل مع أطفالهم (عثمان، إبراهيم ١٠٨:٢٠٠٦).

كذلك يمتاز سلوك الطفل الانفعالي بالتقلب الفجائي؛ فينتقل من البكاء إلى الضحك ومن الغضب إلى السرور، ومن الخوف إلى الطمأنينة، كما تظهر عنده مشاعر الغيرة والقلق من ضياع حب والديه ومشاركة طفل آخر في حبهما، كذلك يظهر على الطفل ميلا إلى اللعب بأعضائه التناسلية، ومن الأفضل ألا يمنع بعنف، والأفضل أن يحاول تحويل اهتمامه إلى شيء آخر، وتعويده على ترك الفراش بمجرد استيقاظه وعدم إلباسه ثيابا ضيقة والاعتناء بنظافة أعضائه التناسلية (سليم، مريم؛ وزيعور، علي٢٥٩:٢٠٠٤).

كما يقول البعض بأنه يظهر في هذه الفترة تعلق الطفل بالجنس المغاير لجنسه فيتجه في البداية للأم والأب؛ لأنه يتصل بهما اتصالا مباشرا وعن طريقهما يشبع كل رغباته، وتختلف درجة تعلق الطفل بالنسبة للأم أو الأب طبقا لنوع الجنس، فيبدأ الولد في الاتجاه نحو أمه تدريجيا، بينما تبدأ البنت في الاتجاه نحو أبيها. وتؤدي هذه العلاقة التي تربط كلا من الولد والبنت بأحد الأبوين من الجنس

المغاير إلى نوع من الصراع يعرف بعقدة أوديب[1] بالنسبة للولد وعقدة الكترا بالنسبة للبنت(محمود إبراهيم ٨٦: ١٩٨١).

ويحدث هذا الصراع نتيجة لحبه الشديد لأمه والرغبة في الاستحواذ عليها، وفي نفس الوقت غيرته من والده الذي يجده منافسا لهذا الحب ومهددا له، ولأنه غير قادر على التغلب على هذه المنافسة يكره الأب ويغذي هذه الكراهية موقف الأب له كمؤدب ومرب يأمر وينهي ويعاقب، ومن جهة أخرى يكون الأب موضع إعجاب الطفل وفخره، لأنه ينتمي إليه ويحقق له كل رغباته، ويشعر الطفل بأن والده هو الذي سيدافع عنه إذا ما تعرض للاعتداء، ومن هذا التناقض بين الحقد والإعجاب يحدث الصراع الذي يؤدي إلى عقدة أوديب، كذلك تمر البنت بنوع مشابه من الصراع يؤدي بها إلى عقدة ألكترا[2] (محمود، إبراهيم وجيه ١٩٨١:٨٧).

ومن جانب آخر تظهر في هذه الفترة ملامح النمو الخلقي عند الطفل، فيتعلم المعايير الاجتماعية ويسعى للحصول على رضا والديه عنه وحبهما له، كذلك يتكون الضمير لديه أو الأنا الأعلى عن طريق التوحد مع والديه، كذلك يكتسب عنهما القيم والقواعد الأخلاقية، وبذلك تنتقل عوامل الضبط الخارجي لسلوك

---

(١) اقتبس فرويد هذه الكلمة من أسطورة إغريقية قديمة تدور حول ملك الإغريق » أوديب« الذي حارب والده وقتله وتزوج أمه دون أن يعرف أنها أمه، وعندما عرف حقيقة الأمر استعظم فعلته وفقأ عينيه تكفيرا لذنبه، ومن هنا استخدم فرويد كلمة أوديب للتدليل على الرغبة اللا شعورية الكامنة في أعماق الطفل للتخلص من والده وامتلاك والدته(محمود إبراهيم وجيه ١٩٨١:٨٧).

(٢) تعلق الابنة بوالدها والشعور بالعداء نحو والدتها. فالابنة تصب عاطفتها العشقية على الأب، ويزعم علماء التحليل النفسي أن هذه العقدة كناية عن رغبة، عن وعي أو غير وعي، تساور الابنة في إقامة علاقة جنسية مع والدها، وتسفر عن الشعور بالعداء نحو الأم لاعتبارها تنافس الابنة على قلب والدها، كما تؤدي إلى شعور بالذنب نتيجة لتضارب عواطف الوفاة(رزوق، أسعد ١٩٨٧:١٨٢).

الطفل إلى ضبط داخلي يحتويها ضميره (قناوي، هدى؛ وعبد الله، عادل ١٩٩٦:١٥٢).

الخصائص الاجتماعية- الطفولة المبكرة

يتميز النمو الاجتماعي للطفل في هذه المرحلة باتساع دائرة معارفه، ففي العام الثالث من عمره تتجاوز هذه الدائرة نطاق الأسرة لتشمل الأقران، كما يحرص الطفل في هذا السن على أن تكون له مكانة اجتماعية، ويسعى دائما إلى لفت انتباه الآخرين من الكبار، ويهتم بمعرفة أوجه نشاطهم، كذلك يتميز الطفل بالأنانية لأنه متمركز حول ذاته، فلا يهتم بالآخرين إلا بقدر ما يحققون له النفع والفائدة، ثم ينمو التفاعل الاجتماعي لديه، وخلال هذا النمو يكتسب المعايير التي تبلور الدور الاجتماعي له (صبحي، سيد ١٩٨٦).

وفي الرابعة من عمره يزيد اهتمامه باللعب الجماعي بعد أن كان يقوم بذلك بمفرده، ويتزامن ذلك مع قدراته الخيالية، فيكثر من تقمص أدوار أولئك الذين يكونون مثار إعجابه في البيئة المحيطة به، فيرتدي ملابسهم وأحذيتهم ويسرد قصصا خيالية عنهم، وفي الخامسة يشارك الآخرين بعض أنواع السلوك الاجتماعي ويتعاون مع الآخرين بالاستمتاع باللعب معهم، فيتعلم بذلك الأخذ والعطاء ويكتسب الروح الرياضية، كما يتعلم الطفل من خلال اللعب تكوين العلاقات مع الغرباء، ومواجهة المشكلات التي يتعرض لها نتيجة لذلك، ويساعده ذلك أيضا على تعلم الأدوار الاجتماعية المختلفة. أما في السادسة فيفضل الطفل اللعب مع رفاقه في جماعات محددة العدد(قناوي، هدى؛ وعبد الله، عادل ١٩٩٦:١٥٢).

ومع بداية دخوله المدرسة تكون طاقات الطفل على العمل الجماعي ما زالت محدودة وغير واضحة، ويبدأ الطفل في نهاية مرحلة الطفولة المبكرة إلى مساعدة

والديه وتقديم الخدمات إلى الآخرين، ويزداد هذا التعاون بين الطفل ورفاقه في المنزل والمدرسة، ويكون اللعب جماعيا ومن خلاله يتعلم الطفل الكثير من رفاقه وتتاح له الفرص لكي يؤكد ذاته، ويحقق مكانته الاجتماعية (صبحي، سيد ١٩٨٦:٦٠).

وتتصف شخصية الطفل في هذه المرحلة بمزيج من الاستقلال والاعتماد على الغير، فعند دخوله الروضة يقابل الطفل وجوها جديدة من الأطفال والراشدين والغرباء، ويعاني نتيجة ذلك صراعا، فهو عليه أن يتخلى عما كان قد تعود عليه في أسرته من حماية ورعاية، وأن يتعود معنى المساواة والعدل مع رفاقه الذين يشعر بينهم بأنه شخص بين الآخرين، وينمو شعوره بفرديته ويميز بين ملكيته وملكية الآخرين، ويستمع لأحاديث الكبار ويتفاعل معها (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:٢٦٠).

وبينما طفل هذه المرحلة في سن الثانية والثالثة يقوم بنشاطات يحب أن يقوم بها مستقلا عن غيره، ويميل البعض إلى «الاستقلال الذاتي» Self-Independence، نراه في وقت آخر أي قبل دخوله المدرسة قد تعلم أشياء أخرى ومارس العديد من الخبرات، وهنا يبدأ بفقد هويته ويختلط عنده الوهم بالحقيقة، ويسيطر عليه اللعب «الإيهامي» fictional play. وفي هذه السن تحديدا تتسع ذاته وتمتد self-expansion لتشمل الأشياء من حوله، ويبدأ من جديد يتعرف على ذاته بأبعادها الجديدة الممتدة، ويقوى عنده الشعور بالهوية في السن من السادسة حتى الثانية عشرة (الحفني، عبد المنعم ٢٠٠٣:٤٨٥).

ويبدأ نمو مفهوم الملكية لدى الطفل (أنا...غيري) في الرابعة من عمره، ففي خلال السنوات الثلاث الأولى تنمو (أنا) الطفل، حيث إنه بإمكانه معرفة اسمه الذي ينادى به، كما يعرف اسم أبيه وأمه. وهو يتعرف على نفسه بصفته أحد أفراد

العائلة، يأخذ مكانه على مائدة الطعام بين أفراد أسرته، ويشعر أنه من حقه أن ينال أي شيء يأخذ منه الآخرون، لأنه لا يرى أنه يقل عنهم مكانة، وبينما كان سابقا يبادر بالبكاء والغضب والصراخ إذا ما وقف أحد ما ضد رغبته، ففي سن الرابعة من عمره أصبح يخضع لبعض المعايير السلوكية التي يفرضها عليه الكبار، فنراه مثلا يقبل على مضض أن تخرج أمه من المنزل لأي سبب شريطة أن تطمئنه بأنها سوف تعود، وأنها سوف تحضر له معها بعض اللعب أو الحلوى، ومع ذلك فهو يقف لها على باب المنزل يردد سؤاله: ستعودين ثانية؟ ستعودين ثانية؟ ولا يسمح لها بالخروج إلا بعد أن تجيب سؤاله بنعم. فالطفل هنا قد بدأ يدرك أنه شيء ... وأن أمه شيء آخر غيره منفصل عنه (الهمشري، محمد ١٩٩٧: ١٣).

وقد تنوي الأسرة تقديم هدية إلى صديق أو قريب، وقد يكون الطفل في صحبة الأسرة أثناء الزيارة، وعندما تنتهي الزيارة ويشرع الوالدان في المغادرة، قد تمتد يد الطفل إلي الهدية التي أحضرها أبوه وأمه ليحملها ويعود بها، وهو يقول لأبيه أو لأمه: « هذه لنا .. لقد أحضرناها معنا، لا نتركها » (الهمشري، محمد ١٩٩٧: ١٥). وقد يبذل الأب أو الأم جهدًا كبيرًا لإفهامه أن الهدية اشتريت من أجل الصديق أو القريب، فتكون هذه خطوة أخرى على نمو مفهوم الأنا ... والغير لدى الطفل.

الطفولة المتوسطة Middle Childhood

تمتد هذه المرحلة من نهاية سن السادسة حتى نهاية سن التاسعة ، وتشكل بداية المرحلة التعليمية الابتدائية للطفل، كما أنها بداية انتقاله من بيئته الأسرية إلى مؤسسة تربوية أخرى تساهم في عملية التطبيع الاجتماعي، أي المدرسة التي من خلالها يتفاعل الطفل مع جماعات جديدة وتتميز علاقاته بالتنوع والتعدد، فيكتسب معايير واتجاهات وقيما جديدة، كما تتميز هذه الفترة بزيادة استقلال

الطفل عن أسرته ويكون أكثر انضباطا في انفعالاته وأكثر اعتمادا على نفسه، وتتميز هذه المرحلة أيضا بالنمو الحركي المطرد (الدسوقي، مجدي ١٢٥: ٢٠٠٣ ؛ زهران، حامد ٢٦٣ - ٢٣٦: ١٩٩٩).

الخصائص الجسمية والفسيولوجية- الطفولة المتوسطة

يتسم النمو الجسمي في هذه المرحلة بالبطء المستمر، فتتغير ملامح الطفل العامة عن تلك التي كان عليها في طفولته المبكرة، وتوجد فروق فردية في النمو بالنسبة للنوع لهذه المرحلة النمائية، حيث يبلغ الطول بالنسبة للطفل الذكر في سن السادسة حوالي ١١٤ سم، وذلك بنسبة ٦٥٪ تقريبا من طوله النهائي، ويبلغ وزنه ٢٠ كيلو جرام تقريبا، أما بالنسبة للبنت فإن طولها في سن السادسة حوالي ١١٢ سم، أي حوالي ٦٩٪ من طولها النهائي، ويبلغ وزنها حوالي ١٨ كيلوغرام (الزعبي، أحمد محمد ١٣٢: ٢٠٠٧) .

في هذه الفترة أيضا يزداد الجذع نحافة كما يزداد عرض الصدر، كما تحدث زيادات في الطول بالنسبة للرقبة والذراعين والساقين، كذلك يزداد الجهاز العصبي تعقيدا، وتزداد الوصلات والألياف العصبية، وتستمر وظيفتان من وظائف المخ في النمو، هما تكوين نخاع الألياف العصبية والنخاع الشوكي، والأنسجة العصبية المرتبطة، وتنظيم وظائف المخ (نفس المرجع ص ١٣٣). وهذا النمو السريع جدا في الجهاز العصبي للطفل، وخاصة المخ الذي يصل نموه إلى ٩٠٪ من الكمال، له أهمية في التعلم والتعليم، حيث يؤدي بالطفل إلى اكتساب كثير من المهارات اللغوية والحركية واكتساب مهارات القراءة والكتابة والمفاهيم الضرورية للحياة (ناصر، إبراهيم ٣٢: ٢٠٠٤).

ويفقد الطفل في هذه المرحلة معظم أسنانه اللبنية (الدسوقي، مجدي ١٢٦: ٢٠٠٣)، لتحل محلها الأسنان النهائية، فتبلغ عدد الأسنان في نهاية سن

الثالثة عشرة إلى (٢٨) سنا، فيتغير شكل الفم، وذلك نتيجة ازدياد حجم الجزء الأسفل من الوجه، ويختل التناسب فيه، وكذلك تتسطح الجبهة ويكبر الأنف(الزعبي، أحمد محمد ١٣٢: ٢٠٠٧).

وغالبا ما يتمتع الأطفال في هذه المرحلة بالصحة العامة التي تساعد على النمو الجسمي، ويتوقف ذلك أيضا على العوامل المادية والاقتصادية، وتؤثر التغذية من حيث النوع والكم على الصحة العامة ومن ثم النمو الجسمي، كما ينخفض معدل الوفيات ابتداء من هذه المرحلة، غير أنه مع دخولهم المدرسة يصبح الأطفال أكثر عرضة لبعض الأمراض المعدية كالحصبة والنكاف والجدري مما يستدعي ضرورة التطعيم ضد هذه الأمراض (زهران، حامد٢٤٩: ٢٠٠٥).

الخصائص العقلية - الطفولة المتوسطة

هذه المرحلة عند الطفل هي مرحلة نضج بعض القدرات العقلية وعملياتها الإدراكية، فالطفل في سني عمره ما بين السادسة والثامنة، يكون قد بدأ اكتساب التفكير المجرد والتصور والتذكر والانتباه المقصود المركز، كما تتميز هذه الفترة باستمرار النشاط الإدراكي، ويبدأ لديه الخيال العملي، وفي هذه المرحلة أيضا يبدأ الطفل بتعلم الكتابة، لأنها مرحلة تبدأ فيها أولى المراحل العلمية، فعادة ما يبدأ الأطفال الصف الأول الابتدائي في سن السادسة، وتعتبر الكتابة نشاطًا عقليًا مجردًا تقوم على تخزين رموز اصطلاحية تختلف قدرة الأفراد في تخزينها، وتساعد المدرسة أيضا على النمو الإدراكي عند الطفل، ففيها يقوم بمجموعة من عمليات الكشف والتجريب والمقارنة والتقليد والقراءة، فيدرك بذلك موضوعات العالم الخارجي من حيث اتصال بعضها ببعض، ويدرك أيضا الموضوعات من حيث هي كل ولا يعتني بالجزئيات (الهنداوي، علي فاضل ٢١٥: ٢٠٠٥).

وطبقا للنظرية المعرفية عند بياجيه، فإن طفل السادسة أو السابعة ينمي بعضا من «القابليات العقلية» الجديدة، أي ما تعرف بـ«العمليات المشخصة»، والتي بواسطتها يمكنه صياغة المفاهيم للأصناف والعلاقات والأعداد، فتتسع نتيجة ذلك عملية الإدراك لديه، فالعمليات المشخصة طبقا لهذه النظرية توجه الطفل ليسلك القواعد التي يقرها المجتمع، كما تساعد على إكسابه بعض المهارات والمعارف، والتي تؤدي بدورها إلى التكيف الاجتماعي، لذلك يمكن اعتبار الطفولة المتوسطة فترة جوهرية في حياة الإنسان (بيديس، إميل خليل ١٩٩٧:١٧٥).

وتساعد الصور البصرية التي يلاحظها طفل هذه المرحلة على التفكير في حياته اليومية، ويبدأ الاعتماد على الواقع بدون تخيلات، فيبذل مجهودا عقليا في تعلمه وخاصة في حفظ الأغاني والأناشيد، كما يكون في مقدرته أن يركز انتباهه على موضوع معين من (٤-٥) دقائق ثم يحول انتباهه عنه، وهو لا يميل إلى ما هو شفوي لفظي بل يفضل الأعمال اليدوية.

وعندما تعرض الصور على طفل هذه المرحلة ويطلب منه وصفها، فإنه يشير للعلاقات المكانية والحركات والألوان الموجودة فيها، ويمكنه في نهاية هذه المرحلة إدراك الأشياء المتشابهة، مثل الحروف الهجائية كما يدرك الاختلافات بينها، ويستطيع معرفة الأمكنة والاتجاهات مثل إدراك الموقع بالنسبة للشرق والغرب أو الشمال والجنوب، وكذلك القرب والبعد، فعند ابن السادسة يكون هذا الإدراك بطيئاً وينمو مع تقدم السن، وفي سن الثامنة يصبح قادرًا على التمييز في تحديد الاتجاه والموقع، وهذه كلها جزء من خصائص نهاية مرحلة ما قبل العمليات وبداية مرحلة العمليات المادية كما أطلق عليها بياجيه (معوض، خليل ميخائيل ١٩٠-١٩٨ :١٩٨٣).

الخصائص الانفعالية – الطفولة المتوسطة

إن ما يميز سنوات مرحلتي الطفولة المتوسطة والمتأخرة هو أنها تأتي بين مرحلتين حساستين، السابقة لها، وهي مرحلة الطفولة المبكرة والتي تتميز بسرعة الانفعال وسرعة التقلب الوجداني القوي، والأخيرة هي مرحلة المراهقة وما يعتريها من ثورات انفعالية، لذلك يطلق علماء النفس على هذه السنوات أنها مرحلة الكمون والثبات والاستقرار الانفعالي (باظة، آمال السبيعي ١٣٠:٢٠٠٢).

ففي مرحلة الطفولة المتوسطة تتسم شخصية الطفل بالهدوء والاتزان وتكون انفعالاته أقل حدة، ويكون أكثر واقعية في رغباته، كما يقل صراعه النفسي تجاه الوالدين ويتخلص من ازدواجية العواطف (الحب والكره في نفس الوقت)، بمعنى أن كل شيء يتعرف عليه الطفل يحدد موقفه تجاهه بأحد الأمرين، إما أن يحبه أو يكرهه، ينجذب إليه أو ينفر منه، وكلما تطور في النمو تزداد سيطرة الطفل على انفعالاته، وهو بذلك يسير نحو الاستقرار الانفعالي (Emotional Stability) (الهنداوي، علي فاضل ٢٢١:٢٠٠٥؛ سليم، مريم؛ وزيعور، علي٦٥:٢٠٠٤).

ومن المظاهر التي تطرأ عليه مقارنة بالمرحلة السابقة أنه قد أصبح أقل عدواناً وأقل ميلاً إلى التخريب، وفي حالة الخوف لا يبدو عليه اصفرار الوجه بدرجة ملحوظة، كما أنه أصبح أكثر مقدرة على إخفاء مظاهر الغيرة بأعراضها البدائية الأولى، وتتركز انفعالاته حول موضوع معين، وهي الأم التي يتعلق بها ويحب كل ما يتصل بها، وتتسم انفعالاته بالهدوء النسبي، وفي المدرسة التي يكون قد بدأ فيها تقل لديه الثورات النفسية والتوترات الانفعالية، وفي المدرسة يتعلم الطفل نوعا من الانضباط والحد من مظاهر الغضب، ويتكلف الشجاعة في مواجهة أمور قد يخافها إذا ما واجهته في المنزل، كما أنه في المدرسة يخفي مظاهر الغيرة إذا ما انتابته، ويقارن الطفل نفسه مع غيره من التلاميذ، ويقلدهم في التعبير عن

انفعالاتهم المختلفة، وهذا التقليد يساعده على الاعتدال، وعدم التطرف في الانفعال، وهكذا ينتقل الطفل إلى طفولة هادئة وادعة مطمئنة (الهنداوي، علي فاضل ٢٢١:٢٠٠٥).

وعادة ما تتوجه عواطف الطفل في هذه المرحلة إلى أقرانه: أبناء الجيران أو إلى زملائه في المدرسة، وينعكس ذلك على انفعالاته فيكتسب قدرا من الانسجام والهدوء، فتجده أقل حرصا على الملذات العاجلة، كما أنه يكتسب الكثير من العادات والأفكار التي تنم عن التوافق والانسجام مع التقيد والخضوع للسلطة واحترام رأي الآخرين، ويتأثر النمو الانفعالي عند طفل هذه المرحلة بعمليتي النضج والتعلم، اللتين تتداخلان في تأثيرهما على نمو الانفعالات، مما يجعل تحديد الأهمية النسبية لأي منهما على حدة في غاية الصعوبة، إلا أنه يمكن القول بأن التعلم أكثر أهمية وذلك لأنه بالإمكان السيطرة عليه، بواسطة التدريب والتوجيه مباشرة، ومن خلال تنظيم البيئة لضمان تكوين الأنماط الانفعالية المرغوبة لدى الطفل (نفس المرجع ص ٢٢٢-٢٢٣).

الخصائص الاجتماعية - الطفولة المتوسطة

في مرحلة الطفولة المتوسطة إلى جانب البيئة الأسرية تتسع البيئة الاجتماعية لطفل هذه المرحلة لتشمل البيئة المدرسية أيضا، وفيها يكتسب الطفل خبرات جديدة حيث يتدرب على تكوين علاقات اجتماعية متنوعة، ويتم فيها التفاعل الاجتماعي مع أفراد آخرين تختلف عن تلك التي يتفاعل فيها مع أسرته، وفي هذه البيئة الجديدة يتدرب الطفل على الأخذ والعطاء والتنافس والتعاون والكفاح والمثابرة، فالمدرسة هي البيئة التي يمكن للطفل أن يمارس بها جميع أنواع المنافسات، كما يمكنه اكتساب خبرات متنوعة، ويمارس فيها الهوايات، وينمي الميول ويتدرب على الحقوق والواجبات، والمدرسة أيضا هي المكان الذي

يتلقي فيه العلوم ويكتسب الخبرات المدرسية، وهي بالإضافة إلى كل ذلك معمل اجتماعي يساهم في تشكيل وبناء شخصية الطفل وتربيته، وذلك بوسائل متعددة من خلال ممارسة نشاطات متعددة مثل الرياضة والنشاط الاجتماعي والثقافي والفني (الهنداوي، علي فاضل ٢٢٦:٢٠٠٥).

وتعتبر النشاطات الاجتماعية المدرسية بالنسبة للطفل أكثر فائدة من النشاطات المنزلية، لكونها أكثر خضوعا لتطور المجتمع الخارجي وأكثر ثباتا واتساعا، لذلك تترك أثارا قوية في اتجاهات الطفل وعاداته وعلى سلوكه الاجتماعي، كما أنها تمثل قاطرة العبور بالنسبة له من عالمه الأسري إلى عالمه الخارجي، وبدخول الطفل المدرسة يقل اعتماده على والديه وتنمو ذاتيته نتيجة استقلاله ونتيجة مقدرته على القيام بالكثير من الأمور التي كان أفراد الأسرة يقدمونها له (الهنداوي، علي فاضل ٢٢٧:٢٠٠٥).

وتشكل مرحلة الطفولة المتوسطة مرحلة التعرف على الذات بأبعادها الجديدة بالنسبة للطفل، ويقوى عنده الشعور بالهوية في السن من السادسة حتى الثانية عشرة، ويبدأ يتعرف على الرفاق companion ويتمثلهم فتتوه عنه هويته حينئذ. وفي هذه السن يكون أكثر واقعية ومحبا للاستطلاع، وتتكون لديه الذات العاقلة rational-self وتكون وظيفتها تنظيم نشاطاته وعلاقاته وتجنيبه المشكلات (الحفني، عبد المنعم ٤٨٥:٢٠٠٣).

وفي هذه المرحلة أيضا ينتقي الطفل أصدقاءه الذين عادة ما يتحيز لهم، وقد يكون من بينهم صديق يفضله على غيره وتكون لعلاقته قدر من الثبات يتفاوت شدة وضعفا، كما يمكن أن يكون له أيضا عدو شبه دائم، وفي الجزء الأخير من هذه المرحلة العمرية يحب الأطفال الألعاب المنظمة في جماعات صغيرة، وكثيرا ما تنشأ بينهم المشاحنات ويتكرر استخدام الكلمات الجارحة أكثر من العدوان

الجسمي (عثمان، إبراهيم ٢٠٠٦:١٢٨). وعادة ما تحدث بين الطفل ورفاقه منافسة تبدأ فردية ثم تتحول في نهاية المرحلة إلى منافسة جماعية خاصة في الألعاب الرياضية والتحصيل المدرسي، وبطبيعة الحال فإن التنافس قد يؤدي إلى صراع من جانب الأفراد بعضهم ضد بعض.

أما التعاون فيحقق تفاهم الأفراد وسعيهم نحو تحقيق هدف مشترك (صبحي، سيد ١٩٨٦).

الطفولة المتأخرة Late Childhood

وتمتد هذه الفترة من نهاية سن التاسعة حتى نهاية سن الثانية عشرة، وتشترك إلى حد كبير في الخصائص مع المرحلة السابقة.

الخصائص الجسمية والفسيولوجية للطفولة المتأخرة

في بدء مرحلة الطفولة المتأخرة يتسم النمو الجسمي بالبطء في الطول والوزن ونسب أجزاء الجسم المختلفة، حتى يصل الطفل إلى نهاية هذه المرحلة وتبدأ فترة البلوغ، إذ تحدث طفرة في النمو، فتتعدل النسب الجسمية لتصبح قريبة مما ستكون عليه في مرحلة الرشد، ويبلغ معدل زيادة الطول السنوي من ٤ إلى ٥٪، حيث يصل طول الذكور في سن التاسعة (١٢٦.٩) سنتيمترا تقريبا، بينما يبلغ طول الإناث في نفس السن حوالي (١٢٦.٤) سنتيمترا، وفي عمر عشرة أعوام يبلغ طول الذكور حوالي (١٣١.٣) سنتيمترا، بينما يبلغ الطول لدى الإناث (١٣٠.٧) سنتيمترا، وفي عمر الحادية عشر يبلغ طول الذكور حوالي (١٣٥.١) سنتيمترا، وبينما يبلغ عند الإناث حوالي (١٣٥.٦) سنتيمترا. ونلاحظ في هذه السنة من العمر تفوق الإناث على الذكور في الطول، وذلك نظرا لاقترابهن لسن البلوغ الذي تصل إليه الإناث على الأقل خلال عام أو عامين قبل الذكور، بعد هذه الفترة يعود الذكور ليتساووا مع الإناث في بدء مرحلة المراهقة ثم يتفوقون عليهن ويستمر هذا

التفوق بقية المراحل في الحياة (الهنداوي، علي فالح ٢٠٠٥:٢٤٨). إن هذه الزيادة المفاجئة في الطول التي حدثت في سن الحادية عشرة - وخاصة عند الإناث - يصاحبها زيادة في الوزن تتفوق فيه أيضا الإناث على الذكور ممن هم في نفس السن(عثمان، إبراهيم ٢٠٠٦:١٣٩).

وفي سن الثانية عشرة يبلغ طول الطفل الذكر حوالي ١٤٥سم، بنسبة ٨٦٪ من طوله النهائي، ويزن حوالي ٤٣ كيلوغرامًا، بينما يصل طول البنت في نفس السن حوالي ١٤٧ سم أي بنسبة ٩٣٪ تقريبا من طولها النهائي، وتزن حوالي ٤٥ كغرام. ويعزى تفوق البنت في الطول والوزن نسبة إلى الولد، إلى البلوغ المبكر للبنت مقارنة بالولد. ويستمر هذا التفوق للبنات على الذكور في الطول والوزن حتى سن الرابعة عشرة تقريبا، ثم يعود الأولاد مرة ثانية ليتفقوا على البنات في الطول والوزن (الزعبي، أحمد محمد ٢٠٠٧:١٣٢) .

وإن أظهرت بداية هذه المرحلة زيادة النشاط الحركي عند الطفل، إلا أن ذلك يحدث بغير عشوائية أو إفراط، فإن طفل هذه المرحلة تتهذب حركاته، ويقل مستوى التعب لديه، كما تنمو قدرته على ضبط حركة العضلات ويكتسب قدرة على التآزر الحسي- الحركي، ونتيجة لهذه القدرات يتقن مهارات جديدة، يساعده على ذلك التحاقه بالمدرسة حيث يتعلم الكتابة والقراءة والرسم والرياضة وغيرها (المصري، سلمى ٢٠١٠:٢٠٤).

ولأن نمو المهارات العضلية يكون قد بدأ في سن الثامنة، فإن الحاسة العضلية تعتبر عاملا مهما من عوامل المهارة اليدوية والدقة العملية، لذلك فإن طفل الثانية عشرة يستطيع الكتابة لمدة طويلة، بالإضافة إلى إمكانية ممارسته أنواعا من الأنشطة التي تتطلب دقة الحركة كالرسم والعزف والأشغال اليدوية (نفس المرجع ونفس الصفحة).

ويتفوق النمو العضلي عند الذكور في سن الحادية عشرة عما هو عليه عند الإناث من نفس العمر، ولربما يعود ذلك لكثرة الحركات العنيفة التي يتصف بها عادة الذكور في هذه المرحلة والتي ربما تكون تعبيرهم عن الاعتزاز بالقدرات العضلية، بينما يعزى زيادة الوزن عند الإناث إلى تراكم الدهون في مناطق مختلفة من الجسم، حيث تشكل هذه السنة العمرية فترة حرجة تتميز بنمو الخلايا الدهنية وترسب الشحوم حول الحوض، ويجعل ذلك البنت هادئة في حركاتها، أكثر من أية فترة من حياتها (الهنداوي، علي فالح ٢٤٩:٢٠٠٥).

وفي هذه المرحلة يزداد نمو العظام بسبب ترسبات الأملاح المعدنية وخاصة الكالسيوم، ويتمتع الطفل في سن الحادية عشرة بعظام قوية لكنها أسهل للكسر عن عظام ابن السادسة من العمر، كما يتتابع ظهور الأسنان الدائمة، إذ يبلغ عددها عند الطفل من ١٤ إلى ١٦ (نفس المرجع ونفس الصفحة)، وهنا تكون الأسنان الثابتة للطفل قد اكتملت (الدسوقي، مجدي ١٢٦:٢٠٠٣)،

وعادة ما يتمتع أطفال هذه المرحلة بصحة جيدة مقارنة بالمراحل السابقة من العمر، فهم نادرا ما يتعرضون للأمراض، كما أنه يقاومون المرض بدرجة ملحوظة، وكلما كبر الطفل تقل إصابته بالأمراض عدا بعض الأمراض المعدية، ولكن بدرجة أقل مما يصاب به أطفال مرحلة الطفولة الوسطى (الهنداوي، علي فالح ٢٤٩:٢٠٠٥).

الخصائص العقلية- الطفولة المتأخرة

تمثل هذه المرحلة اتساع أفق مدارك الطفل، وفيها تزداد فرصة الاحتكاك بالعالم الخارجي، وتتضاعف المثيرات التي تستحوذ على اهتمامه، فتكسبه القدرة على التفاعل والاطلاع، حيث يجد ذلك له صدى على نموه الإدراكي، وأكثر ما يميز طفل هذه المرحلة هو قدرته على التفكير المنطقي في كل ما يواجهه من

مشكلات، إلا أن هذه المقدرة على التفكير المنطقي التي تظهر واضحة في هذه المرحلة لا تحدث فجأة، بل تكون قد بدأت في مراحل الطفولة السابقة ثم نمت تدريجيا مع تقدم العمر حتى تكتمل فصولها في نهاية الطفولة المتأخرة (المصري، سلمى ٢٠١٠:٢١١).

ولما لها من هذا التأثير الواضح على التفكير، فإن هذه المرحلة تمثل نقطة تحول في حياة الطفل الذهنية والاجتماعية (عبد الله، عادل ١٩٩١:٧٤)، ويصاحب ذلك نمو في الذكاء وتزداد القدرة على التركيز والانتباه، وعادة ما يعتمد تفكير طفل هذه المرحلة على الذاكرة البصرية، وكلما اقترب من سن المراهقة ضعف لديه التصور البصري لتحل محله الألفاظ والكلمات، ونتيجة للتقدم العقلي لديه ينتقل الطفل من حالة الوهم التي كانت تميزه في مراحل طفولته السابقة إلى الحالة الإبداعية وينشغل بالحياة الواقعية فيكون بمقدوره التمييز بين الوهم والواقع (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:٢٧٣). كما يصبح بإمكان الطفل في هذه المرحلة إجراء الحوار مع رفاقه، ومناقشتهم وربما إعطاء الأدلة والبراهين ليؤكد وجهة نظره(عبد الله، عادل ١٩٩١:٧٤).

وفي هذه المرحلة العمرية يستطيع الطفل قراءة وكتابة عدد مكون من ثلاثة أو أربعة أرقام، ويدرك أن الأعداد تعبر عن الكم ويعرف وحدات القياس المختلفة، وكذلك الرموز الرياضية (+، -، ×،÷) كما يستطيع أن يجمع ويطرح ويضرب ويقسم ثم تتطور قدراته إلى معرفة المفاهيم المتعلقة بالمساحة والحجم والكسور، كما يمكنه استيعاب المفاهيم الرياضية المجردة (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:٢٧٢).

وبهذا الخصوص يذهب بياجيه إلى أن هذه المرحلة هي مرحلة العمليات العقلية المحسوسة (Concrete operation)، كما يراها بأنها « فعل داخلي يمكن أن

يعود إلى نقطة بدايته، كما يمكنه أن يندمج أو يتوحد مع غيره من الأفعال التي لها نفس الخاصية، هذه العمليات المحسوسة هي أحداث عقلية شديدة التعقيد، وتتمثل في العمليات الحسابية كالجمع والطرح والتصنيف أو الترتيب المتسلسل، إلخ. فكل هذه العمليات محسوسة ومرتبطة بخبرات الطفل(عبد الله، عادل ١٩٩١:٧٤).

ومن الأمور المهمة أيضا أن الطفل في هذه المرحلة يمتلك الوعي في التفريق بين الصح والخطأ، ويكون أكثر تمكنا من معرفة قواعد التحكم في سلوكه وخاصة عندما ينبه إلى الأخطاء التي يقوم بها ضد ذاته أو ضد الآخرين (صادق، آمال؛ وأبو حطب فؤاد ٢٠٠٨:٢٦٠).

الخصائص الانفعالية - الطفولة المتأخرة

بعد أن مر الطفل بالخبرات الانفعالية العديدة في المراحل السابقة، تأتي هذه المرحلة لتكشف ما يتميز به الطفل من ثبوت واستقرار انفعالي، لذلك عرفت هذه المرحلة على أنها «مرحلة الطفولة الهادئة». لكن يجب ألا يفهم ذلك على أن الطفل لا يفرح ولا يغضب ولا يعتدي على غيره ولا يبكي، وإنما في هذه المرحلة يستطيع الطفل إخفاء انفعالات معينة، وتختلف كذلك وسيلة التعبير عن هذه الانفعالات عن المرحل السابقة، وكأن هذه المرحلة تشكل مرحلة هضم وتمثيل للخبرات الانفعالية التي مر بها الطفل في مراحله السابقة، وفي نفس الوقت هي بمثابة إعداد أو إرهاص للنشاط الانفعالي العنيف الذي سيأخذ مجراه في نفسية الطفل في المرحلة التالية، فمرحلة الطفولة المتأخرة مرحلة الانتقال بين مرحلتي الطفولة السابقة والمراهقة، وكلتا المرحلتين تتميزان بعنف الانفعال وقوته، مما يميز النشاط الانفعالي لهذه المرحلة بالهدوء النسبي، حيث يحاول الطفل كسب السيطرة على نفسه، فهو لا يسمح لانفعالاته أن تفلت منه، وحتى إذا غضب فإنه

لن يعتدي على مثير الغضب اعتداء ماديًا، بل غالبًا ما يكون اعتداء لفظيًا، وبصورة سباب أو تهكم أو مقاطعة وما شابه ذلك . كما يتصف طفل هذه المرحلة بالميل للمرح، ويحب النكت اللطيفة، ويتوق للشعور بالأمن والطمأنينة، ويحب النجاح فيما يقوم به من مهام، كما يسعده أن ينال تقدير الآخرين له وخاصة الكبار الذين يتوقع منهم التشجيع في مختلف المناسبات، وأن يعطى شيئًا من المسؤولية حتى يجد فرصة لإثبات ذاته، ولذلك نجد الطفل في هذه المرحلة يبذل جهدا في كبح رغباته المتعارضة مع المجتمع الخارجي وفي تحديد أغراضه حتى تتضح للجميع، لينال رضا من هم حوله من الكبار والصغار، والطفل في هذه المرحلة يحب أن يسيطر على انفعالاته ليشعر من هم حوله بأنه أصبح كبيرًا وأنه تخلص من طفولته، وهنا يجب على الكبار مساعدته على تحقيق السيطرة على انفعالاته والتحكم في نفسه، خاصة وأن اللغة قد نمت لديه، وبواسطتها يمكنه التعبير عن جميع احتياجاته ورغباته، ويتخلص من انفعالاته الطفولية السابقة (الهنداوي، علي فاضل ٢٥٣: ٢٠٠٥).

ورغم تمثل النمو الانفعالي في هذه المرحلة لدى الطفل بغياب ثورات الغضب والغيرة التي اتسمت بها المرحلة السابقة وتميزها بسيطرته على الانفعالات والميل الواضح للهدوء الانفعالي دون أن يبلغ ذلك مرحلة النضج، فإن الطفل تستمر لديه قابلية للاستثارة الانفعالية كما تنتابه في بعض الأحيان مظاهر العناد والتحدي وكذلك الغيرة، وقد تبين أيضا أن طفل هذه المرحلة تساوره بعض المخاوف الواقعية، كالخوف من الفشل الدراسي والإحباط والخوف على مكانته الاجتماعية وتقبل الآخرين له (المصري، سلمى ٢٠٩:٢٠١٠).

ولذلك يصف علماء مدرسة التحليل النفسي مرحلة الطفولة المتأخرة بأنها «مرحلة الكمون»، حيث تتميز بالثبات والاستقرار الانفعالي، ويمكن أن يقال عنها

بأنها مرحلة إعداد للنشاط الانفعالي العنيف الذي يمهد لمرحلة المراهقة التي تلي مرحلة الطفولة المتأخرة، ويميل الابن في فترة من فترات هذه المرحلة إلى السيطرة على انفعالاته؛ لأنه لا يريد أن يبدو أمام الآخرين أنه مازال طفلا، ويتمنى أن ينجح في عمله لكي يقدر من حوله من الكبار هذا النجاح ويسعى لنيل بعض المسئوليات ويجعل ذلك فرصة لإثبات ذاته (سليم، مريم؛ وزيعور، علي ٢٠٠٤:٢٧٤).

لذلك طبقا لنظرية إريكسون فإن مرحلة الطفولة المتأخرة تسمى « مرحلة الاجتهاد مقابل الإحساس بالنقص» (Sense of Mastery vs. Inferiority)، ففيها يوجه الابن نشاطا متزايدا بهدف تحديد مكانته ويبذل كل جهد ممكن في الإنتاج والعمل خشية من أن يكون هذا الإنتاج وهذا العمل دون مستوى نظرائه الآخرين، وهكذا ينشأ الإحساس بالجهد مقابل الإحساس بالنقص (عبد المعطي، حسن ٢٠٠٤:٣٨).

لذلك يطلق أحياناً على هذه المرحلة اسم مرحلة «المدح والذم» ففيها يكون الطفل قد وعى لذاته، وتشكل لديه فهم كاف عن مقومات المجتمع، ونجده يتأثر بانفعالاته وسلوكه بما يلقاه من الوالدين والأسرة من مدح أو ذم، فهو مستقل جسميًا وحركيًا، وقطع شوطًا من الاختلاط في المدرسة، وله أصدقاء خارج الأسرة، وأصبح تعلقه بالأسرة جسميًا ونفسيًا لتحقيق ذاته، وطبيعي أن يصبح المدح والذم وسيلة معنوية لها أثرها في التحكم في انفعالاته وتكوين عاداته، خاصة أنه يسعي لإرضاء والديه، ويخشى غضبهم، فمدحه يشعره بالافتخار والزهو والرضا عن نفسه، والذم يؤدي به إلى الاحراج ويحاول أن يدافع عن نفسه، وقد يبتعد عن المنزل لفترة ويعود محاولا تقديم الاعتذار. وفي هذه المرحلة أيضا تنمو لدى الطفل الاتجاهات الوجدانية، وتقل مظاهر الثورة الخارجية، ويتعلم

كيف يتنازل عن رغباته العاجلة التي تغضب والديه، وإذا ما غضب فإنه يلجأ إلى المقاومة السلبية والتمتمة بألفاظ غير واضحة، وظهور تعبيرات الغضب على وجهه، ويعبر عن الغيرة بالوشاية على الشخص الذي يغار منه، وإذا ما واجه مواقف الإحباط فإنه قد يلجأ إلى أحلام اليقظة ويستغرق فيها، وينمو الأنا الأعلى والضمير (الهنداوي، علي فاضل ٢٥٤ : ٢٠٠٥).

الخصائص الاجتماعية – مرحلة الطفولة المتأخرة

تتبلور عملية التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة المتأخرة، ويزداد احتكاك الصغير بالكبار فيكتسب المزيد من الخبرة التي تتعلق بالقيم والمعايير والاتجاهات الديمقراطية والضمير ومعاني الخطأ والصواب والاهتمام بتقييم السلوك الخلقي، فيتابع الذكر ما يجري في وسط الشباب والرجال بينما تتابع الأنثى ما يدور في وسط الفتيات والنساء (زهران، حامد ٢٨٦: ٢٠٠٥).

ويتوحد الطفل مع «الدور الجنسي» Sex Role، أي تبني دور شخصية من نفس الجنس فيكتسب الذكر صفات الذكورة وتكتسب الأنثى صفات الأنوثة، وجدير بالذكر أن هذا التنميط الجنسي Sex-Typing يبدأ مبكرا في حياة الطفل وذلك بالتوحد مع شخصية الأب بالنسبة للابن أو مع شخصية الأم بالنسبة للبنت، ويتماشى مع ذلك اكتساب المعايير السلوكية والميول والاهتمامات ونوع الألعاب والنشاط العام، فيهتم الذكور بالنشاط التنافسي، مثل: الألعاب الرياضية وألعاب السيارات وركوب الدراجة، بينما تهتم الإناث بالحياكة والأشغال اليدوية والفنية وأعمال المنزل ورعاية الأطفال الأصغر منهن سنا(زهران، حامد ٢٨٧: ٢٠٠٥).

وفي بداية هذه الفترة يبدأ الطفل في التغلب ولو بشكل مؤقت على العقدة الأوديبية التي تحدثنا عنها في فصل سابق، فتبدأ علاقاته تقترب من المستوى

الواقعي من الاعتمادية، بالرغم من أن الاعتماد على الوالدين مازال أمـرا ضـروريا في هذه الفترة من العمر، فبينما كان الطفل في فترات سابقة أكثر مـيلا للتقـرب مـن والديه أصبح في هذه المرحلة يفضـل الانفصـال عـن حياتـه الأسـرية التـي تعـود عليها. وبعد أن كان يقتصر على اتخاذ والديه كممثلين للمجتمع الذي يعـيش فيـه، فإنه الآن يتجه ليتخذ غيرهما ليمثلـوا هـذا المجتمـع، فقـد أصـبح لـيس بمقـدور الوالدين توفير الوقت الكافي لتحقيق كل متطلبات الأبناء في هذه المرحلة العمرية، لذلك نرى أن دائرته تتسع لتشمل الكبـار فيـولي أصـدقاء والديـه ومعلميـه وآبـاء أصدقائه أهمية خاصة، كما يبحث عـن بـالغين آخـرين لتحقيـق ذاتـه معهـم(عبـد المعطي، حسن ٤٢: ٢٠٠٤).

ويرى حامد زهران أنه في هذه المرحلة يزداد تأثير جماعة الرفاق عـلى الصـغير، ويشـتد التفاعـل الاجتمـاعي بينـه وبيـنهم، ويسـود التعـاون والتنـافس والـولاء والتماسك، وكلما تزايد تأثير الجماعة تناقص تـأثير الوالـدين، وتتحـول الميـول والنشاطات الطفوليـة إلى الشـعور بالاسـتقلال والميـل إلى الخصوصـية والتفـرد (زهران، حامد ٢٨٦: ٢٠٠٥).

ويمثل الأصدقاء أهمية خاصة لدى الطفل فهم يشـكلون المعيـار الـذي يقـيس عليه نجاحه أو فشله، كما يجد الطفـل في الـبعض مـنهم مصـدرا لتحقيـق الـذات خارج الأسرة، ومن جهة أخرى، ورغم كل ذلـك ورغـم رغبـة الابـن في التعـاون والمشاركة مع أقرانه، فإنه يحاول التميز عنهم في كل النشـاطات مثـل: الإجابـات في الفصل والنشاطات الرياضية وغيرها (عبد المعطي، حسن ٤١: ٢٠٠٤).

وفي هذه المرحلة أيضا تظهر عند الطفل بعض علامات الزعامة، التـي يحـاول إبرازها من خلال جماعات الرفاق ويكون التفاعـل الاجتمـاعي مـع الأقـران عـلى درجة عالية من الشدة ويشعر الطفل بفرديته، وفردية غيره مـن النـاس، إلى جانـب

ازدياد شعوره بالمسئولية والقدرة على الضبط الذاتي للسلوك، ومن ثم يتحول السلوك الطفلي من سلوك اتكالي يعتمد على الغير إلى سلوك استقلالي يتميز بالحرية والمبادأة، ويلاحظ في هذه المرحلة أيضا أن الطفل يبدأ عملية التنميط الجنسي، ويقصد به تبني الدور الجنسي الذي يجعله يتوحد مع شخصية نفس الجنس، واكتساب صفات الذكورة بالنسبة للأولاد والأنوثة بالنسبة للبنات – ويتضمن هذا التنميط اكتساب المعايير السلوكية والميول والاهتمامات ونوع الألعاب والنشاط العام. فمثلا نجد الأولاد يتجهون إلى أن يصبحوا أكثر خشونة واستقلالا ومنافسة من البنات اللاتي يتجهن إلى أن يصبحن أكثر رقة وشفقة وتعاونا من الأولاد (صبحي، سيد ١٩٨٦:٦١).

وفي هذه المرحلة يحتاج الأطفال إلى أن يتقبلوا ذواتهم وأن ينموا لديهم مفهوم الذات الإيجابي، وكذلك تنمية احترام الذات، وعلى الأهل والمربين أن يعوا الدور الكبير والخطير في نمو مفهوم الذات لدى الطفل، وذلك بالحرص على إعطاء خبرات مناسبة وملائمة للنمو السوي للذات، إذ إن تنمية مفهوم صحي للذات يحتاج إلى إشباع الاحتياجات الأساسية للأطفال (المطوع، روضة ١٩٩٨:٦٦).





الفصل الثامن

تطور نمو مرحلة المراهقة
Adolescence



تتوسط المراهقة فترتي الطفولة وسن الرشد، متصاحبة مع تغيرات أساسية واضطرابات شديدة تشمل جميع جوانب النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي للمراهق، فتى كان أو فتاة، وينتج عن هذه التغيرات مشكلات كثيرة تستلزم اهتمام الكبار المحيطين بالمراهق سواء الأبوين أو المدرسين أو غيرهم من الذين لهم صلة به، وبتوجيهات المحيطين وإرشاداتهم يمكن التغلب على هذه المشكلات، وبذلك يمكن أن يسير نمو المراهق في طريقه الطبيعي(محمود، إبراهيم وجيه ١٩٨١:١٥).

ويذهب خالد العلمان إلى أن مصطلح المراهقة في علم النفس يشير بصفة عامة إلى المرحلة التي ينتقل فيها الإنسان من الطفولة إلى الرشد، أي الانتقال من الاتكالية إلى الاعتماد على الذات، ويرى أنها في معناها هذا لا تختلف عن التعريف الشرعي لها حيث انتقال الكائن من الطفولة (وهي المرحلة التي لا يكلف فيها الإنسان) إلى الرشد (وهي فترة البلوغ حيث اكتمال العقل والتي فيها يكلف الإنسان ويسأل عن تصرفاته وأفعاله) (٢٠٠٦:٣٥).

بينما يرى الدكتور حامد زهران أن المراهقة هي مرحلة تأهب لمرحلة الرشد، وتمتد في العقد الثاني من حياة الفرد، أي من الثالثة عشرة إلى التاسعة عشرة تقريبا أو قبل ذلك بعام أو عامين أو بعد ذلك بعام أو عامين، ويمكن القول بأنه من السهل تحديد بداية المراهقة ولكن يصعب تحديد نهايتها؛ لأنها تبدأ بالبلوغ الجنسي بينما نهايتها تتحدد بالوصول إلى النضج في مظاهر النمو المختلفة (١٩٩٩:٣٢٣).

ويرى مجدي الدسوقي أن مرحلة المراهقة تمتد من نهاية الطفولة المبكرة إلى بداية مرحلة الرشد، وهي بمثابة أرض محايدة يكون فيها المراهق ليس هو بالطفل وليس هو بالراشد، بمعنى أن الطفل ربما يعرف ما يقوم به من تصرفات وأفعال

كما يعرف ما لا يستطيع القيام به في هذه الناحية، وفي كل الأحوال ما يأتي به من سلوك وتصرفات يتم تقييمه وفق القيم والمعايير المقننة والمتعارف عليها لدى الكبار، وكذلك الراشد فإنه والمحيطين به يفهمون الدور الذي يجب أن يقوم به، بينما يجد المراهق نفسه في وضع غامض مبهم فيصعب عليه تحديد ماهية الأدوار التي يفترض القيام بها أو الأفعال التي يجب أن يتخذها تجاه ما يمر به من مواقف، وقد يلقى ردود فعل متعارضة ومتناقضة من الآخرين نتيجة أفعاله وتصرفاته، فيكون عرضة للضغوط الاجتماعية أو صراع يؤدي إلى التذبذب وإلى الحساسية الزائدة فيمر نتيجة ذلك بفترة من عدم الاتزان (١٤٦:٢٠٠٣).

وتنقسم فترة المراهقة إلى ثلاث مراحل: المراهقة المبكرة والمراهقة المتوسطة والمراهقة المتأخرة، ومن الملاحظ أن هذه المراحل تتداخل خصائصها فيما بينها وتتشابه، وكذلك توجد بعض الملامح بين بعض خصائص الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة، وفيما يلي أهم خصائص كل مرحلة:

أولا: المراهقة المبكرة Early Adolescence

تتزامن هذه الفترة مع المرحلة الإعدادية وتمتد تقريبا من نهاية سن الثانية عشرة حتى نهاية سن الرابعة عشرة، وفيها يبدأ التحول في سلوك الأبناء فيكون أكثر نضجا عن الفترة السابقة (زهران، حامد ٣٦٤: ٢٠٠٥).

وعن هذا التحول يقول كل من لورانس فرانس وماري فرانك(١٩٦٩):

« إن العالم في أنظار أولاد وبنات مرحلة ما قبل المراهقة هو خليط من الحلم والواقع، فهم مخترعون وأبطال، وهن فنانات وملكات جميلات، ولكن الأولاد والبنات هنا ما يزالون أطفالا، إذ إنهم بحاجة إلى الحماية التي تحتاج إليها الطفولة مهما بدوا مستقلين عن غيرهم من الناحية الظاهرية، ولكن حالما يتقدمون نحو المراهقة فإنهم يقفون على معرفة جديدة وواسعة النطاق، كما أنهم أخذوا في

اكتشاف أنفسهم لأول مرة، وهذا يكون مثيرا بشكل واضح بالنسبة للأولاد والبنات، فهم يشاهدون عالما جديدا يدعوهم إليه، ولكنه لا يهددهم كما سيحدث بعد وقت قصير من تلك الفترة» (ص ٩٨).

وتبدأ في هذه المرحلة ظهور الملامح الجسمية والفسيولوجية والعقلية والانفعالية المميزة للمراهق.

النمو الجسمي والفسيولوجي- المراهقة المبكرة

تتصف مرحلة المراهقة المبكرة بطفرة في النمو الجسمي من حيث الطول والوزن، في الأجهزة الخارجية والداخلية للجسم، وقد تبدأ هذه الطفرة عند الأسوياء من الأولاد في مرحلة الطفولة المتأخرة، وقد تتأخر حتى سن السادسة عشرة، وقد تبدأ عند البعض في حوالي سن الرابعة عشرة لتمتد إلى سن الخامسة عشرة، أي بداية مرحلة المراهقة المتوسطة، حسب التقسيم المتبع في هذا الكتاب، وقد يستمر النمو البطيء إلى سن العشرين، أما بالنسبة للبنات فقد تبدأ طفرة النمو في سن الثامنة وقد تتأخر إلى سن الحادية عشرة، بمعنى أنها تحدث في المرحلة السابقة على مرحلة المراهقة المبكرة.

وهنا نلاحظ وجود تداخل بين مرحلتي الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة(الهنداوي، علي فالح ٢٩٦:٢٠٠٥).

في هذه المرحلة تبدأ التغيرات الفسيولوجية، وفيها تتغير وظائف كل جهاز من أجهزة الجسم، فيزداد معدل النمو الجسمي وخاصة في الطول، وكذلك في الوزن وفي طول الذراعين والساقين واتساع الكتفين والقدمين وتضخم بعض أجزاء الجسم الأخرى وخاصة صدر الفتاة، ويرتبط بالتغيرات الفسيولوجية أيضا نشاط الغدد المختلفة كالغدد الدهنية والعرقية وغيرها، فيؤدي ازدياد إفراز الغدة الدهنية إلى سد المسام في الوجه حيث تزداد درجة الدهون فيه ثم ظهور حب الشباب (محمود، إبراهيم وجيه ٢٩: ١٩٨١).

وعادة ما تكون هذه التغيرات الفسيولوجية مسبوقة بحدوث البلوغ Puberty وأهم ما فيه هو نضج الغدد الجنسية وقيامها بالوظيفة الطبيعية كإفراز الحيوانات المنوية عند الفتى والبويضات عند الفتاة، وما يصاحب ذلك من تغيرات أخرى، كظهور الشعر في أجزاء مختلفة من الجسم مع وجود فروق فردية سواء كانت تحدث بالنسبة للنوع الواحد (ذكور أو إناث) أو بين النوعين(ذكور وإناث). وعادة ما تبدأ سرعة الزيادة في النمو قبل البلوغ ويستمر مدة عامين أو ثلاثة ثم يبطئ بعد ذلك ليتوقف تماما ما بين الثامنة عشرة والحادية والعشرين، ويكون المراهق في هذه الفترة عرضة لاعتلال الصحة بسبب النمو السريع وما يصاحبه من تغيرات داخلية، ويتمثل ذلك في مرض الأنيميا والإحساس بالخمول والإجهاد ونقص الطاقة (زهران، حامد ٣٤٦ : ٢٠٠٥؛ محمود، إبراهيم وجيه ٢٨-٢٧: ١٩٨١).

ويشعر المراهق بالتعب بعد أقل مجهود، فمثلا عند صعوده للسلم يزداد خفقان قلبه وتتسارع أنفاسه ويكون بطيء الحركة، وهو في هذه المرحلة يختلف عما كان عليه وهو طفل حيث كان نموه يسير ببطء واعتدال، فوقتها كان نشطا لا يمل ولا يتعب من طول فترة اللعب (محمود، إبراهيم وجيه ٢٧: ١٩٨١).

النمو العقلي – المراهقة المبكرة

في الواقع نجد أن معدل زيادة النمو العقلي خلال سنوات الطفولة يكون غير ثابت، حيث تكون نسبة الزيادة متسارعة خلال الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل، ثم تأخذ في الإبطاء تدريجيا، وفي مرحلة المراهقة يكتمل التكوين العقلي للفرد فتظهر قدراته الخاصة، وينمو الذكاء (القدرة العقلية العامة) نموا مضطردا، ثم يقف هذا النمو عند سن معينة خلال مرحلة المراهقة (الدسوقي، مجدي محمد ١٧٣: ٢٠٠٣).

فبداية هذه المرحلة المراهقة التي تمتاز باضطراد نمو الذكاء وزيادة القدرات العقلية، يصبح المراهق فيها أكثر دقة في التعبير، كما تزداد سرعة التحصيل وينمو الانتباه والتذكر، كما ينمو التفكير المجرد فتزداد القدرة على الاستدلال والاستنتاج والحكم على الأشياء وحل المشكلات، وتنمو المفاهيم المعنوية مثل الخير والفضيلة والعدالة، كما يكون المراهق أكثر إدراكا لمفهوم الزمن خاصة المستقبل والتخطيط له وتصوره لما يمكن أن يحدث فيه (زهران، حامد ٣٦٢: ٢٠٠٥).

كذلك تزداد في هذه المرحلة درجة انتباه المراهق وعدد مثيراته، والتي تؤدي بدورها إلى تزايد القدرة على التذكر وبالتالي التعلم، ويكون تذكره قائمًا على الفهم، ويتحول تخيله من الخيال القائم على معالجة صور الأشياء إلى الخيال القائم على معالجة مفاهيم الفرد عن الأشياء، أي أنه أصبح في مرحلة التفكير المجرد التي قال بها بياجيه، ولذلك يسهل على الطالب في هذه المرحلة دراسة المواد الأكثر تعقيدًا والتي تشتمل على موضوعات مجردة مثل الجبر ونظريات الهندسة والتصور التاريخي للأحداث والأفكار النظرية، وتأخذ هذه القدرات الخاصة في الاستمرار في تزايد نموها خلال هذه الفترة، ومن هذه القدرات: القدرات اللغوية والعددية والمكانية والميكانيكية والموسيقية والرسم والنحت وغيرها (الهنداوي، علي فالح ٢٩٧: ٢٠٠٥).

كما تتميز مرحلة المراهقة المبكرة بازدياد مقدرة المراهق على التحصيل، فتتعزز هوايته للمطالعة وتدور حول موضوعات تسلية، وتلك التي تتفق مع ميوله الخاصة ورغباته، كذلك يميل إلى مطالعة الكتب التي تتعلق بأمور الشباب ومشكلاتهم، كما يهتم المراهق في هذه المرحلة بالفكاهة، وقد يتجه البعض لدراسة الكتب العلمية التي تتناول موضوعات أكثر عمقًا، والكتب التي تتناول

موضوعات فلسفية أو أخلاقية أو دينية، أما فيما يتعلق بمقدرة المراهق على التذكر، فإن ذلك يكون مصحوبا بالاستيعاب، لذلك فهو لا يحتاج إلى بذل جهد كبير للحفظ؛ لأن هذه المرحلة هي أفضل مرحلة للتذكر والحفظ، ويتأثر تذكره بنوع الموضوع الذي يتناوله، فهو يميل إلى الموضوعات التي يستمتع بتذكرها، ويتجنب تذكر مواد لا يرغب بها، ولذلك فهو يتأثر بخبراته وانفعالاته ونوع المواقف موضوع التذكر (الهنداوي، علي فالح ٢٠٠٥:٢٩٧).

ويتسم تفكير المراهق في هذه المرحلة بقدرته على التجريد والاستدلال والاستنتاج والتحليل والتركيب، كما تزداد قدرته على الفهم ونمو تفكير الابتكار والتفكير المجرد، ويتجه تفكيره نحو التعميم وفهم الأفكار العامة، ويدرك الاتجاهات المعنوية مثل مفاهيم الخير والشر والجمال والقبح والعدالة والظلم، وتزداد قدرته على فرض الفروض لحل المشكلات، واتباع نسق معين في التفكير يقوم على المنطق للوصول إلى ذلك الحل، وتظهر الفروق الفردية في النمو العقلي واضحة وصريحة، وتعتبر هذه المرحلة مرحلة الإرشاد التربوي المهني، ويعتبر المستوى العقلي للمراهق عاملا مهما في الإرشاد التربوي (الهنداوي، علي فالح ٢٠٠٥:٢٩٨).

ومن الأمور العقلية أيضا التي تكون أكثر وضوحا في حياة المراهق في هذه الفترة قدرة المراهق على التخيل، والتي تتسم بها فترة المراهقة عموما، ويتجلى ذلك بوضوح في أحلام اليقظة التي تكون بمثابة متنفس للواقع الذي يعيشه المراهق، فيلجأ إلى هذا العالم ليرضي نزعاته الجنسية والاجتماعية، أو أن يحلم بتحقيق نوع من البطولة أو الزعامة التي تراود خياله، ولا يستطيع تحقيقها في الواقع، فيلجأ إلى أحلام اليقظة التي لا تصادفه فيها عقبات أو مشكلات (الدسوقي، مجدي محمد ٢٠٠٣:١٧٤).

النمو الانفعالي- المراهقة المبكرة

تتميز هذه الفترة بتعدد مظاهر النمو الانفعالي وتتضح فيها الفروق بين الأفراد وبين الجنسين، وتكون الانفعالات عنيفة وتتصف بالتهور التي لا تتناسب مع مسبباتها وقد لا يستطيع المراهق التحكم فيها، ويكون المراهق متذبذبا انفعاليا فيتقلب بين سلوك الأطفال وتصرفات الكبار، ويكون عرضة للتناقض الانفعالي فيشعر بازدواجية المشاعر لشخص ما أو لأمر ما أو موقف من المواقف، ويظهر التناقض الانفعالي في التذبذب بين الحب والكره والشجاعة والخوف أو التذبذب بين الانشراح والاكتئاب وبين التدين والإلحاد وبين الانعزالية والاجتماعية وبين الحماس واللامبالاة (زهران، حامد ٣٦٤: ٢٠٠٥).

ويقول الدكتور بنيامين سبوك: إن المراهقين في هذه الفترة يحاولون الابتعاد عن والديهم رغبة لتأكيد ذاتهم، مما يؤدي إلى إحساسهم بالوحدة، ولمعالجة هذا الإحساس يلجئون إلى بناء علاقات متينة مع مراهقين من نفس جنسهم، وهذه العلاقات الحميمة تساعد المراهقين الصغار خاصة الفتيات على التخلي عن التوحد مع شخصية والديها، والعثور على شخصيتها المستقلة، وفي علاقته مع صديقه يشعر المراهق بالاطمئنان والبهجة عندما يكتشف كل منهما في الآخر أن ميولهما تتفق كرها أو حبا تجاه شخص معين أو حب أغنية معينة مثلا أو أنهما يتمنيان أن يقتني كل منهما نفس النوع لقطعة ملابس معينة، في حالات كهذه يجد كل منهما في الآخر تعويضا لما يعتقد أنه فقده من انتماء نتيجة ما كان ينتابهما من إحساس بالوحدة والغربة (٢٠٠٨:٢٠٤).

وفي بداية هذه المرحلة قد يلاحظ على المراهق التردد نتيجة نقص الثقة بالنفس كما ينتابه إحساس بالذنب والخطيئة نتيجة مشاعره الجديدة خاصة ما يتعلق منها بالجنس، ويكون خياله خصبا ويستغرق في حلم اليقظة، والتي تنقله من عالم الواقع

إلى عالم غير واقعي، ونادرا ما تخلو المراهقة من أحلام اليقظة (زهران، حامد ٣٦٤ - ٣٦٦: ٢٠٠٥).

وفي سن الثانية عشرة يستعيد المراهق اكتشاف ذاته بعد أن فقدها تقريبا في ولاءاته الأسرية والمدرسية ومع الرفاق وخلال الأدوار الاجتماعية المتتالية التي تعلمها في مرحلة سابقة، ويواجه المراهق في هذه المرحلة العمرية الازدواجية في المعاملة، فمرة يعامل كطفل، لكونه من قريب جدا كان في طور الطفولة، ومرة أخرى يعامل كمراهق أصبحت له مطالب مختلفة وشخصية مغايرة، فيكون عرضة نتيجة ذلك للاضطرابات السلوكية والانفعالية، ويميل للتمرد، وتتوقف صورة المراهق لذاته على مدى تقبل أو رفض الآخرين له، وتلح عليه الحاجات الجنسية فيضطرب وجدانيا، وقد يلجأ إلى أحلام اليقظة كمتنفس له لهذه المشكلة، وفي أحسن الظروف قد يتصرف بإيجابية، فيمعن التفكير في حاضره وما يمكن أن يكون عليه مستقبله، فيفكر في مهنة يقوم بها أو دراسة يشغل بها نفسه، وفي بعض الحالات قد يدفعه الشعور بالانفعال لما قد يواجهه من مآزق فكرية إلى الانخراط في التدين ، وبدخوله في هذه الخبرات الجديدة والمختلفة تماما عما عهدها من خبرات الطفولة سابقا يتعدل سلوكه، وبالتالي ينشأ تعديل مستمر لصورته عن ذاته ومستويات طموحاته، ويؤثر هذا الوضع عليه في مراحل عمرية لاحقة، ووقتها ربما يحكمه مبدأ الواقع reality principle فيفكر كشاب أن تكون له أهداف يخطط لها ويعمل على تحقيقها، ويزيد وعيه بنفسه وبما حوله وتتكون له الذات العارفة self– knowing نتيجة هذا التراكم للخبرات الشعورية لنفسه والآخرين واستخلاصه للقيم واكتشافه للمعاني الأخلاقية والمثل (الحفني، عبد المنعم ٤٨٦:٢٠٠٣-١-).

وتنتاب المراهق في هذه المرحلة أحيانا عدم الرغبة في العمل، وتظهر العصبية

والقلق والصداع عند البعض، وأحيانا يكون المرض من الحيل الدفاعية للهروب من المسئوليات، وقد يكون سببه عدم الاستقرار والقلق لأسباب تتعلق بالفشل العاطفي أو المشكلات الأسرية أو مشكلات في المدرسة (زهران، حامد : ٣٥٨- ٢٠٠٥).

النمو الاجتماعي- المراهقة المبكرة

يعد ميل الفرد إلى الاجتماع إحدى الخصائص البشرية التي تميزهم عن غيرهم من الكائنات والتي تستمر أثناء مراحل الحياة وتنمو وتتطور مع التقدم في العمر، فعملية السلوك الاجتماعي عند الفرد مستمرة ومتطورة وعلى ما يكتسبه من خبرات اجتماعية في بدء حياته وما لها من تأثيرات على اتجاهاته، ويعتمد مدى نجاح المراهق في التوافق مع المواقف الاجتماعية الجديدة، فكلما كانت البيئة الاجتماعية التي يعيش المراهق في وسطها أكثر فعالية، وكانت صحية، أدى ذلك إلى علاقات اجتماعية سوية، وكلما كانت هذه البيئة عكس ذلك كلما أدت إلى شعور المراهق بالعزلة والإحساس بالضيق والألم النفسي والقلق والخوف، وغير ذلك من انفعالات سلبية والتي من شأنها أن تترك أثرا على نشاطه العقلي، من حيث إنها تضعف قدراته الفكرية وتعوق تفتحها وازدهارها، ومن هنا تأتي أهمية العلاقات الاجتماعية بالنسبة للمراهق في هذه المرحلة لتؤثر في سلوكه بشكل عام (الزعبي، أحمد محمد ٢٠٠٧:٢٦٣).

ويعتبر تحقيق التكيف الاجتماعي من أهم مطالب النمو في مرحلة المراهقة المبكرة، وبقدر ما يكون المراهق قد نال من مقومات هذا التكيف خلال أطوار طفولته، بقدر ما يتمتع بتكيف ناجح كلما واجهته مطالب اجتماعية جديدة، بينما يؤدي الفشل في تحقيق هذه المطالب عند بعض المراهقين إلى النكوص، وعودتهم إلى صور العلاقات الاجتماعية التي كانوا عليها عندما كانوا في مرحلة الطفولة، أو

قد يلجئون إلى صور تعويضية من السلوك بدلا من السلوك الاجتماعي المعتاد، ومن أكثر صور التوافق صعوبة وأكثرها أهمية لدى المراهق الصغير ما يجب عليه أن يفعله إزاء المؤثرات المتزايدة لجماعة الأقران، أو جماعات اجتماعية أخرى قد تستدعيها الحاجة في هذه المرحلة، وكذلك إزاء ما استجد عليه من أنماط للسلوك في هذه المرحلة.

وكلما اقترب عمر الابن من فترة المراهقة ازداد اقترابه من جماعة الأقران وابتعاده عن الأسرة، حيث تتيح له الظروف أن يقضي مع جماعة الأقران وقتا أكثر من تلك المدة التي يقضيها مع أسرته، وهذا يعني إمكانية تفوق تأثيرات هذه الجماعة على سلوك المراهق وقيمه وتوجهاته أكبر من تأثيرات أسرته عليه، ولكن يمكن القول بأن قدرة هذه التأثيرات لكل من الأهل والرفاق على المراهق تعتمد على قناعته هو أولا بأنه إلى أي حد يكون لكل من هذه التأثيرات أهمية في توجيه سلوكه، ومثال على ذلك أنه عندما يكون المراهق أمام مشكلات تتعلق بالحياة العامة فإنه يلجأ لأسرته، ولكنه إزاء المشكلات المرتبطة بالمواقف الراهنة والخاصة فإنه يلجأ إلى الرفاق (صادق، آمال؛ وأبو حطب، فؤاد ٢٠١٢:٣١٠).

ونتيجة للنمو الاجتماعي أيضا يكون بمقدور المراهق الصغير اكتساب الصفات المرغوبة وتجنب غير المرغوب منها، هذا إلى جانب اكتساب القيم والمعايير الاجتماعية من الأشخاص المقربين منهم مثل الوالدين والمعلمين والرفاق ومن ثقافة المجتمع وهكذا، ويؤدي انتقال الأبناء من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الإعدادية إلى مزيد من الثقة بأنفسهم والشعور بالأهمية وتوسيع الأفق والنشاط الاجتماعي، ويظهر حينئذ الاهتمام بالمظهر الشخصي والنزعة إلى الاستقلال والاعتماد على النفس (زهران، حامد ٢٠٠٥:٣٦٩).

ثانيا : المراهقة الوسطى Middle Adolescence

تتزامن هذه الفترة مع المرحلة الدراسية الثانوية، ويزداد فيها الشعور بالنضج والاستقلال، وتمتد من نهاية سن الرابعة عشرة حتى نهاية سن السابعة عشرة، وتعتبر قلب المراهقة، ومن أبرز ما تتميز به هذه المرحلة هو استيقاظ إحساس الفرد بذاته وكيانه وظهور القدرات الخاصة لديه، وفيما يلي أهم الخصائص التي يمر بها الفرد في هذه المرحلة:

النمو الجسمي والفسيولوجي – المراهقة الوسطى

في هذه المرحلة يزداد الطول والوزن لدى الجنسين، وكذلك تزداد حواس اللمس والذوق والسمع دقة وإرهافا، وتتحسن الحالة الصحية ويزداد الطول عند الذكور بدرجة أوضح حيث يلحقون بالإناث ويتجاوزونهن، وفي نهاية هذه المرحلة تصل الإناث لأقصى مستوى الطول بينما تستمر زيادة الطول عند الذكور حتى سن السابعة عشرة والثامنة عشرة (زهران،حامد ٢٨٢ :٢٠٠٥).

وتتميز مرحلة المراهقة المتوسطة بتباطؤ سرعة النمو الجسمي نسبيا عن المرحلة السابقة، كما تطرأ زيادة في طول العظام، ويتغير شكلها وتركيبها، وتتحول إلى مادة عظمية صلبة، ويتم التعظيم عند البنات في سن ١٧، بينما يتأخر ذلك عند البنين بحوالي عامين، وتنمو الأسنان في هذه المرحلة، ويبلغ عددها ٢٦ سنا من المجموع الكلي للأسنان البالغ ٣٢ سنا، ويبدأ ظهور أسنان العقل عند البنات في حوالي عمر ١٧ عاما، ويتأخر البنون بعد ذلك، كما تبدو التغيرات في وجه المراهق على شكل عدم تناسق في أقسامه، مثلا الأنف قد يبدو كبيرا ولا يتناسب مع مساحة الوجه، ويصبح الفم أكبر مما كان عليه في المرحلة السابقة، وينمو الفك العلوي أسرع من الفك السفلي مما قد يؤثر على حركة الفم، وقد تظهر بثور على الوجه نتيجة زيادة الدهن في الدم، وقد تترك تلك البثور بعض التشوهات.

يستمر نمو القلب والشرايين، وتفوق قدرة القلب على ضخ الدم سعة الشرايين مما يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم بحيث يصل إلى حوالي ١١٠ ملليمترات عند الذكور والإناث، وهذا الارتفاع في ضغط الدم يؤدي إلى شعور المراهق بالصداع والإعياء والتوتر والقلق، ويصل أحيانا إلى درجة الإغماء.

كما تحدث تغييرات في المعدة والأمعاء إذ تزداد طولا واتساعا، مما يؤدي إلى زيادة الإقبال على الطعام ويستمر في هذه المرحلة نمو الألياف العصبية التي تزداد طولا (الهنداوي، علي فالح٣٢٥-٣٢٨ : ٢٠٠٥).

النمو العقلي - المراهقة الوسطى

يصل المراهق في هذه المرحلة إلى أعلى درجات القدرات العقلية، ولكن نتيجة لعدم توفر الخبرة الكافية تقل المعرفة لديه ولا يستطيع استخدام ما يملك من قدرات عقلية في تحقيق ما يمكن أن يقوم به (عثمان، إبراهيم ١٦٤:٢٠٠٦). وتشمل القدرات العقلية، الجوانب اللفظية والميكانيكية والسرعة الإدراكية، وفي هذه المرحلة أيضا يظهر الابتكار Creativity فيكون أكثر وضوحا لدى المراهقين الذين يتمتعون بنوع من الاستقلال، أما سرعة نمو الذكاء فتتباطأ في هذه المرحلة حتى تصل إلى درجة الاكتمال (زهران، حامد ٣٨٧: ٢٠٠٥).

وقد أثبتت الكثير من الدراسات أن الذكاء العام يتناقص في سرعته فيما بين (١٤-١٧) عاما؛ إذ إن نموه يكون سريعا في مرحلة الطفولة، ثم يبطئ كلما تقدم الإنسان في مراحل المراهقة ليثبت في أواخرها ويحافظ على استقراره حتى بداية الشيخوخة.

وتبدأ القدرات الخاصة بالظهور بوضوح وتمايز في مرحلة المراهقة المتوسطة، أي في حوالي سن ١٦ عاما من العمر، ولهذا تعتبر هذه المرحلة مرحلة توجيه مهني أو دراسي، وأهم القدرات التي تنمو في هذه المرحلة هي : القدرات العددية

والحفظ والقدرة المكانية واليدوية والفنية وغيرها، وامتلاك هـذه القـدرات يعبـر عن استعداد يؤهل المراهق للتكيف مع الحياة.

وكما هو الحال بالنسبة للمرحلة السابقة ينمو لدى المراهـق في هـذه المرحلـة خيال خصب يعينه على التفكير المجرد، ويتجلى خياله في لجوئه إلى أحـلام اليقظـة التي يجد فيها متنفسا وإشـباعا لرغباتـه، كمـا يميـل المراهـق إلى حـب المناقشـة والجدل وكأنه يريد أن يكون لنفسه مبادئ عن الحياة والمجتمع، ويظـل مخلصـا لفلسفته التي يتبناها أو يوجدها لنفسه ويعتقد بها ويعتنقها (الهنـداوي، عـلي فـالح ٣٢٨- ٣٢٩: ٢٠٠٥).

النمو الانفعالي - المراهقة الوسطى

أما بالنسبة للنمو الانفعالي في هذه المرحلة فله تأثير على جميع مظاهر النمـو وفي كل جوانب الشخصية، وتكون درجتـه قويـة يشـوبها الحمـاس، وتتطـور مشـاعر الحب فيميل المراهق نحو الجنس الآخر، كما تظهـر عليـه الحساسـية الانفعاليـة بحيث لا يستطيع المراهق غالبا التحكم في المظاهر الخارجية لحالتـه الانفعاليـة، وغالبا ما يكون ذلك نتيجة عدم تحقيق التوافق مـع البيئـة المحيطـة بـه كالأسـرة والمدرسة والمجتمع، فيرفض تدخل الآخرين في شؤونه ويعتبر ذلك اعتداء عـلى استقلاليته وتقليلا من شأنه، وكما هو الحـال في المرحلـة السـابقة، تسـتمر ثنائيـة المشاعر أو التناقض الوجداني Ambivalence في هذه المرحلـة فتجعـل المراهـق يشعر بالتمزق بين الإعجاب والكراهية وبين الانجذاب والنفور بالنسبة للشيء أو الموقف نفسه (زهران، حامد ٣٩٤:٢٠٠٥).

ومن الأمور الخطيرة في هذه المرحلة أن يكون بعض المراهقين عرضة لليـأس والاكتئاب والقنوط والانطواء والحـزن والآلام النفسـية وذلـك نتيجـة للإحبـاط الذي قد يواجهونه ونتيجة للصراع بين رغبات المراهق أو الاعتـداد بنفسـه وبـين

تقاليد المجتمع ومعاييره وأهمية خضوعه لما يمليه عليه الواقع الاجتماعي، وفي حالة وجود اتجاه أو ميل عصابي لدى المراهق، فإن الإحباط والصراع يكون سببا إلى السلوك العصابي بصفة عامة وإلى تفكك الشخصية أو الاضطراب العقلي كالفصام المبكر (زهران، حامد٣٩٤: ٢٠٠٥).

وتلاحظ في هذه المرحلة مشاعر الغضب والثورة والتمرد نحو مصادر السلطة في الأسرة والمدرسة والمجتمع؛ خاصة تلك التي تحول بين المراهق وتطلعه إلى التحرر والاستقلال، ومن المعروف أن الغضب من أهم أعراض الحساسية الانفعالية، وأهم مثيرات الغضب هنا شعور المراهق بالظلم والحرمان وإساءة الاستغلال، وشعوره بأن الآخرين لا يفهمونه، أو قسوة الضغوط الاجتماعية عليه، أو كثرة المضايقات التي يتعرض لها من مراقبة سلوكه، وعدم تمكنه من تحقيق الاستقلال المنشود وجرح شعوره وكرامته، وكثرة الفشل والإحباط الذي يعتبر من أخطر الأسباب النفسية لاضطراب السلوك، ويستجيب المراهق للغضب ويعبر عن غضبه تعبيرا مباشرا في شكل مظاهر حركية متباينة ثائرة كالعدوان بالضرب والهجوم، ومظاهر لفظية كالصياح والوعيد والتهديد، وقد يخشى المراهق عواقب التعبير عن غضبه فيعبر عنه بطرق غير مباشرة كالخيال وأحلام اليقظة والعدوان الموجه إلى غير مثير الغضب (زهران، حامد ٣٩٥: ٢٠٠٥).

ويلاحظ أيضا الخوف في بعض المواقف عندما يتعرض المراهق للخطر حيث يستجيب لمواقف الخوف التي يدرك أنها تهدد مكانته الاجتماعية، وتوضح ردود أفعاله درجة من الاحتيال، ولكنه قد يعود إلى مستويات الطفولة إذا ما تعرض للضغط، وتتعدد طرق التعبير عن الانفعالية الشديدة لدى المراهقين، ومن هذه الطرق : العادات العصبية، والانفجارات الانفعالية، والعراك، والحيل الهروبية، وتقلب المزاج، واضطراب الشهية (زهران، حامد ٣٩٦: ٢٠٠٥).

النمو الاجتماعي- المراهقة الوسطى

يسعى الأبناء في هذه المرحلة إلى تأكيد ذواتهم، وذلك عن طريق تنمية الشعور بالتآخي والمودة فيحاولون مسايرة الجماعة، ويحاولون تحقيق الذات من خلال ثلاث جهات رئيسية:

- **البحث عن نموذج يحتذى به (مثل الوالدين والمربين والشخصيات المهمة).**
- **اختيار المبادئ والقيم والمثل.**
- **تكوين فلسفة للحياة.**

وفي هذه المرحلة أيضا يزداد الإحساس بالمسؤولية فتجد المراهق يشارك الآخرين فهم ومناقشة المشكلات الاجتماعية والسياسية والعامة، كما تتضح مظاهر التعاون والإيثار وتحمل المسؤولية الجماعية، وتقوى مشاعر الصداقة والاهتمام باختيار الأصدقاء، ويظهر حب الزعامة عند البعض، ويسعى المراهق لتحقيق المزيد من الاستقلال الاجتماعي، وتنمو الاتجاهات وتكون في البدء انعكاسا لاتجاهات الكبار في المنزل وخارجه، هذا إلى جانب الخبرات التي يمر بها المراهق وكذلك خلفيته بالنسبة للطبقة الاجتماعية والاقتصادية، كما تتأثر اتجاهاته بالجيرة والجنس والوطن والدين ونوع التعليم، ويمكن أن تؤدي العوامل المحيطة إلى ميوله بالنسبة للأجناس الأخرى أو الجماعات العنصرية فتسير هذه الميول إلى التسامح أو التعصب طبقا لتلك المؤثرات (زهران، حامد ٢٠٠٥:٣٩٩).

ويتوقف مدى نجاح المراهق في تحقيق التوافق الاجتماعي بدرجة كبيرة على خبراته الاجتماعية الأولى، والاتجاهات التي كونها نتيجة تلك الخبرات، ومما لا

شك فيه أن المجتمع الذي يعيش فيه المراهق بما يحتويه من ثقافة وعقيدة وتقاليد وأخلاق ونظم اجتماعية يؤثر على أنماط السلوك التي يكتسبها خصوصا أن المراهق في هذه المرحلة يميل إلى مسايرة الجماعة، ويحاول تحقيق ذاته من خلال أجواء الألفة والمودة التي يشعر بها إزاء الآخرين، وتتشكل مرجعية تصرفاته وردود أفعاله من خلال معايير الجماعة، كما أنه يبدأ في التطلع إلى كسب تأييد جماعة الرفاق ولفت نظرهم بحديثه وتصرفاته (الهنداوي، علي فالح ٣٣٦: ٢٠٠٥).

وتبرز في هذه الفترة المنافسة كمظهر من مظاهر العلاقات الاجتماعية، حيث يؤكد المراهق ذاته عن طريق منافسة أقرانه في أشكال النشاط المختلفة بما فيها التحصيل الدراسي، كما يميل في هذه الفترة إلى مساعدة الآخرين، وقد يصل هذا الميل في مراحله المتقدمة إلى الإيثار والتضحية من أجل الآخرين.

كما يتسم المراهق في هذه الفترة بالتمرد على الراشدين، ويقوم بمحاولات للتحرر من سلطة الأسرة في سبيل إثبات تفرده ونضجه واستقلاليته، وهنا تظهر فروق جنسية إذ تميل البنات إلى قبول السلطة بدرجة أكثر قليلا من البنين (الهنداوي، علي فالح ٣٣٧: ٢٠٠٥).

وتجدر الإشارة هنا إلى مرور المراهقين بثلاث مراحل فيما يخص علاقتهم بأسرهم، وهذه المراحل هي:

١- تعتمد علاقة المراهق على والديه في تلبية حاجاته وكأنه في مرحلة الطفولة، ثم يبدأ بالاختلاط بعالم أوسع خارج نطاق الأسرة.

٢- يبدأ المراهق في التحرر من سيطرة الأسرة.

٣- يبدأ تحرر المراهق في الثبات التدريجي أو التوقف، ويبقى تأثير الأبوين

مستمرا على حياته (الهنداوي، علي فالح ٣٣٨: ٢٠٠٥).

وفي هـذه المرحلـة تتطـور اتجاهـات المراهـق، وفي بـدايتها تكـون انعكاسـا لاتجاهات كل من يكبرون المراهق سنا ويكونون ذوي أهمية بالنسـبة لـه سـواء في البيت أو المدرسة أو الوسط الاجتماعي المحيط، كما تكـون هـذه الاتجاهـات وثيقة الصلة بخبرات المراهق وخلفيته والمستوى الاقتصادي والاجتماعي الذي ينتمي إليه، واتجاهات المراهق نحو الآخرين أفرادا وجماعات تكون مكتسـبة مـن الوالدين أو المربين بالإضافة إلى الأحداث التي تدور حوله.

ويظهر لدى المراهق ميل لتقييم التقاليد القائمـة في مجتمعـه في ضـوء خبراتـه الشخصية وأحاسيسه إزاء تلك التقاليد، وهنا يزداد الوعي الاجتماعي ويبرز الميل إلى الإصلاح الاجتماعي، وربما كان ذلك مصحوبا بعدم الأناة مما قـد يفضـي إلى العنف (زهران، حامد ٤٠٠:٢٠٠٥).

ثالثا: المراهقة المتأخرة Late Adolescence

هذه المرحلة هي الأخيرة من مراحل النمو المتعددة عنـد الأبنـاء والتـي تبـدأ بمرحلة الجنين، وهي تعتبر مرحلة انتقـال مـن المراهقـة إلى مرحلـة الشـباب ثـم الرشد، والتي يبدأ الفرد فيها تحمل مطالب الحياة ويحاول فيهـا الشـاب التغلـب على المصاعب التي تواجهه وأهمها دخول التعليم النهائي، وفيها يكتسب خبـرات متراكمة تساعده على مواجهة حياة المستقبل (الهنداوي، علي فالح ٣٥١:٢٠٠٥).

وتمتد هذه المرحلة من نهايـة سـن السـابعة عشـرة حتـى نهايـة سـن الحاديـة والعشرين، ومن المفترض أن تتزامن مع مرحلة التعليم العالي، وقد تعتبـر مرحلـة «اتخاذ القرارات»، حيث يتخـذ فيهـا أهـم قـرارين في حيـاة الفـرد وهمـا: المهنـة والزواج (حامد، زهران ٤١٠:٢٠٠٥ ؛ الدسوقي، مجدي ١٤٥:٢٠٠٣) وكما هو الحال في المراحل السابقة يمر المراهق في هذه الفترة أيضـا بتغيـرات لهـا سـماتها

الخاصة تشمل الجوانب الجسمية والفيزيقية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، كما سنرى فيما يلي:

النمو الجسمي والفسيولوجي– المراهقة المتأخرة

تعتبر مرحلة المراهقة المتأخرة في حياة الفرد بمثابة المحطة الأخيرة لعملية تغير النمو بجانبيه الجسمي والفسيولوجي والذي يعتبر ركيزة للنضج الانفعالي والعقلي والاجتماعي، ويقصد بالنمو الجسمي للفرد تلك التغيرات في أبعاد الجسم المختلفة، كالطول والوزن والعرض وغيرها من الأعضاء، ففي هذه الفترة يصل شكل الأنف والرأس واليدين والقدمين إلى حجمهما النهائي، كذلك يكون نمو الذراعين والساقين أسرع من الجذع، وهذه آخر أجزاء الجسم اكتمالا في النمو، ومع انتهاء هذه المرحلة يكون جسم المراهق قد وصل إلى الحجم المناسب الذي يكون عليه في مرحلة الرشد (الدسوقي، مجدي ١٥٠:٢٠٠٣).

وفي خلال سنواتها الأربع يطرد النمو في مظاهره المختلفة حتى يكتمل في نهاية المرحلة، وتتضح السمات الجسدية للفرد، وفي نهاية هذه المرحلة يتم النضج الهيكلي له وتستمر الزيادة في الطول عند الذكور إلى حوالي سن ١٩ عاما، وتتعدل نسب الوجه وتستقر الملامح ويتغير حجم الأنف ليتساوى نسبيا مع حجم الفك وحجم الوجه بصفة عامة، كما تكتمل في هذه المرحلة الأسنان بظهور بعض أو كل أضراس العقل الدائمة، ويظهر التحسن في صحة المراهق العامة، وينضج الجسم مع وصول الفرد إلى نهاية هذه المرحلة (الهنداوي، علي فالح ٣٥٣:٢٠٠٥).

وجدير بالذكر أن زيادة الطول التي تحدث للمراهق في فترته المتأخرة، تكون طفيفة مقارنة بتلك التي كان عليها في الفترة السابقة، كما تختلف نسبة الزيادة في الطول والوزن عند الجنسين حيث تكون عند الذكور أكبر منها عند الإناث،

وتعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل التي مـن المفتـرض أن يتمتـع فيهـا الأبنـاء بالصحة الجيدة (زهران، حامد ٤١٠: ٢٠٠٥).

أما النمو الفسيولوجي الذي يقصد به نمو الأجهزة الداخلية للجسم أثناء البلوغ وبعده، كما أسلفنا سابقا، ففي مرحلـة المراهقـة المتـأخرة يحـدث نمـو للجهـاز الدوري والجهاز التنفسي والجهاز الهضمي والجهاز العصـبي، والغـدد الصـماء المرتبطة بالنضج الجنسي، والنضج الجنسي يمثل أهم ظاهرة للنمو الفسيولوجي (الدسوقي، مجدي ١٥٠: ٢٠٠٣).

ويتم النضج الفسيولوجي ويتمثل في الوصول إلى التوازن الغددي واكتمـال نضـج الخصائص الجنسية الثانويـة عنـد الجنسـين، كمـا يحـدث التكامـل بـين الوظـائف الفسيولوجية والنفسية في شخصية متكاملة (حامد، زهران ٤١٢: ٢٠٠٥).

وفي هذه المرحلـة يبلـغ الفـرد مرحلـة التـوازن الغـددي، فيكتمـل لديـه نمـو الخصائص الجنسية الثانوية، كما تهدأ سرعة نمـو الغـدة التناسـلية الذكريـة حتـى تصل إلى اكتمال نضجها في مرحلة الشباب التالية، ويستطرد نمـو الغـدة التناسـلية الأنثوية حتى تصل إلى وزنها الكامل، ويكون الذكور في هـذه المرحلـة أقـوى مـن الإناث (الهنداوي، علي فالح ٣٥٣: ٢٠٠٥).

النمو العقلي- المراهقة المتأخرة

تشكل هذه المرحلة أهمية كبيرة بالنسبة للنمو العقلي المعرفي عند الفرد، حيـث تصـل القـدرة لديـه عـلى اكتسـاب المعرفـة ذروتهـا(الزعبـي، أحمـد محمـد ٢٥٠: ٢٠٠٧)، وكذلك بالنسبة لمستوى الذكاء، حيث تصل في هـذه المرحلـة إلى أقصى درجاتها، وتزداد درجة نمو التفكيـر المجـرد والتفكيـر المنطقـي والتفكيـر الابتكاري، فتتحسن المقدرة عـلى الفهـم والصـياغة النظريـة وحـل المشـكلات المعقدة (حامد، زهران ٤١٣: ٢٠٠٥). كذلك تتميز هذه المرحلة بازديـاد القـدرة

على الاتصال العقلي مع الآخرين واستخدام المناقشة المنطقية وإقناع الآخرين بما يعتقدون، كما تتطور الميول والمطامح وتزداد واقعية (نفس المرجع، ص ٤١٤).

وترتبط درجة القدرات العقلية الخاصة للفرد بمستوى تلك القدرات العقلية العامة التي يمتلكها، وبمدى مهاراته الشخصية، كما تعتمد على طبيعة عمله ومهنته، فيما إذا كانت تحتاج إلى استخدام العمليات العقلية أم لا؟ وبشكل عام يمكن القول بأن القدرات الخاصة مستمرة عند بعض المراهقين في هذه المرحلة بالنمو والتباين والتمايز خاصة القدرات اللغوية، ويقصد بها القدرة على فهم الألفاظ واستخدامها، وكذلك المقدرة الميكانيكية والمكانية ويقصد بها قدرة الفرد على فهم مكان الأجزاء الهندسية المختلفة، وقدرته على معرفة موقعه على الخريطة، وتظل القدرات في نموها المطرد خلال هذه المرحلة (الهنداوي، علي فالح ٢٠٠٥:٣٥٤).

ويعرف الأفراد الذين يمتلكون نسبة عالية من الذكاء والأداء المعرفي بالعباقرة، وخاصة عندما يقترن ذلك بملكة الإبداع عند الفرد، فليس العبقري في مجال العمل العقلي من يستطيع أن يتذكر ويستوعب المعلومات بسرعة فقط، بل هو أيضا من يستطيع أن يستبدل أطر الفكر والرؤى القديمة بأخرى جديدة، بمعنى أن العبقري ليس هو فقط من يساهم في إيجاد أجوبة جديدة، وإنما هو من يبتكر طرق جديدة للكشف عن الحقائق، أو طرح وجهة نظره عنها بدقة ووضوح عند معالجة مشكلات معينة (الزعبي، أحمد محمد ٢٠٠٧:٢٥٠).

وفي هذه المرحلة يتمكن المراهق من استيعاب المفاهيم والقيم الأخلاقية المتعلقة بالصواب والخطأ والخير والشر والفضيلة والرذيلة والعدالة والظلم والحق والواجب والأمر المطلق وغير ذلك من القيم الأخلاقية مثل الأمانة والمثل الأخلاقية وتتبلور لديه القدرة على اكتساب المهارات العقلية والمفاهيم

اللازمة للمواطنة الصالحة، ويطّرد عنده نمو التفكير المنطقي والتفكير الابتكاري، وتزداد القدرة على الفهم والصياغة النظرية، ويستطيع المراهق حل المشكلات المعقدة في هذا السن (الهنداوي، علي فالح ٢٠٠٥:٣٥٩).

ولكن كل ذلك يعتمد على الأسس التربوية التي تلقاها المراهق في سنواته الأولى، ولكي يتحقق من ذلك يشترط أن يكون قد اجتاز تلك المراحل العمرية السابقة في ظل ظروف أسرية ومجتمعية صحية.

النمو الانفعالي – المراهقة المتأخرة

بوجه عام فإن المظهر الانفعالي للمراهق يتأثر بالخصائص النمائية الأخرى المصاحبة لهذه الفترة الحرجة من حياة الفرد، والتي تم الحديث عن بعضها، وربما تكون أهم خصائص انفعالية تميز هذه المرحلة هي حساسية المراهق للنقد، الاهتمام بالتطلع إلى داخل النفس، يكون اجتماعيا ولطيفا، قادرا على تحمل المسئولية، يهتم بمظهره وانعكاس ذلك على نظرة الآخرين إليه، يعتريه الخجل ويبدو حساسا ويميل للخمول والكسل، كما أنه يهتم بالتفاصيل، والنزوع إلى الوحدة (باظة، آمال عبد السميع ٢٠٠٢:٢٢٤).

إلا أن انفعالات المراهق في هذه المرحلة تميل نحو الثبات بعد أن كانت انفعالاته في المرحلة السابقة مندفعة ومتهورة، فيصبح أكثر ميلا للمثالية، ويظهر بعض العواطف الشخصية مثل الاعتداد بالنفس ويهتم بمظهره وطريقة كلامه، تنشأ لديه عواطف نحو الجمال وتتبلور بعض العواطف الشخصية، وقد يقع في الحب، ويعتبر شعوره بالحب مركبا من عدة دوافع وانفعالات، كأن تقترن النشوة لديه بعميق الألم، وقد يقترن التسامح بالغضب والبهجة بالخوف، وقد يجلب الحب للمراهق السعادة أو يجر له العذاب، وقد يكون حبه مصحوبا بعدم الاستقرار وعدم الثبات، أو قد يثبت نحو شخص ما تمهيدا للزواج منه في

المستقبل، وشعور المراهق بالحب يجعله يشعر بقيمته، وخاصة عندما يبادله الطرف الآخر هذا الحب ويحرص عليه، وهو من أجل الحب يتغاضى عن سيئات من يحب وعن نقاط ضعفه (الهنداوي، علي فاضل ٢٠٠٥:٣٥٦).

ولكن أيضا قد ينتاب المراهق في هذه المرحلة أعراض عدم النضج الانفعالي، وفي هذه الحالة يكون للوقوع في الحب جانبان: أحدهما له بعض المحاسن كأن يحقق المراهق من خلال الحب ذاته، مما يعني بالنسبة له بأنه قد وصل إلى أسمى مفهوم الصداقة وتبادل المشاعر وتقاسم المسؤوليات والأسرار والإخلاص الانفعالي وقبول المحبوب كما هو، أما الجانب الآخر فإن وقوع المراهق في الحب له مساوئه، لأنه ربما يكون ذلك عرضا من أعراض الاضطراب في الشخصية أو وسيلة للهروب من مشكلة شخصية، أو قد يساء فيه استغلال الطرف الآخر، وقد يكون الحب متعددا غير مستقر أو مؤقتا، أو قد يكون هدفه إشباع شهوة جنسية فقط دون أن تعني رغبة في المشاركة في حياة أسرية (نفس المرجع، ص٣٥٧).

وجدير بالذكر أن التطور نحو النضج عند المراهق يكون أكثر وضوحا في هذه المرحلة، حيث الوصول السريع إلى الثبات الانفعالي والنزوع نحو المثالية وتمجيد الأبطال والشغف بهم (حامد، زهران٤١٥: ٢٠٠٥).

وتتمثل مظاهر تطور النضج الانفعالي في هذه المرحلة فيما يلي:

- القدرة على المشاركة الانفعالية.
- القدرة على الأخذ والعطاء.
- زيادة الولاء.
- زيادة الواقعية في فهم الآخرين.
- زيادة الميل إلى الرحمة والرأفة.

- إعادة النظر في الآمال والمطامح.
- تحقيق الأمن الانفعالي Emotional Security (نفس المرجع ص٤١٦).

النمو الاجتماعي- المراهقة المتأخرة

في هذه المرحلة تنعكس آثار النمو الاجتماعي بوضوح على التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي للمراهق، ويبدو ذلك جليا في درجة الذكاء الاجتماعي المتمثلة في القدرة على التصرف فيما يعترضه من مواقف اجتماعية، وما تعكسه حالته النفسية عند تحدثه، وكذلك قدرته على تذكر الأسماء والوجوه، وفي سلوكه وتفاعله مع الآخرين ومع بيئته الاجتماعية، ونتيجة لهذا التفاعل تنمو لدى المراهق مجموعة من القيم منها:

(١) القيمة النظرية، ويعبر عنها بميله إلى اكتشاف الحقيقة واتخاذه اتجاها معرفيا من العالم المحيط به.

(٢) القيمة الاقتصادية التي تعكس اهتمام الفرد وميله إلى ما هو نافع وبحثه عن وسيلة للحصول على الثروة وزيادتها.

(٣) القيمة الجمالية وتعني اهتمام الفرد وميله إلى كل ما هو جميل من حيث التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي.

(٤) القيمة الاجتماعية وتعبر عن اهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس ورغبته في مساعدتهم.

(٥) القيمة السياسية وتظهر في اهتمام المراهق بالنشاط السياسي ورغبته في حل مشكلات الجماهير، ويصاحب ذلك ميله للسيطرة والتحكم في الأشياء والأشخاص.

(٦) القيمة الدينية وتظهر في محاولة المراهق معرفة ما وراء العالم الظاهري، ومعرفة أصل الإنسان ومصيره ومحاولة تقربه من الخالق.

غير أنه يمكن القول بأن هذه القيم تكاد تكون عامة عند جميع الأفراد، غير أنها تختلف في ترتيبها من فرد لآخر ومن جماعة إلى أخرى (زهران، حامد ٢٠٠٥:٤٢٠).

ويشير علي فالح هنداوي إلى أنه يظهر في هذه المرحلة الاتزان الاجتماعي عند الجنسين، فيحاول المراهقون التخلص مما كانوا يتصفون به من عصيان واندفاع وتهور عبر المراحل السابقة، وينظرون إلى تلك الأفعال بأنها أعمال صبيانية طائشة، كما تسعى الفتيات في هذه المرحلة إلى إجراء تغييرات في ملبسهن وأسلوبهن في الحديث، وفي التعامل مع كل أنماط الحياة استجابة لحساسية المرحلة التي يمررن بها، وبذلك ينظر المراهقون إلى أنفسهم على أنهم لم يعودوا صغارا، ومن هنا يبدأ إحساس المراهق - وخاصة الولد - بأن له شخصيته التي تميزه، والتي يجب على الآخرين الاعتراف بها، مؤكدا بذلك على أن يكون له مركز بين الرفاق، كما يميل إلى القيام بأعمال تلفت النظر إليه فيلجأ إلى التدخين مثلا، وقد يلبس النظارات ويحمل بيده جهاز الهاتف النقال، ويبدأ يتحدث عن حقوقه، ويدافع عن مكانته، ويتحدى والديه في اختيار رفاقه وتحديد تخصصه في الدراسة وبالتالي مهنته، ظنًا منه أن قيامه بهذه المواقف تجعل الآخرين يعترفون له بأنه أصبح رجلا (الهنداوي، فالح ٢٠٠٥:٣٦٠).

كما يحاول المراهق في هذه المرحلة الابتعاد عن العزلة، ويحرص على الأخذ والعطاء والتعاون مع الآخرين، ويؤدي ذلك إلى اتساع علاقاته الشخصية وتفاعله الاجتماعي، كما يزداد تقبله لعادات الكبار اليومية واتجاهاتهم النفسية وممارساتهم، ويقترب سلوكه من معايير الناس، كما يتقبل المراهق درجة خضوعه للشلة، وتظهر لديه الرغبة في توجيه الذات، ويسعى المراهق إلى تحقيق استقلاله عن أسرته، ويحاول أن يبحث عن مهنة يكون باستطاعته الالتحاق بها،

وهو عادة ما يميل إلى المهنة التي تتفق مع قدراته، ويزداد إدراكه لآثار القوى الاجتماعية والاقتصادية التي تحدد بعض مستويات حياته، ويدرك الفروق بينه وبين غيره من حيث المستوى الاجتماعي والاقتصادي والوظيفي، ويكون ذلك سببا لتطور النظرة الاجتماعية لديه، فيصبح أكثر إدراكا لنوع العلاقات القائمة بينه وبين الآخرين، ويكون قادرا على فهم التأثيرات المتبادلة مع الآخرين، ويزيد ذلك إمكانية حسن التصرف في المواقف الاجتماعية، ويتأتى ذلك عن طريق تبادل الاحترام مع الزملاء، فيكسب ثقتهم ويتخذ له دورًا بينهم، ويتحقق له بذلك التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي.

وتنمو لدى المراهق القيم المتنوعة نتيجة تفاعله مع البيئة الاجتماعية، وتتضمن:القيم النظرية والاقتصادية والجمالية والسياسية والدينية والاجتماعية، أي اهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس وميله إلى مساعدتهم، ويلاحظ أن هذه القيم توجد جميعها عند كل فرد، إلا أنها تختلف في قوتها وترتيبها من فرد إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى (نفس المرجع ص٣٦١).

وباجتياز هذه المراحل النمائية بسلام يكون الأبناء قد أصبحوا على أعتاب مرحلة الرشد وهم مهيئون لتحمل مسؤولياتها بصورة أفضل.





■ الخاتمة

حينما يتعلق الأمر ببناء شخصية متكاملة من كافة النواحي يتسم بها الأبناء، فإن التربية تكون عملية غاية في الصعوبة تحتاج الجهد المضني من المربي الواعي الحذق ذي الهدف الواضح والممارسات المقصودة، والذي من موقعه الأسري أو المهني يكون باستطاعته أن يغذي المجتمع بأفراد أسوياء لديهم القدرة على الإنجاز الشخصي والجماعي، وهذا لا يتأتى إلا بتعهد هذا الغرس منذ أن كان بذرة تروى، وهذا أيضا يحتم ضرورة تزود هؤلاء المربين بثقافة حول كل ما يتعلق بمراحل نمو الأبناء وخصائصها ومطالبها، بحيث يتمكنون من تحقيق التوازن والتوافق النفسي للأبناء، وذلك بتأسيس مفهوم ذات قوي وخلق ثقافة تقبل الذات على ما هي عليه والتركيز على نقاط القوة لدى الأبناء، ومحاولة تطوير الجوانب التي قد تعيق النمو السليم المتكامل لديهم.

وتشكل الخصائص النمائية للأبناء كلا موحدا يتفاعل بعضها مع بعض، لتتم عملية النمو بطريقة متكاملة في مراحل متعددة تسند كل واحدة منها الأخرى، تتأثر كل منها بما يصيب الأخرى من اضطرابات لتؤثر بالتالي على تكوين الشخصية عند الفرد وعلى أدائها الوظيفي، ويحمل كل ذلك الأسرة مسؤولية في غاية الأهمية تجاه الإلمام بالمعرفة بسمات المراحل المتواترة في نمو الأبناء وكيفية تلبية احتياجاتها بالطرق الموائمة والسليمة، بالتضافر والتعاون مع بقية مؤسسات المجتمع.

فلم تكن يوما التربية مهمة أسرة الطفل فقط وخاصة في هذا العصر، وإنما هي عملية تتكامل وتتعاقب فيها أدوار كل من الأسرة والمدرسة ومؤسسات المجتمع كافة، وهي في يومنا هذا أيضا تمثل تحد يتطلب تضافر كافة الجهود من أجل تربية أجيال واضحة الهوية والمسلك يعول عليها في بناء النهضة المرجوة للأمة العربية والإسلامية.

وعلى المربي في المنزل - كما في الحقول الاجتماعية الأخرى - أن يحرص كل الحرص وهو يقوم بعمله، وأن يضع دائما نصب عينيه وفي المكان الأول مصلحة الأبناء، وبما أن عملية التربية هي عملية توجيه نمو الابن نموًا سليمًا لا يستطيع أي فرد وبأي حال أن يذكر عن نفسه أنه مسؤول في أي حقل من حقول التربية إلا إذا أولى هذا الهدف اهتمامه بإخلاص، وجعل من نفسه قدوة حسنة للناشئة، فإذا لم يعِ هذه الحقيقة فليس من حقه أن يدعي أنه أهل لهذه المهنة النبيلة، وتكمن الأسباب في الآتي:

أولا: الأطفال يحاكون مربيهم - وخاصة في الأسرة - ويدركون كل ما يقع تحت عيونهم أثناء التواصل اليومي الحياتي، ويرفضون أشياء ويقبلون أخرى، ولكن كل ذلك تحت تأثير تصرفات أولياء أمورهم، وما يجب أن نبتعد عنه هو الوقوع في التناقضات بين ما نقول وما نفعل، وإلا تعرض الأبناء للصراع النفسي

والقيمي وخاصة في عصر سريع التغير كالذي تعيشه مجتمعاتنا في الوقت الحاضر.

ثانيًا: على المربي أن يحسن اختيار الأداة التي يمكن من خلاها التأثير على عقل الطفل وسلوكه ومشاعره، وذلك بتعويده على اتباع العادات المفيدة لكسب المعارف وتشكيل السلوك، ولعل تعويده على القراءة بشرط اختيار الكتب المفيدة منها يعتبر من أنجع الوسائل المعرفية والتربوية.

إن على المربي أن يمتلك معرفة جيدة بخصائص مختلف مراحل النمو واحتياجاتها، تلك التي يمر بها الأبناء وتحديد أنواع السلوك، وما تتطلبه من تعزيز لبعضها، وتعديل للبعض الآخر، وتأسيسًا على هذه المعرفة فعلى المربين جميعًا الابتعاد عن السياسات التحكمية واتباع الإملاءات على الأبناء، فمثل هذه السياسات التربوية تعتبر بمثابة قانون سيكولوجي، لا بد يوما أن يرتد فيه الأبناء عكسيا على ضغوط المربين وإكراهاتهم، فقد يحقق المربون في البداية – نتيجة لهذه السياسات – مبتغاهم في فرض السلوك على الأبناء، ولكن في النهاية سيكون لذلك عواقب وخيمة على هذا السلوك، لعل أقلها اتخاذهم إجراءات وقائية مضادة مثل الخداع والمراءاة والغضب أحيانًا والفظاظة، وربما ينتهي الأمر نتيجة لذلك بتدمير عدد من السمات القيمة عندهم : كالاستقلالية، الشعور بالكرامة، الشخصية، المبادأة، الثقة بالنفس، وهكذا.

كما أنه لابد من تجنب فرض الوصاية علي الأطفال، فالتربية الإملائية والوصاية ظاهرة واحدة من حيث الجوهر، فبينما الإملاء هو فرض يتسم بالإكراه، فإن الوصاية تفترض العناية وإبعاد المصاعب والمشاركة اللطيفة ولكن من حيث الحكم على النتائج فهي واحدة .

ومن ناحية أخرى، كثيرا ما تلجأ الأسرة إلى اتباع التصادم في التربية باستخدام

العنف، وهذا أيضا له مردوده السلبي عليهم.

فاعتماد سياسة التعايش الأسري السليم القائم على التعاون والألفة، والحد من التدخل في شئون الأبناء، هما الوسيلة الناجعة للتربية.

وأخيرا يبقى أملنا المنشود من تأليف هذا الكتاب أن يحقق ما نرجوه من أن ينال رضا المهتمين بتربية النشء، ومن الله سبحانه وتعالى نطلب العون والتوفيق.



قائمة المراجع

المراجع العربية

الأمارة، أسعد (د.ت) سيكولوجية الشخصية . قسم العلوم النفسية والاجتماعية. كلية الآداب والتربية، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك د. ت.

http://www.ao-academy.org/wesima_articles/library-20060116-340.html

(تم الحصول على المادة يوم ٣ .٩ .٢٠٠٩).

أبو جبارة، حسام فتيحي. المراهقة.. كيف نتجاوزها بنجاح؟ مجلة الوعي الإسلامي. العدد (٥٣٢) ٣-٩- ٢٠١٠ الكويت: وزارة الأوقاف.

http://alwaei.com/topics/current/article_new.php?sdd=894&issue=532

تم الحصول على المادة يوم ١٩. ٥. ٢٠١٢.

أبو لحية ، نور الدين (٢٠٠٧) الأبناء: تربيتهم وصحتهم النفسية. القاهرة: دار الكتاب الحديث.

إبراهيم، سعد الدين، المقدمة. في عبد الجبار، فالح (1995) المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في العراق. القاهرة. مركز ابن خلدون بالاشتراك مع دار الأمين للنشر والتوزيع.

أسعد، يوسف ميخائيل(١٩٧١) المراهقة: مشكلاتها وحلولها. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

الأشول، عادل (٢٠٠٨) علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

إفرخاس، محمد (٢٠١١) سيكولوجيا الشخصية: بين تنمية الأبناء وبناء المجتمع. دمشق: دار نينوى.

البخاري، إسماعيل أمين (٢٠٠٨) مفهوم الذات. موقع العيادة النفسية(www.annafesia.com).

باظة، آمال عبد السميع (٢٠٠٨) الشخصية والاضطرابات السلوكية والوجدانية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

باظة، آمال عبد السميع (٢٠٠٢) النمو النفسي للأطفال والمراهقين. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

بدوي، أحمد زكي (١٩٧٨) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت: مكتبة لبنان.

بركات، حليم (٢٠٠٠) المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

بكار، عبد الكريم (٢٠٠٩) هكذا تكون الأمهات. سلسلة البناء والترشيد. حمص. الجمهورية العربية السورية. مطبعة اليمامة.

بكار، عبد الكريم (٢٠٠٤) القراءة المثمرة: مفاهيم وآليات. دمشق: دار القلم.

بيدس، إميل خليل (١٩٩٧) كيف نربي أطفالنا. بيروت. دار الجريدة.

جمال الدين، جمال (٢٠٠٦) الإنسان الفعال: من يملك مقومات التفوق في القرن العشرين. دمشق: دار الفكر.

جلال، سعد (١٩٨٤) علم النفس الاجتماعي: الاتجاهات التطبيقية المعاصرة. منشأة المعارف. الإسكندرية.

الجسماني، عبد العلي (١٩٩٤) سيكولوجية الطفولة والمراهقة وحقائقها الأساسية. بيروت: الدار العربية للعلوم.

جلبي، علي عبد الرزاق (١٩٨٤) دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية. بيروت. دار النهضة العربية.

حمادة، حسان (٢٠٠٧) النظرية السلوكية وتطبيقاتها.

http://hassanhamad.maktoobblog.com/3

تم الحصول على المادة يوم: ٢٦-فبراير-٢٠١٢

الحفني، عبد المنعم (٢٠٠٣-١-) الموسوعة النفسية: علم النفس والطب النفسي. القاهرة: مكتبة مدبولي.

الحفني، عبد المنعم (٢٠٠٣-٢-) موسوعة الطب النفسي. المجلد الأول . القاهرة: مكتبة مدبولي.

الحسيني، أحمد معاذ (٢٠٠٤) مواجهة مع المراهقة. سلسلة البناء والترشيد. مطبعة اليمامة. حمص. الجمهورية العربية السورية.

الخميسي، أحمد (٢٠٠٦) كيف يصبح طفلك قارئا. حلب. سوريا: دار القلم- دار الرفاعي.

خليل، محمد بيومي (٢٠٠٣) انحرافات الشباب في عصر العولمة. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.

الخطيب، موسى (١٩٩٣) وصايا الدهر إلى شباب وشابات العصر من منظور إسلامي. بيروت: دار التضامن.

الخاقاني، محمد طاهر (١٩٨٧) علم الاجتماع بين المتغير والثابت. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

ديكلو، ج. (٢٠٠٣) تقدير الذات جواز سفر مدى الحياة. (ترجمة مصطفى الرقا وبسام الكردي.). بيروت: منشورات القارتين

الدسوقي، مجدي محمد (٢٠٠٣) سيكولوجية النمو من الميلاد إلى المراهقة. القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية.

دويدار، عبد الفتاح (١٩٩٢). سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والاتجاهات. دار النهضة العربية: بيروت.

رزوق، أسعد (١٩٨٧) موسوعة علم النفس. بيروت: المؤسسة للدراسات والنشر.

رشوان، حسين عبد الحميد (٢٠٠١) سلوكيات. الإسكندرية. المكتب الجامعي الحديث.

رشوان، حسين عبد الحميد (١٩٩٧) العلاقات الإنسانية في مجالات علم النفس، علم الاجتماع، علم الإدارة. الإسكندرية. المكتب الجامعي الحديث.

ريزونر، ر.و(٢٠٠٠) بناء تقدير الذات في المدارس الابتدائية: دليل المعلم (ترجمة مدارس الظهران الأهلية). دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع: الدمام.

زهران، حامد؛ وسري، إجلال: رعاية النمو الاجتماعي للأطفال: نظرة مستقبلية. المؤتمر الدولي حول الخدمة الاجتماعية والمستقبل في البلاد العربية. وزارة التعليم العالي، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة، مركز البحوث والتوثيق والتجريب (القاهرة – الأقصر – أسوان، ١٩٩٢).

زهران، حامد عبد السلام (١٩٩٩) علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة. القاهرة.

زهران، حامد. الإعلام والشباب بين التربية وعلم النفس. في زهران، حامد؛ وسري، إجلال (٢٠٠٣) دراسات في علم نفس النمو. القاهرة. عالم الكتب.

زهران، حامد. مفهوم الذات والسلوك الاجتماعي للشباب بين الواقع والمثالية. في زهران، حامد؛ وسري، إجلال (٢٠٠٣)دراسات في علم نفس النمو. القاهرة. عالم الكتب.

زهران، حامد؛ وسري، إجلال محمد. القيم السائدة والقيم المرغوبة في سلوك الشباب. بحث ميداني في البيئتين المصرية والسعودية. في زهران، حامد؛ وسري، إجلال (٢٠٠٣)دراسات في علم نفس النمو. القاهرة. عالم الكتب.

زهران، حامد عبد السلام (٢٠٠٥) التوجيه والإرشاد النفسي، الطبعة الرابعة، السادسة. القاهرة. عالم الكتب.

زهران، حامد عبد السلام (٢٠٠٥) علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة. الطبعة السادسة. القاهرة. عالم الكتب.

زهران، حامد عبد السلام (٢٠٠٥) الصحة النفسية والعلاج النفسي، الطبعة الرابعة، القاهرة، عالم الكتب.

الزعبي، محمد (٢٠٠٧) النمو الإنساني في الطفولة والمراهقة: مراحل النمو – المشكلات وسبل علاجها. دمشق: دار الفكر.

الزيود، ماجد (٢٠٠٦) الشباب والقيم في عالم متغير، عمان، الأردن، الشروق.

سري، إجلال محمد (٢٠٠٣) الأمراض النفسية الاجتماعية. القاهرة. عالم الكتب.

سبوك، بنجامين. ترجمة محمد أمين إبراهيم (٢٠٠٨) دليل الوالدين لتنشئة الأطفال. القاهرة. شركة نهضة مصر.

السيسي، شعبان علي حسين (٢٠٠٢) علم النفس: أسس السلوك الإنساني بين النظرية والتطبيق. الإسكندرية. المكتب الجامعي الحديث.

السبيعي، عدنان (١٩٩٧-١-) الصحة النفسية للجنين. دمشق: دار الفكر

السبيعي، عدنان (١٩٩٧-٢-) الصحة النفسية للمولود والرضيع. دمشق: دار الفكر

السبيعي، عدنان (١٩٩٧-٣-) الصحة النفسية لأطفال الحضارة. دمشق: دار الفكر

السبيعي، عدنان (١٩٩٨) الصحة النفسية للمراهقين. بيروت: دار الفكر المعاصر.

سليم، مريم؛ وزيعور، علي (٢٠٠٤) حقول علم النفس. ط٢ . بيروت: دار النهضة العربية.

سليمان، محمد (٢٠٠٠) تصميم برنامج إرشادي لتحسين مفهوم الذات عند أطفال المؤسسات الإيوائية. رسالة ماجستير. عين شمس. معهد الدراسات العليا للطفولة. قسم الدراسات النفسية والاجتماعية.

السامرائي، نعمان عبد الرزاق (٢٠٠٠) دراسة في المعرفة: الثقافة – القيم – المجتمع. لندن: دار الحكمة.

شرف، سلوى (د.ت) نظرية الذات في الإرشاد التربوي. استخراج من الانترنت بتاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٤ من الموقع:

http://www.almualem.net/maga.nairsh555.html

الشامسي، عائشة جاسم (٢٠٠٥) الفروق في مفهوم الذات بين مرتفعات التحصيل الدراسي ومنخفضات التحصيل الدراسي لدى عينة من المتفوقات عقليا بدولة الإمارات العربية المتحدة. رسالة ماجستير: (التفوق العقلي والموهبة). البحرين: جامعة الخليج العربي.

الشوربجي، نبيلة عباس (٢٠٠٥) علم النفس الاجتماعي, الطبعة الثانية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

صادق، آمال؛ وأبو حطب، فؤاد (٢٠٠٨) نمو الإنسان من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المسنين. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

صادق، آمال؛ وأبو حطب، فؤاد (٢٠١٢) نمو الإنسان من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المسنين. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

صبحي، السيد(٢٠٠٢) النمو العقلي والمعرفي لطفل الروضة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

صبحي، السيد (١٩٨٦) تصرفات سلوكية. القاهرة: دار الكتب

الصابوني، معتز (٢٠٠٦) علم الاجتماع التربوي. عمان - الأردن: دار أسامة - المشرق الثقافي.

الطواب، سيد محمود، مدارس علم النفس. في منسي، محمود عبد الحليم والطواب، سيد محمود (٢٠٠٢) مدخل إلى علم النفس التربوي. القاهرة: الأنجلو المصرية.

الظاهر، قحطان أحمد (٢٠٠٤) تعديل السلوك. عمان. الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.

عياد، مواهب (٢٠٠١) ط٣ نمو وتنشئة الطفل من الميلاد حتى السادسة. الاسكندرية: منشأة المعارف.

عبد القوي، سامي (٢٠٠١) علم النفس العصبي: الأسس وطرق التقييم. الإمارات العربية المتحدة: جامعة الإمارات.

عبد المعطي، حسن مصطفى (٢٠٠٤) النمو النفسي والاجتماعي وتشكيل الهوية. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

عبد الهادي، جودت والعزة، سعيد (٢٠٠٥) تعديل السلوك الإنساني: دليل الآباء والمرشدين التربويين في القضايا التعليمية والنفسية والاجتماعية. عمان: دار الثقافة والنشر.

عبود، عبد الغني (١٩٩٨) التربية ومشكلات المجتمع. دار الفكر العربي. القاهرة.

عثمان، إبراهيم (٢٠٠٦) سيكولوجية النمو عند الأطفال. عمان. الأردن. دار أسامة للنشر والتوزيع - دار المشرق الثقافي.

عثمان، سيد أحمد (١٩٧٨) البيئة والشخصية: في أفق تربية جديد. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

عطية، نوال محمد (٢٠٠٠) النامية وعلم النفس: مرحلة الطفولة. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.

عطية، نوال محمد (٢٠٠١) علم النفس والتكيف النفسي والاجتماعي. القاهرة: دار القاهرة للكتاب.

عكاشة، أحمد؛ وعكاشة طارق (د.ت) علم النفس الفسيولوجي. ط ١٢. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

عكاشة، محمود فتحي (١٩٩٠). تقدير الذات وعلاقته ببعض المتغيرات البيئية والشخصية لدى عينة من أطفال مدينة صنعاء. الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية: الكويت.

العلمان، خالد أحمد (٢٠٠٦) المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة. بيروت: دار المعرفة.

العمر، معن خليل (٢٠٠٠) علم اجتماع الأسرة، عمان. الأردن. دار الشروق.

العمر، معن خليل (٢٠٠٤) التنشئة الاجتماعية، عمان. الأردن، دار الشروق.

العوالمة, حابس ومزاهرة, أيمن (٢٠٠٣) سيكولوجية الطفل: علم نفس النمو. المملكة الأردنية الهاشمية. عمان. الأهلية للنشر والتوزيع.

عيد، محمد إبراهيم (٢٠٠٦) مقدمة في الإرشاد النفسي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

العيسوي، عبد الرحمن محمد (٢٠٠٥) سيكولوجية التنشئة الاجتماعية. بيروت. دار الفكر العربي.

العيسوي، عبد الرحمن محمد (١٩٨٤) معالم علم النفس، بيروت. دار النهضة العربية.

عبد الله، عادل محمد (١٩٩١) اتجاهات نظرية في سيكولوجية نمو الطفل والمراهق. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

غريب ، أحمد ، وعبد المعطي ، عبد الباسط (1987) مجتمع القرية ، دراسات وبحوث . الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.

الغزالي، حسام إبراهيم(٢٠٠٥) كيف تجعلين طفلك مبدعا. دمشق: دار نينوى.

فاعور، عبد الحسن (٢٠٠١) نمو الأطفال والأولاد منذ الولادة حتى انتهاء البلوغ. بيروت. الدار العربية للعلوم.

فرانس، لورانس وفرانك، ماري (١٩٦٩) المراهقة مشكلاتها وحلولها. ترجمة يوسف ميخائيل أسعد. القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية.

الفرماوي، حمد علي (٢٠٠٤) دافعية الإنسان: بين النظريات المبكرة والاتجاهات المعاصرة. القاهرة: دار الفكر العربي.

الفقي، حامد عبد العزيز وخير الله، سيد (١٩٧٤) سيكولوجية الفرد في المجتمع. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

فهيم، كلير (٢٠٠٦) الأمومة وإشباع الحاجات النفسية للأبناء. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

فهيم، كلير (٢٠٠٧ -١-) الحاجات النفسية للمراهق وطرق إشباعها: الصحة النفسية في مراحل العمر المختلفة. القاهرة: الأنجلو المصرية.

فهيم، كلير (٢٠٠٧) طريق نجاح الشباب في الحياة. القاهرة: مكتبة الأنجلو.

فهيم، كلير (٢٠٠٧) الطفولة والأمومة والصحة النفسية للطفل. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

فهيم، كلير(٢٠٠٧). الصحة النفسية في مراحل العمر المختلفة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

فرغلي، علاء(٢٠٠٨) مهارات العلاج المعرفي السلوكي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

فوزي، منير حسين (١٩٨٢) العلوم السلوكية والإنسانية في الطب. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

قشقوش، إبراهيم (١٩٨٩) سيكولوجية المراهقة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

القاسمي، مهرة (٢٠١٠) دور التنشئة الاجتماعية في تشكيل السلوك الإنساني. القاهرة: دار الفكر العربي.

قطب، محمد (٢٠٠٧) منهج التربية الإسلامية. الطبعة السابعة عشر. القاهرة. دار الشروق.

قناوي، هدى (٢٠٠٨) الطفل: تنشئته وحاجاته. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

قناوي، هدى؛ وعبد الله، عادل: دراسة لبعض المتغيرات المرتبطة ببعض جوانب النمو لأطفال الروضة. مجلة مستقبل التربية العربية. المجلد الثاني. العدد الخامس. فبراير ١٩٩٦. القاهرة. مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية وكلية التربية جامعة حلوان.

لامبرت، وليم، لامبرت؛ وولاس (١٩٩٣) الطبعة الثانية. علم النفس الاجتماعي. القاهرة: دار الشروق

مدكور، إبراهيم (١٩٧٥) معجم العلوم الاجتماعية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محمود، إبراهيم وجيه (١٩٨١) المراهقة: خصائصها ومشكلاتها. القاهرة. دار المعارف.

المحيسني، محمد عثمان (٢٠٠١) المشكلات الدراسية للشباب والطلاب وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية والتربوية. جامعة أم درمان. كلية التربية. علم نفس. أم درمان. السودان.

المصري، سلمى إبراهيم (٢٠١٠) المسار النفسي لنمو الطفل. بيروت: دار النهضة.

المطوع، روضة عبد الله (١٩٩٨) تقنين مفهوم هاريس لمفهوم ذات الأطفال. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة عين شمس، القاهرة.

معوض، خليل ميخائيل (١٩٨٣) سيكولوجية النمو والطفولة والمراهقة . القاهرة : دار الفكر الجامعي.

منصور، عبد المجيد والشربيني، زكريا (٢٠٠٥) الشباب: بين صراع الأجيال المعاصر والهدي الإسلامي. القاهرة: دار الفكر العربي.

منصور، عبد المجيد والشربيني، زكريا (٢٠٠١) السلوك الإنساني: بين الجبرية والإرادية ومنظور علم النفس المعاصر: المشيئة والاختيار. القاهرة: دار الفكر العربي.

الموصلي، وداد؛ ومحمود، حسن عبد الغني (٢٠٠٧) الصحة النفسية. عمان: دار زهران للنشر والتوزيع.

ناصر، إبراهيم (٢٠٠٤) أصول التربية: الوعي الإنساني.الأردن- عمان: مكتبة الرائد العلمية.

ناصر، إبراهيم (د.ت) علم الاجتماع التربوي. بيروت: دار الجمل.

الهمشري، محمد علي (١٩٩٧) مشكلة سرقات الأطفال، الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة العبيكان.

الهنداوي، علي فالح (٢٠٠٥) علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة، ط٢. الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي- العين.

يونس، انتصار (١٩٨٣) السلوك الإنساني. القاهرة: دار المعارف.

المراجع الأجنبية:

Adler,R.B & Towne,N.(1990).Looking Oout/Looking In.Holt,Rinehart and Winston,Inc: Fortworth

Bracken, B.A.(1996). HandBook of self-concept . John Willey & Sons, Inc:Newyork

Byrne, B.M.(1996).Measuring self-concept Across the life spane: Issues and Instrumentation.Washington, DC: American Psychological Association.

Colman , M. Andrew(2006) Oxford Dictionary of Psychology. Oxford. Oxford University Press

Ferrer, M. And Fugate, A. M. (2003). Helping your School- Age Child Develop a Healthy Self-Concept. Retrrieved Jan.10th, 2005, obtained from: http: //edis.infas.ufl.edu.

Hormuth, S.E. (1990). The Ecology of The Self: Recolation and Self-Concept Change. Cambridge: Cambridge University Press.

Luscombe, A and Riley, T.L .(2001). An Examination of self-concept in academically gifted adolescents: Do gender differences occur ? Roeper Review.24(1).20-23

Manzoni, M.L. (2004) . To What Students Attribute their Academic Success and Unsucess Education, 124 (4), 699-708.

Mendaglio, S.Pyryt, M.C.(2002).Self-concept and Giftedness: A Multi-Theoretical Perspective. Paper presented at the Annual meeting of the American Education Research Association, NewOrleans, Louisiana

Park, J. (2003). Adolessence Self-Concept and Health into Adulthood. The daily, 82(3), 41-52.

